

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وَعَلَى الْمُخْطَوِّطَاتِ

الوالد المثل
الشيخ شاذي طف عمر
منه الميزاد قدور
١٩٨٤/١٢/٢٠

الدكتور أمجد فواد سيد

1

المعبر
لغة المعبر رتبة اللبانية

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الحائق ثروت - القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٢٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقية : دار شادو
ص - ب : ٢٠٢٢ - القاهرة
رقم الإيداع : ١٩٩٧ / ٩٠١٩
الترقيم الدولي : 9 - 376 - 270 - 977
طبع : المحدث
العنوان : ٦٨ ش العباسية
تليفون : ٤٨٢٧٨٥١
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ربيع آخر ١٤١٨ هـ - يوليو ١٩٩٧ م

الكتاب الثاني
في الفقه

إلى رُوح والدي المرحوم

قواوسية

مرشد علم المخطوطات في مصر
الذي تعلّمتُ منه عشق المخطوطات
والبَحْث في أسرارها

فهرست الموضوعات

صفحة	مقدمة
١٠ - ١	
	الباب الأول
	الكتاب العربي المخطوط
	في المصادر
٤٦ - ١٣	صناعة المخطوط العربي
٣١ - ٥	الورق (البُردي - الرق - الكاغد)
١٨ - ١٦	البُردي Papyrus
٢٠ - ١٨	الرق Parchemin
٣١ - ٢٠	الكاغد Kāḡad
٣١ - ٢٣	أنواع الورق
٣٦ - ٣٢	الخبر والمنداد
٣٦ - ٣٥	صنعة المنداد
٤٤ - ٣٦	صناعة التجليد (التشجير)
٤٠ - ٣٨	التجليد المبكر
٤١ - ٤٠	تطور صناعة التجليد
٤٥ - ٤١	ازدهار التجليد في العصر المملوكي
٤٦ - ٤٥	التعليقة
٦٧ - ٤٧	الخط العربي وتطوره
٤٩ - ٤٨	الخط العربي المبكر

صفحة	
٥١-٤٩	مخطوط المصاحف المبكرة
٥٢-٥١	كتاب المصنف
٥٤-٥٢	الشكل والإعجام
٧٢-٥٥	تطور الخط العربي
٩٤-٧٣	نقاء التدوين وطرق التأليف عند المسلمين
٧٨-٧٣	تدوين الحديث والتاريخ
٨٠-٧٨	تدوين الشعر
٨٤-٨٠	طرق التأليف
٨٥-٨٤	الترجمة والنقل
٩٤-٨٥	الإسلام
١٤٥-٩٥	اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية
١٠٢-٩٦	مصادر البحث
١٠٢	عدم استخدام القدماء للفظ مخطوط
	النسخ الأصلية عند
١٠٥-١٠٣	ابن النديم
١١٠-١٠٦	ياقوت الحموي
١١٨-١١٠	القفاطى
١١٩-١١٨	ابن أبي أصيبعة
١٢٣-١١٩	الصفدي
١٢٦-١٢٣	المكسرزي
١٣١-١٢٦	السخاوي
١٣٢-١٣١	السيوطي
١٣٣	المقري

صفحة	
١٤٥ - ١٣٤	نقاسة المخطوطات بما عليها من تقييدات وسماعات وقراءات وإجازات ومعارضات
٢٣٢ - ١١٧	الوراقسة والوراقسون
١٥٢ - ١٤٧	تعريف الوراقسة
١٥٥ - ١٥٣	الوراقسون من خزنة دور الكتب
١٥٧ - ١٥٥	وراقفو المؤلفين
١٦١ - ١٥٧	سوق الوراقين
١٦٤ - ١٦١	تدليس الوراقين
١٦٦ - ١٦٥	الكتيبون
٢٢٩ - ١٦٧	الوراقون والعلماء المشهورون بجودة الخط
١٧١ - ١٦٨	الخط الوراقي
٢٣٢ - ٢٣٠	النساعون المحدثون
٢٨٨ - ٢٢٣	المكتبات الإسلامية وهواة الكتب
٢٤٦ - ٢٢٣	المكتبات العامة
٢٣٤ - ٢٢٣	بيت الحكمة
٢٣٧ - ٢٣٤	دار العلم
٢٤٦ - ٢٣٨	المكتبات وعزائن الكتب
٢٥١ - ٢٤٦	مكتبات المدارس في المصيرين الأيوبي والمملوكي
٢٥٣ - ٢٥١	مكتبات المساجد والخلفاء والزوايا
٢٥٧ - ٢٥٣	شروط وقف الكتب
٢٦٠ - ٢٥٧	المكتبات في المصير العثماني
٢٨٨ - ٢٦١	هواة الكتب والمكتبات الخاصة
٢٧٨ - ٢٦١	في المصير المتقدمة
٢٨٨ - ٢٧٨	في المصير الحديث

الباب الثاني
الكتاب العربي المخطوط
كما وصل إلينا

صفحة	المصنف الشريف
٢٩٩ - ٣٢٩	جمع المصنف
٢٩٩ - ٢٩٩	المصاحف العثمانية
٢٩٩ - ٢٩٨	كتاب المصنف
٢٩٩ - ٢٩٩	مصاحف صنعاء
٣٠٣ - ٣٠٣	تطور شكل المصنف
٣٠٦ - ٣٠٣	مجموعات المصاحف في العالم
٣١٣ - ٣٠٧	مصنف ابن النور
٣١٦ - ٣١٣	مصنف بريس الجاشنكير
٣١٨ - ٣١٦	مصنف الأساتذة الستة
٣١٩ - ٣١٨	مصنف الرجلان
٣٢٤ - ٣١٩	المصاحف الملوكة
٣٢٤	المصاحف العثمانية
٣٢٩ - ٣٢٥	زخرفة المصاحف
٣٦٨ - ٣٣١	المسودات والمصنفات ومخطوط المؤلفين والعلماء
٣٤٧ - ٣٣١	المسودات
٣٣١	تعريف المصنف
٣٣٢ - ١٣١	مسودات وأما ابن النديم
٣٣٢	مسودة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
٣٣٣ - ٣٣٢	مسودة كتاب البارع لأبي علي الغالي
٣٣٣	مسودة كتاب التعليم الثاني للفارابي

٣٣٤	مُسَوَّدَةُ عَطِطُ الْقَاهِرَةِ لِأَبْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ
٣٣٤	مُسَوَّدَةُ عَطِطُ الْقَاهِرَةِ لِلْأَوْحَدِيِّ
٣٣٥ - ٣٣٤	كِتَابُ «الْعَيْنِ» لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ
٣٣٦ - ٣٣٥	مُسَوَّدَةُ كِتَابِ «الصَّحَاحِ» لِلجَوْهَرِيِّ
٣٣٦	مُسَوَّدَةُ كِتَابِ «وَلِيَّاتِ الْأَعْيَانِ» لِأَبْنِ خَلِّكَانَ
٣٣٧ - ٣٣٦	عِيُونُ الْأَيَّامِ لِأَبْنِ أَبِي أَحْصِيَةَ
٣٣٧	مُسَوَّدَةُ الرَّافِيِّ بِالْوَقَايَاتِ لِلْعُسْتَنْدِيِّ
٣٤٠ - ٣٣٧	تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونِ
٣٤١ - ٣٤٠	مُسَوَّدَةُ تَارِيخِ ابْنِ الْقَرَاتِ
٣٤٤ - ٣٤١	مُسَوَّدَاتُ الْقَرِيزِيِّ (الْقَلْقُوسِ الْكَبِيرِ - الرُّوَاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ - التَّمَاظُ الْخَفَاءُ)
٣٤٥ - ٣٤٤	مُسَوَّدَاتُ ابْنِ حَبَّارٍ الْعُسْتَقْلَانِيِّ (فَيْلُ الدَّرَجِ الْكَامِنَةُ - تَزْهَةُ الْأَكْيَافِ فِي الْأَلْقَابِ - تَبْصِيرُ الْمُتَبَيَّنِ)
٣٤٦	مُسَوَّدَةُ كَشْفِ الظُّنُونِ لِحَاجِي خَلِيفَةَ
٣٤٧	مُسَوَّدَاتُ مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ لِلنَّهْجِيِّ - عَجَائِبُ الْأَثَارِ لِلجَبَرْتِيِّ - مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِأَقْرُوتِ
٣٥٩ - ٣٤٨	المُعْتَمِدَاتُ
٣٥٠ - ٣٤٨	الدَّرُ الْقَرِيدُ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِدْمُنَّ
٣٥٢ - ٣٥٠	يُنْقَى الطَّلَبِ لِأَبْنِ الْمَدِينِ
٣٥٤ - ٣٥٢	الْقَرَبُ فِي حَقِّ الْقَرَبِ لِأَبْنِ سَعِيدِ
٣٥٦ - ٣٥٥	جَامِعُ الْأَصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرُّسُولِ وَالْمُرْصُوعِ وَالنِّهَالَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِمُجِدِّ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ
٣٥٧	أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَعْوَانُ الْعَصْرِ لِلصَّغْدِيِّ
٣٥٨ - ٣٥٧	كِتَابُ الْخَوَاتِيمِ لِأَبْنِ الْجَوْزِيِّ
٣٥٨	مَجْمَعُ الْأَقْوَالِ فِي مَعَانِي الْأَمْثَالِ لِلْمَكْتَبِيِّ
٣٥٨	شَرْحُ اعْتِبَارَاتِ الْمُفْتَخِلِ الْعُسْتَيْيِّ لِلخَطِيبِ التَّبْرِيزِيِّ
٣٥٩ - ٣٥٨	فَوَاتِ الْوَقَايَاتِ لِأَبْنِ شَاكِرِ الْكُتَيْبِيِّ
٣٥٩	بَدَائِعُ الزُّهْرِ فِي وَقَائِعِ الدُّهْرِ لِأَبْنِ إِيَّاسَ

صفحة	
٣٥٩	المُفَصِّل في شرح المُفَصِّل للقزويني
٣٦٢-٣٦٠	النُّسخ المعارضة على أصول المؤلفين
٣٦٣-٣٦٢	النُّسخ المتقولة عن أصول المؤلفين
٣٦٦-٣٦٤	التأليف الأول والتأليف الثاني
٣٦٨-٣٦٧	الفهرست لابن النديم
٣٩٧-٣٦٩	المخطوطات المصنّعة بالمتنوعات
٣٧١-٣٦٩	عناية القدماء بتزويق المخطوطات
٣٧٣-٣٧١	الكتب الأدبية
٣٩٧-٣٨٣	الكتب العلمية
٤١٩-٣٩٩	المخطوطات المصنّعة
٤٠١-٤٠٠	المخطوطات المؤرخة في القرون الأولى
٣٠٢-٤٠١	عدم الاهتمام بعمل فهرس للمخطوطات المؤرخة
٤٠٥-٤٠٢	الصيغ المختلفة في كتابة تاريخ المخطوطات (Colophon)
٤١٩-٤١٥	الإسناد أو رواية الكتاب غلط لتأريخ المخطوطات
٤٥١-٤٢١	المخطوطات الموقوفة
٤٢٢-٤٢١	الوقف في الشريعة الإسلامية
٤٢٣-٤٢٢	وقف المصاحف والكتب
٤٢٥-٤٢٣	دار الحكمة بالقاهرة
٤٢٥	مكتبة الوزير أبي القاسم المغربي بمأفارقين
٤٢٧-٤٢٦	البيمارستانات
٤٥١-٤٢٧	طرق إحياء الوقف
٤٤٢-٤٢٨	كتابة نص الوقف على المصحف أو الكتاب نفسه

فهرست الموضوعات

صفحة	وثائق الرقم الشاملة
١١٨ - ١١٣	ختم المخطوطات بختم يُحدّد الرقم
١٥٠ - ١٤٨	
١٧٢ - ١٥٣	المخطوطات الخزانة وقبور التملك
١٥٤ - ١٥٣	صنع التملك والنسخ الخزانة
١٥٨ - ١٥٥	كتبه لنفسه
١٦٦ - ١٥٨	التملك والبيع والشراء
١٦٦	الاستمارة والاصطحاب
١٦٧ - ١٦٦	الهبة
١٦٩ - ١٦٧	النسخ المكتوبة لخزان العلماء
١٧٢ - ١٦٩	النسخ المكتوبة لخزان الملوك والأمراء والسلاطين
٥٠٧ - ١٧٣	إجازات السماع والقراءة والمناولة وقبور المقابلة والمطالعة
١٧٦ - ١٧٣	إجازات التعليم في الحضارة الإسلامية
١٨٠ - ١٧٧	السماع وشروطه
١٨٥ - ١٨١	الدراسات السابقة حول إجازات السماع
١٩٣ - ١٨٥	نماذج السماعات
١٩٤	القراءة
١٩٨ - ١٩٤	نماذج لإجازات القراءة
٥٠٠ - ١٩٨	المناولة
٥٠١ - ٥٠٠	الرؤايس
٥٠٤ - ٥٠١	قبور التصحيح والمقابلة والمعارضة
٥٠٦ - ٥٠٤	قبور المطالعة والنظر والانتقاء
٥٠٧	التقييدات والفوائد العلمية

صفحة	
٥١١-٥٠٩	المخطوطات العربية في العالم وفهرسة المخطوطات
٥٢٠-٥٠٩	مجموعة المخطوطات العربية في العالم
٥١٢-٥١٠	تركيا
٥٢٠-٥١٢	أوريسا
٥١٥-٥١٢	فرنسا
٥١٦-٥١٥	أسياتيا
٥١٨-٥١٦	إيطاليا
٥١٨	المملكة المتحدة
٥٢٠-٥١٩	سويسرا
٥٢٧-٥٢١	فهرسة المخطوطات
٥٢٥-٥٢١	فهارس المكتبات القديمة
٥٢٧-٥٢٦	فهرست خزائن التربة الأشرقية
٥٢٠-٥٢٧	سجل مكتبة جامع القيروان
٥٢٣-٥٢٠	فهرسة المخطوطات في العصر الحديث
٥٢١-٥٢٠	فهرسة المخطوطات في أوروبا
٥٢٣-٥٢٢	فهرسة المخطوطات في الشرق
٥٢٧-٥٢٣	الفهرسة وعلم الكوديكولوجيا
٥٢٤-٥٢٣	تفاوت أنواع الفهارس
٥٢٧-٥٢٥	البيانات الأساسية لفهرسة المخطوطات
٥٢١-٥٢٨	نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط
٥٢٢-٥٢١	إتاحة المخطوطات
٥٢٤-٥٢٢	صيانة المخطوطات وترميمها

فهرست الموضوعات

س

صفحة	
٥٥٦ - ٥١٥	تحقيق المخطوطات ونشرها أو الدراسة الفيلولوجية للمخطوط
٥١٥	مفهوم التحقيق
٥١٨ - ٥١٦	المحاولات الأولى لوضع قواعد وأصول لنقد الكتب العربية
٥٥٥ - ٥١٨	قواعد تحقيق التراث
٥١٨	ضوابط تحقيق ونشر التراث
٥٥٢ - ٥١٨	جمع الأصول وخطب النص وثأبته
٥٥٤ - ٥٥٣	التعليقات والهوامش
٥٥٤	الفهارس التحليلية (الكشافات)
٥٥٥	مقدمة التحقيق
٥٥٥	ثبت المصادر والمراجع

الباب الثالث
الكتاب العربي المخطوط
النماذج

٥٦٠ - ٥٥٩	تقديم
	النماذج واللوحات
٥٩٠ - ٥٦١	شرح النماذج واللوحات
٦١٤ - ٥٩١	ثبت المصادر والمراجع وبيان طبعاتها
٦٠٦ - ٥٩١	المصادر العربية
٦٠٨ - ٦٠٢	المراجع العربية والمعرية
٦١٣ - ٦٠٩	المراجع الأجنبية
٦١٤	الرموز والاختصارات

AVANT - PROPOS

V - VII

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١

اقتصرت الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتى الآن على بحث
مُتُون هذه المخطوطات والدراسة الفيلولوجية لما تُقَدِّمُه من مادة علمية . أما
الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقة أثرية حضارية فلم يَلْقَ بعد ما
يناسبه من عناية واهتمام .

وقد نشأ في الغرب الأوربي علمٌ خاصٌ بدراسة الشكل المادي
للمخطوطات اليونانية واللاتينية هو علم الكوديكولوجيا Codicologie وهو لَفْظٌ
مركَّبٌ من مقطعين : Codex اللاتينية وتعني كتاب و Logos اليونانية وتعني علم
وبحث ، ولم يدخل هذا المصطلح المحدث إلى المعجم الفرنسي - *Le grand dictionnaire encyclopédique* إلا في عام ١٩٥٩ .

وقد تَخَلَّفَ المتخصصون في دراسة المخطوطات العربية والإسلامية بالنسبة
لمن درسوا المخطوطات اليونانية واللاتينية في هذا المجال الذي يتطلب قواعد
أخرى للتعامل مع الكتاب المخطوط غير تلك المستخدمة في دراسة نَصِّ
المخطوطات . وتساءل فرانسوا دي روش François Deroche في مقدمة كتاب *Les Manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie* فيما إذا
كانت ضخامة حجم الوثائق المطلوب مراجعتها وعظم مهمة إعداد هذه المواد
ودراستها هي التي صرَّفت هؤلاء المتخصصين حتى الآن عن الإقدام على هذه
المخاطرة؟ خاصة إذا علمنا أن حَجْمَ المخطوطات العربية في العالم يُقَدَّرُه
العارفون بها بنحو ثلاثة ملايين مخطوط ، وقد سبقَ أن ذكر مثل ذلك القَلَقُ شَنْدِي

الكتاب العربي المخطوط - ١

في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حيث قال :
 «واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُحصَر؛ لا سيما الكتب المصنفة في اللغة الإسلامية فإنها لم يُصنّف مثلها في لغة من الملل، ولا قام بتظهيرها أمة من الأمم؛ إلا أن منها كتباً مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها والإكثار من نسخها وطارت سمعتها في الآفاق ورغب في اقتنائها» (تلفظندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ١ : ٤٦٧).

والكوديكولوجيا Codicologie هي علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، أي أنه يُعنى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثلة في : الورق - الحبر والمداد - التذهيب - التجليد، وأيضاً حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل ما دُوّن على صفحة الغلاف (الظَهْرِيَّة) من سماعات وقرءات وإجازات ومناولات ومقايلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتَمَلُّكات وتقييدات ووقفيات، وما يُسجَل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفون Colophon (قَيْد الفراغ من كتابة النسخة) من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنسخة المنقول عنها، وكذلك معرفة المصدر الذي جاء منه النسخة والجهة التي آلت إليها، وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك، وقد أطلق الأوروبيون عليها اسم خوارج الكتاب Ex-libris.

وتبدو أهمية هذه الدراسة إذا عرفنا أن عصر الكتاب المخطوط في العالم العربي والإسلامي استمر حتى وقت قريب، فلم تكتسب طباعة الكتب في العالم العربي والإسلامي أهمية إلا مع بداية القرن التاسع عشر. كما أن أعمالاً مثل كتاب كارل بروكلمان : «تاريخ الأدب العربي» وكتاب فؤاد سزجين : «تاريخ التراث العربي» التي كتبت في الأصل باللغة الألمانية، يتركز اهتمام مؤلفيها على تصنيف الكتب وفقاً للموضوعات والتسلسل الزمني، ولا نجد فيها مقدمات أو فصول مستقلة تتناول الشكل المادي للمخطوطات المدروسة أو أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها أو وصف الأساليب الخطية أو الأشكال الزخرفية.

كذلك فإن فهارس المخطوطات العربية، سواء في أوروبا أو في البلاد العربية، نادراً ما تحتوي على إشارة إلى الشكل المادي للمخطوط، كما أنها لا تتعرض إطلاقاً لتواريخ المجموعات وتكوينها وخواصها المميزة وتبذل عن حياة جامعي هذه المخطوطات.

وعلى ذلك فإنه مازال أمامنا وقت طویل قبل أن نمتلك مدونات corpus نعرفنا به :

- المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها Autographes .
- المخطوطات المنقولة عن نسخة المؤلف Apographes .
- المخطوطات المؤرخة .
- المخطوطات التي بخطوط العلماء .
- المخطوطات الوحيدة Uniques .
- المخطوطات المكتوبة على الرق .
- المخطوطات المكتوبة على الكاغذ .
- المخطوطات الخزائنية .
- المخطوطات المصورة (المزينة) .
- المخطوطات الموقوفة .
- أسماء النسخ والمخطوطات التي نسخوها .

٢

حقيقة لقد قامت محاولات لوضع بداية جادة لهذا العلم تقدم لنا كيفية هذه الدراسة وبعض تطبيقات عملية لها، أولها المؤتمر الذي عقد في استانبول واستضافه المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية ونظمه الباحث الفرنسي فرانسوا دي روش في الفترة من ٢٦-٢٩ مايو سنة ١٩٨٦ ونشرت بحوثه سنة ١٩٨٩ بعنوان :

Les manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie.

Actes du colloque d'Istanbul (26-29 mai 1986), édité par Fr. Déroche. Istanbul, I F E A (Varia Turcia VII) - Paris, Bibliothèque Nationale et C N R S, 1989.

ثم الندوة الدولية التي عقدتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس في الفترة من ٢٧ - ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٢ حول موضوع: المخطوط العربي وعلم المخطوطات ونشرت أعمالها سنة ١٩٩٤ تحت عنوان:

«المخطوط العربي وعلم المخطوطات»، تنسيق أحمد شوقي يثين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم ٣٢ - جامعة محمد الخامس

١٩٩٤.

ثم عقدت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن في الفترة بين ٤ - ٥ ديسمبر سنة ١٩٩٣ مؤتمرها التخصصي الثاني وكان موضوعه: The Codicology of Islamic Manuscripts وتُشَرِّت الجزء الأول من الأبحاث المقدمة بلغات أجنبية إلى المؤتمر سنة ١٩٩٥ بعنوان:

The Codicology of Islamic Manuscripts. Proceedings of the second conference of al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 4-5 December 1993, general editor: Yasin Dutton, London - Al - Furqan Islamic Heritage Foundation 1995.

وتُشَرِّت الجزء الثاني مشتملا على الأبحاث المقدمة باللغة العربية سنة ١٩٩٧ بعنوان:

«دراسة للمخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر»، إعداد الدكتور رشيد العناني، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧.

وقد سبقت هذه الدراسات محاولات لتقديم صورة لشكل المخطوط وتطور الخط العربي عبر القرون، كان أسبقها كتاب برنارد موريتز Bernard Moritz

الضخم عن « الخطاطة العربية » الذي عرّض فيه لوحات مختارة من ذخائر دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية من المصاحف والمخطوطات المختلفة تمثل نماذج للخط العربي عبر القرون ولكن دون أية دراسة تحليلية .

Moritz, B., *Arabic Palaeography*, Publications of the khedivial Library N° 16, Cairo - Wien 1905.

ثم كتاب جورج فايدا الذي يُقدّم نماذج للخط العربي من خلال مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس

Vajda, G., *Album de palaeographie arabe*, Paris B. N. 1958.

وكتاب الدكتور صلاح الدين المتّجّد الذي جَمَعَ فيه من خلال مصورات «معهد المخطوطات العربية» نماذج تُوضّح الخطوط التي كتب بها للمخطوط العربي عبر القرون وبعض المخطوطات الخزائنية أو ذات الخطوط المنسوبة .

صلاح الدين المتّجّد : الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري ، الجزء الأول - النماذج ، القاهرة - معهد المخطوطات العربية ١٩٦٠ .
وقد وعدّ في المقدمة بجزء ثانٍ يتناول دراسة موسّعة للموضوع لم تصدر إلى الآن .

والفهرس الذي أعدّه المستشرق الإنجليزي آربري Arberry لمخطوطات مكتبة شيستر بتي حيث زوّد كل جزء من أجزائه السبعة بنماذج لخطوط المؤلفين والعلماء الموجودة في المكتبة

Arberry, A. J., *A Handlist of the Arabic Manuscripts in the Chester Beatty Library*, I-VII, Dublin 1955-66.

والكتاب الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بمناسبة المعرض الذي أعده للخط العربي بعنوان

الخط العربي من خلال المخطوطات ، الرياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

وأخيراً الدراسة التي أعدّها عالم المخطوطات والأثري المعروف إبراهيم شيوخ عن «المخطوط العربي 14 قرناً من حضارة الإسلام» والتي عرّض فيها ودرّس نماذج مختارة من مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس، وصدرت بعنوان

إبراهيم شيوخ: **المخطوط**، من نفائس دار الكتب التونسية - ١، تونس - الوكالة القومية لإحياء واستغلال التراث الأثري والتاريخي ألف ١٩٨٩ Alif

وهناك أيضاً دراسات مهمة حول الموضوع تُمثّل أساساً قوياً لتطور هذا العلم من أهمها كتاب

Arnold, Th. and Grohmann A., *The Islamic Book: A Contribution to its Art and History from the VII - XVIII century*, Germany - The Pegasus Press 1929.

وكتاب يوهانس بيديرسون الذي صدر أولاً باللغة الدانماركية سنة ١٩٤٦ Pedersen, J., *Der Arabische Bog*, Copenhagen 1946.

ونُقلَ إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٨٣

Pedersen, J., *The Arabic Book*, translated by Geoffrey French, Princeton University Press N. J. 1983.

كما نقله إلى العربية السيد حيدر غيبة بعنوان «الكتاب العربي» وصدر في دمشق عام ١٩٨٩ عن مطبعة الأهالي.

ومقال حبيب زيات عن الوراقة والوراقين في الإسلام

حبيب زيات: **«الوراقاة والوراقون في الإسلام»**، مجلة المشرق ٤٦ (قوز - أيلول ١٩٤٧)، ٣٥٠ - ٣٥٥.

وكتاب عبد الستار الحلوجي عن المخطوط العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي تناول فيه ظهور المخطوط العربي وصنعتة في الفترة الإسلامية المبكرة.

عبد الستار الحلوجي: **المخطوط العربي من النشأة إلى القرن الرابع الهجري** (ط١)
الرياض ١٩٧٨، ط٢ جدة ١٩٨٩.

ثم كتاب محمد المتوني عن صناعة المخطوط المغربي من الفتح الإسلامي
إلى العصر الحديث.

محمد المتوني: **تاريخ الوثائق المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط
إلى الفترة المعاصرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس
١٩٩١.

ويُعَدُّ كتاب كوركيس عَوَّاد عن أقدم المخطوطات العربية في العالم حتى
نهاية القرن الخامس الهجري ومقال فرانسوا دي روش عن المخطوطات المؤرخة
في القرن الثالث الهجري أول محاولة لحصر المخطوطات المؤرخة في هذه
الفترة.

كوركيس عَوَّاد: **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر
الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م)**، بغداد ١٩٨٢.

Déroche, F., « Les manuscrits arabes datés du III^e/ IX^es. », *REI*, LV- LVII
(1987- 89), pp. 343-379

وأخيراً كتاب أحمد شوقي بنين عن علم المخطوطات والبحث
البibliوجرافي الذي يُعَدُّ أول كتاب عربي يتناول موضوع الكوديكولوجيا بفهم
وتتبع.

أحمد شوقي بنين: **دراسات في علم المخطوطات والبحث البibliوجرافي**،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس، سلسلة بحوث ودراسات
رقم ٧، ١٩٩٣.

وإلى جانب هذه الدراسات كان ظهور «مجلة معهد المخطوطات العربية» عام
١٩٥٥ كأول مجلة متخصصة تبحث في شئون المخطوطات خطوة هامة في

مجال التعريف بالمخطوطات وفهرستها، ولكن أول مجلة متخصصة في كوديكولوجيا المخطوطات الشرقية بمعنى الكلمة كانت مجلة *Manuscripts of the Middle East* التي صدرَ عددُها الأول عام ١٩٨٧ بإشراف المستشرق الهولندي Jan Just Witkam وهي مليئة بالبحاث المتخصصة عن التاريخ المادي للمخطوط العربي والشرقي على العموم.

وتقدّم لنا الدراسات الخاصة بتاريخ المكتبات الإسلامية الكثير من المعلومات حول تكوّن مجموعات أشهر المكتبات الإسلامية في الشرق والغرب (الملكية والخاصة والعامة) وكيفية تنظيمها وموارد صرفها وأسماء خزّانها وأهم الكتب التي كانت تحتوى عليها.

وقد وجّدت مخطوطات بعض المكتبات حفظاً كبيراً في دراستها دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات مكتبات استانبول والأناضول ومخطوطات مكتبة شيستربيتي ومخطوطات المكتبة الوطنية في باريس، بفضل جهود علماء من أمثال ريشتر Reacher وريتير Ritter وأربيري Arberry وفايدا Vajde على التوالي. وما زالت هناك العديد من المكتبات الشرقية التي تحوي رصيداً هاماً من المخطوطات القديمة ذات القيمة المادية الكبيرة لم تُدرس بعد دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الأزهرية بالقاهرة ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومخطوطات الخزانة العامة بالرباط ومخطوطات الجامع الكبير بصنعاء.

ولعل من أهم الأعمال التي تساعد على تقدّم هذا النوع من الدراسات هو إخراج «ألبومات Albums» تحتوي على نماذج مصورة طبق الأصل Facsimilé للصفحات الأولى لهذه المخطوطات (الظهيرية) والصفحات الأخيرة لها (الغاشية)، وهي عادة الصفحات التي تحتوي على خوارج الكتاب Ex-libris

لتساعد الباحثين على دراسة هذه الظواهر التي سنشير إليها تفصيلاً في فصول هذا الكتاب .

٣

وهذا الكتابُ محاولةٌ لدراسة كوديكولوجيا الكتاب العربي المخطوط ، في الشرق على وجه خاص ، من خلال المصادر وكما وصل إلينا وجعلته في ثلاثة أبواب :

الباب الأول - الكتاب العربي المخطوط في المصادر ، درست فيه : « صناعة المخطوط العربي » و « تطور الخط العربي » و « نشأة التدوين عند المسلمين وطرق التأليف » و « اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية » و « الوراقة والوراقين » ثم « المكتبات الإسلامية وهواة الكتب » .

الباب الثاني - الكتاب العربي المخطوط كما وصل إلينا وعلم المخطوطات ، درست فيه : « المصحف الشريف » و « المَسَوَّدات والمُبيَّضات والمخطوطات التي بخطوط العلماء والتأليف الأول والتأليف الثاني للكتاب » ، و « المخطوطات المؤرَّخة وتُقدِّد الفراغ من كتابة النسخة الـ colophon » ، وكذلك « المخطوطات المُزَيَّنة بالزخارف » و « المخطوطات الخزائنية » و « المخطوطات الموقوفة أو المُحبَّبة » .

ثم درست ما على المخطوط من قيود مختلفة سواء المتعلِّقة بنص الكتاب مثل : الرواية والسماعات والقراءات والإجازات والمقابلة والتصحيح والمطالعة والنظر ، أو المتعلقة بشكل النسخة مثل التملُّكات والبيع والشراء والوقف والتقييدات العلمية ، وأيضا التوقيعات والأختام . وأشارت كذلك إلى كيفية التعريف بهذا التراث التليد عن طريق فهرسته فهرسةً وصفيةً ونشره نشرًا علميًا ثم صيَّانته وترميمه وعرضه عرضًا متحفيًا وإتاحته للبحث العلمي .

الباب الثالث - التمسّاج ويشتمل على نماذج مُصَوَّرة لكل هذه الأشكال والظواهر السابق ذكرها تُمثِّل مختلف الحقب والتطورات التي مرَّ بها المخطوط العربي . وقد حرصت على أن أورد بين النماذج التي نتعرَّف منها على تطور الخط العربي عبر القرون ، نماذج لمخطوط المؤلفين وكبار العلماء التي وصَّلت إلينا سواء من كتبهم التي كتبوها بخطوطهم أو بما سجَّلوه بخطوطهم على ظهور المخطوطات من سماعات وقراءات وإجازات وتقييدات وتعلُّكات . فكما قال العلامة خير الدين الزركلي في مقدمة كتابه الخالد «الأعلام» الذي جمع فيه من مخطوط العلماء المترجمين ما يثير الإعجاب والدهشة .

«[إن] المخطوط إلى جانب قيمتها الأثرية، فلذَّ من أرواح أصحابها أبدية الحياة، يكمن فيها من معاني النفوس ما لا تُعرب عنه صور الأجسام» .
[الأعلام ١ : ١٦٦] .

وبعد فأرجو أن أكون قد وفَّقت فيما قصَّدت إليه وأن أكون قد أسهمت بجهْد في دراسة علم المخطوطات ، وهو العلم الذي ما يزال في حاجة إلى تضافر جهود المُتَحَصِّصين والخبراء - على قُلَّتْهم - في دراسة هذا التراث الضخم من المخطوطات العربية والإسلامية دراسةً كوديكولوجية استمراريةً لجهود علماء المخطوطات الرواد من أمثال يوسف العثَّيْن وصلاح الدين المتَّجِد وفؤاد سيد ومحمد رشاد عبدالمطلب وكوركيس عوَّاد ومحمد بن تاوَيْت العُتْنَجِي ، وإلى إعداد جيل من شباب الباحثين يستمر في هذه الدراسة التي تحتاج إلى جانب الحب والهواية ، إلى ثقافة ومعرفة واسعة بالمكتبة العربية وطبيعة علاقة كتبها بعضها ببعض .

الدكتور أمين فؤاد سَيْد

مصر الجديدة في : ٤ شوال سنة ١٤١٧هـ
١٢ فبراير ١٩٩٧م .

الباب الأول
الكامل في العزائم
والمناسبات

صناعة الكتابات العربي المخطوط

حدّد القدماء لصناعة الكتاب المخطوط أركاناً أربعة هي: الكاغد (الورق) والمداد (الحبر) والقلم (الخط) والتجليد (التسفير).

ولم يكن حظّ هذه الأركان الأربعة متوازناً في معارفنا، «لأن القادرين على التمييز والكتابة والوعي بضبط التجارب للأجيال يبدأ اهتمامهم من مرحلة القلم والخط ويخرجون منها إلى التدوين والتأليف، وبهذا كان هذا الجانب كثير الثراء مؤثقة أسرارهِ في أدب حافل محفوظ بالمصادر الكبرى لثقافة الكتاب».

أما الركائز الثلاث الأولى والأسبق في التسلسل من الخط وهي: الورق والحبر والتجليد، فإن المادة التوثيقية عنها كانت في غاية الضحالة ولم تكن في مستوى توضيح تقنيات التراث الضخم الذي سلم لنا على الزمن^١.

ويُعتبر كتاب «عمدة الكتاب وعمدة ذوي الألباب»^٢ الذي ألف على الأرجح للأمير الصنهاجي تميم بن المعز بن باديس أشمّل ما وُضع في صناعة الكتاب المخطوط، فقد تناول فيه مؤلفه المجهول بتوازن وإيجاز انتخاب الأقلام الجيدة وبريها على أجناس المخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة، وعمل الليق، وتلوين الأصباغ وخلطها، والكتابة بالذهب

^١ إبراهيم شبرح: «مصدران جديداً عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد» في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ١٦.

^٢ نشره عبدالستار الخرجي وعلى عبدالحسن زكي في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٩٧١)، ٤٣ - ١٧٢.

والفضة، وعمل ما تُمَحَى به الكتابة، وإصاق الذهب والفضة وصفة مصاقله وصقله، وعمل الكاغد وسقيته وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

وبعد تصنيف هذا الكتاب بنحو قرن ونصف، صَنَّف الملك اليماني المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م كتاب «المُخْتَرَع في فنون من الصنَّع»^١ استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب «العُدَّة» استيعاباً حرفياً وبشئ من الانتقاء^٢.

وإضافة إلى هذين الكتابين فإن هناك أدباً محدوداً وصل إلينا يُعرَف بصناعة الأحبار والألوان وأساليب التزيين والتجليد لعل أهمها: كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» مؤلف مغربي يدعى محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري^٣، ألَّف كتابه أثناء إقامته في بغداد في المدرسة المستنصرية سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م، وكتاب «تُحَفُ الخَوَاصِ في طُرُقِ الخَوَاصِ» لأبي بكر محمد ابن محمد بن إدريس بن مالك القُضاعي المعروف بالقللوسي^٤ وهو أندلسي من أهل إسقاطونة Estepona (٦٠٧ - ٧٠٧ هـ / ١٢١٠ - ١٣٠٧ م) وعالم لغوي اشتهر بحفظ كتاب سيبويه وكان حُجَّةً في العروض والقوافي. وقد تَوَّه لسان الدين بن الخطيب بهذا الكتاب وقال إنه «رَقَعَ للوزير ابن الحكيم [أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي] كتاباً في الخَوَاصِ وصنعة الأمددة وقلع طبع الثياب غريباً في معناه»^٥. كما تحتفظ دار الكتب المصرية بـ«رسالة في صناعة الأحبار» مجهولة المؤلف تحت رقم ١٤ صناعة تيمور.

وفيما يخص التجليد أو التفسير فقد وَصَلَتْ إلينا بعض المؤلفات ذات القيمة على ندارتها أَقْدَمُهَا كتاب «التيسير في صناعة التفسير» لللقيه بكر بن إبراهيم

^١ نشره محمد عيسى صالحية في الكويت عام ١٩٨٩.

^٢ إبراهيم شيوخ : المرجع السابق ١٥.

^٣ توجد منه نسخة بخط مؤلفها Autographe في مجموعة خاصة استقادت منها إبراهيم شيوخ في بحثه المشار إليه أعلاه.

^٤ عنه نسخة في الخزائن الملكية بالرباط بالمغرب اعتمد عليها إبراهيم شيوخ في بحثه المشار إليه أعلاه.

^٥ لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ : ٧٦.

الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م^١، وأرجوزة «تدبير السفير في صناعة التسفير» لشخص يُدعى ابن أبي حميدة أو ابن أبي حميدة عاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^٢، ثم الرسالة التي كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السقياني سنة ١٠٢٩هـ / ١٦١٦م عن صناعة التسفير وحل الذهب^٣.

يضاف إلى ذلك الفصل الهام الذي ألفه القلقشندي في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي للحدث عن آلات الخط ومياديه، والآلات التي تشتمل عليها الدواة والقلم وبريه، والمداد والحبر وصنعتهم، وليق الافتتاحات، وما يكتب فيه من قراطيس وورق^٤.

الورق

(البردي - الرقي - الكاغد)

ظلت صناعة الورق (البردي) في الدولة الإسلامية صناعةً مصريةً خالصةً طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغد) مكانه إلى جانبه. واستخدم الورق (الكاغد) في مصر بطريقة متقطعة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافساً للبردي حتى أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما حل محل البردي وبدأت مطابخ الورق في الظهور وتوقفت إنتاج البردي.

وإلى جانب البردي Papyrus كان الرقي Parchemin - وهو ما يُرَقَّق من الجلود ليُكتب فيه - يحتل حتى وقت ظهور الورق (الكاغد) بشكل مطلق وحُصفاً متميزاً في صناعة الكتاب العربي المخطوط.

^١ نشره عبدالله كتون في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ٧-٨ (١٩٥٩)، ١-٤٢.

^٢ منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٣١٩ / ٨ سماعين ونشرها Gacek, Adam, « Ibn Abi Hamidah's didactic poem for bookbinders », MME VI (1992), pp. 41-58.

^٣ نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب»، باريس - بول جيوتير ١٩٢٥، Chabbouh, Ibn., op. cit., p. 61.

^٤ القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٤٠ - ٤٨٨.

البردي Papyrus

والبردي من الحاصلات الخاصة التي كانت تُنتجها مصر وكانت النباتات التي تُعَمَل منها الأوراق البردية تلعب في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة وحتى انتهاء زراعته نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نفس الدور الذي لعبه القطن في الاقتصاد المصري حتى وقت قريب.

ففي مستنقعات الدلتا كانت مسطحات واسعة يغطيها البردي papyrus وهو نبات من فصيلة السعد souchet كان يُزَرَع بين الماشاتل. وكان الورق يُتخذ من لبابه وهو لباب ليفي لرح يقطع إلى شرائح طولية بعد قشرها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم تردف بطبقة ثانية من هذه الشرائح متعامدة مع الأولى، وتطرق الصفائح بمطرقة خشبية لتسويتها ولتتحد أجزاؤها بواسطة اللزوجة الطبيعية. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأفقي منها. فكانت مصر هي البلد الذي يُمَد سائر الأقطار بأوراق البردي^١. وأطلقت المصادر العربية القديمة على البردي المصري «الفراطيس المصرية»^٢.

وقد نوّه البيروني بورق البردي المصري وأشاد به قال:

«إن الفرطاس معمولٌ بمصر من لب البردي يُرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا [توفي البيروني سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م] إذ ليس ينقاد لحك شيء منه وتغييره بل يُفسد به»^٣.

^١ ابن البيطار: الجامع لقدرات الأدوية والأغذية (بولاق ١٢٩١هـ) ١: ٨٦-٨٧، وراجع جروهمان، أدولف: المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ومنها المخطوطة بالدار، تمريب توفيق إسكندروس، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٣٠، ٩: إبراهيم شبرج: «بعض ملاحظات على خط البرديات العربية المتكررة ومدى تأثيرها بحركات إصلاح الكتابة»، الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٦: ١٦٤، Sellheim, R., *Et*., art. *Papyrus VII*, pp 268 - 272 : Khan, G., art. *Kirids V*, p. 171 : Khoury, R. G., *Et*., art. *Papyrus VII*, pp 268 - 272 : Khan, G., «Arabic Papyri», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 1-16.

^٢ ابن النديم: الفهرست ٢٢.

^٣ البيروني: تحقيق ما للهند ٨١.

الآيتان ٦ و ٢٩٠، وعنده بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة، قال الجواليقي:
«والقراطاس - بضم القاف وكسر ها - قد تكلموا به قديماً. ويقال إن أصله
غير عربي»^١.

وذكر دوزي Dozy أن لفظ القراطاس أصله من اليونانية chartes ومعناه ما
يكتب فيه، ويقابله في العربية «ورقة» و«صحيفة»^٢.

وكان في الجانب الغربي من بغداد أي في الكرخ درب يعرف به «درب
القراطيس» أو «درب أصحاب القراطيس»، ذكره غير واحد من الكتاب
الأقدمين كالجاحظ والطبري والخطيب البغدادي وغيرهم^٣، وأغلب الظن أن
قراطيس مصر كانت تباع فيه.

وذكر أبو سعيد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٦ م في مادة
«القراطيسي» أن «هذه النسبة إلى عمل القراطيس وبيعها»^٤، ثم ذكر غير واحد
من عرف بهذه النسبة وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم إليها، يقول كوركيس
عواد: «فلعل نسبتهم جاءت من سكنهم درب القراطيس أو من صنعهم أو
بيعهم القراطيس ذاتها»^٥.

وأورد الخطيب البغدادي المتوفى قبل السمعاني بمائة عام تراجم سبعة رجال
عرف كل منهم به «القراطيسي» أمرهم أيضاً أمر من ذكرهم السمعاني في استبهم
نسبتهم حيث لم يفصح الخطيب عن ذلك في تراجمهم المقتضبة^٦.

^١ الجواليقي: المغرب من الكلام الأعجمي ٢٧٦.

^٢ Dozy, Suppl. Dict. Ar. II, pp. 331.

^٣ كوركيس عواد: «الورق والكاغذ - صناعته في العصور الإسلامية»، مجلة الجمع العلمي العربي ٢٣
٤١٥، (١٩٤٨).

^٤ السمعاني: الأنساب ورقة ٤٤٥ و.

^٥ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤١٥.

^٦ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ٤٠٩١، ٤٣٠، ١١، ٢٣٣، ١٢، ١٥١، ١٣، ٤٥: كوركيس
عواد: المرجع السابق ٤١٥.

وقد وصل إلينا العديد من الرسائل والصكوك المكتوبة على البردي حُفظت لنا في مصر والقليل في فلسطين وكلها أوراق خاصة بمقود بين أفراد أو إيصالات أو دفع ضريبة خراجية أو مراسلات بين الولاة، أقدمها بردية يرجع تاريخها إلى عام ٢٢٢هـ / ٦٤٣م تعرف بـ«بردية أهناسيا» محفوظة اليوم في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا. ولم تصل إلينا للأسف كتب مكتوبة على البردي سوى أجزاء لأعمال مبكرة مثل موطأ مالك بن أنس وصحيفة همام بن منبه وصحيفة عبدالله بن لهيعة، أما أكمل كتاب وصل إلينا على البردي فهو نسخة من كتاب «الجامع في الحديث النبوي» لعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م كُشف عنها عام ١٩٢٢ في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهي اليوم محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٣ حديث^١.

الرق Parchemin

المادة الأصلية للرق Parchemin من أصل حيواني تستخدم فيه جلود الخراف والماعز والبقر والغزال وريما الحمير، وكان جلد الخراف هو الأكثر استخداماً في هذا الغرض. وكان الرق يُصنع عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجودة عليه باستعمال الجير أو أية مادة تحفظ أخرى ويترك ليجف مع شدّه على إطار خشبي، وعملية الشد هذه في غيبة عملية الدباغة هي التي تفرق بين الرق والجلد. وفي كثير من الرقوق التي وصلت إلينا يمكننا التفريق بين ناحية اللحم وناحية الشعر بسبب بقاء جذور شعر الحيوان. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأملس recto. أما حجم الرق فكان يختلف

^١ - Weill, J. D., «Note sur un manuscrit malékite de 'Abd-Allah ibn Wahb ibn Muslim al-Fihri Al-Qurashi», *Mélanges Maspero* III - Orient Islamique, Le Caire - IFAO 1953, pp. 177 - 189. ونشر ديفيد قبل الكتاب نصاً وإروحات وتعليقات في ثلاثة أجزاء. Weill, J. D., *Le Djāmi' d'Ibn Wahb* (texte, planches et commentaires, Le Caire - IFAO 1939 - 1948). ومقتل خوري. Khoury, R. G., *Et*, art. *Papyrus* VII, pp 268 - 272.

باختلاف طول الحيوان المستمد منه ويترأوح ما بين ٨٥,٢ × ٨٢ سم و ٤,٨ × ١,٨ سم^١.

وفي المغرب الإسلامي كان التحوّل لاستخدام الورق متأخراً حيث ظلّ الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بل إن المصاحف المغربية ظلّت حتى وقت قريب تُكتب على الرق طلباً لطول البقاء.

أما المصاحف والكتب المكتوبة على الرق، فهناك نماذج كثيرة لها محفوظة في العديد من المكتبات العالمية وخاصة في المكتبة الوطنية في باريس وفي مجموعة ناصر خليلي بلندن وفي دار المخطوطات بصنعاء وهي تصلح كأساس لعمل مدوّنة corpus للمخطوطات المكتوبة على الرق^٢.

وإذا كان من خواص الرق قدرته على البقاء الطويل، فإن من أهم عيوبه إمكانية محو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى. فيذكر ياقوت الحموي من بين مؤلفات علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربيعي النحوي المتوفي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م شرح كتاب سيبويه ثم قال:

«إلا أنه عُسِّلَه وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مُقَضِّباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجنانة وصَبَّ عليه الماء وعُسِّلَه وجعل يَلْظِمُ به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاتاً»^٣.

وعندما ترجم ياقوت لأبي طالب المبارك بن المبارك الكرخي

^١ Khouri, R. G. and Wittkam, J. J., *Et al.*, art. Rakk VIII, pp. 422-424; Déroche, Fr., «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 17 - 57.

^٢ Déroche, F., *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983; id., *The Abbasid Tradition. Qur'ans of the 8th to 10th centuries. The Nasir*, ser D. Khalili Collection of Islamic Art, London 1993.

صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

^٣ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ١٤: ٧٩.

الشافعي المتوفي سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٨م قال :

«كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحده زمانه في حسن الخط
علي طريقة علي بن هلال البواب، سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد
قبله ولا بعده مثله في قلم الثلث، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول : إنه كان
خيركم من ابن البواب، وكان ضيقاً بخطه جداً فلذلك قل وجوده . كان إذا
اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طسّاً ويُفسّله . فأما إذا استغنى فكان
يكسر قلمه ويجهد في تغيير خطه»^١.

ويذكر ياقوت أيضاً أنه لقي في آمد سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م علي بن الحسن بن
عنتر المعروف بشميم الحلبي «وكان من العلم بمكان مكي . . . إلا أنه كان لا يقيم
لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً»^٢ ؛ وقد سأله ياقوت لماذا لم
يُصنّف مقامات يدخّض بها مقامات الحريري فقال له :

«ها بُني أعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التعمد على الباطل، عملت
مقامات مرتين فلم ترضى ففعلتها»^٣.

وأورد الخبير برواية أخرى في ترجمة الحريري قال :

« . . . ولقد أنشأها ثلاث مرات ثم أنامّها فاستردّها ، فأعمد إلى البركة
فأغسلها»^٤.

وتدكّ هذه التصوص على أن الرقّ ظلّ مستخدماً في الشرق الإسلامي وإلى
القرن السادس الهجري ، فعملية الغسل هذه لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت الكتابة
على الرقّ .

الكاغد Kagad

أما الورق (الكاغد) Kagad فكان يُعمَل في أغلب الأحيان من الكتان أو

^١ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ١٧ : ٥٦ - ٥٧ .

^٢ نفسه : ١٥ - ٢٦٨ .

^٣ نفسه : ١٣ - ٥٨ .

^٤ نفسه : ١٥ - ٢٦٨ - ٢٦٩ .

القشْب وخاصة ما يُعرف منه بالورق الخراساني^١. وقد أورد صاحب كتاب «عمدة الكتاب» طريقة لعمل نوع من الكاغد وصفة سقيه وتعتيقه^٢.

وقد وَجَدَ الرَّقَّ منافسةً شديدةً من الكاغد عند ظهوره وخاصةً فيما يتعلق بالكتابات التي تُنظَّم معاملات الناس وتوثقها ويقع التقاضي بها إذ أصدر الخليفة هارون الرشيد أمراً بـ:

«ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو وإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحي قَسَدَ، وإن كُشِطَ ظهر كَشَعُهُ»^٣.

وقبل ذلك كانت القراطيس المصرية هي الأكثر استخداماً في دواوين الدولة الإسلامية^٤. يقول الجهشيارى:

«ووقف أبو جعفر [المصور] على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعى بصالح صاحب المصلى فقال له: إني أمرت بإخراج حامل القراطيس في خزائنتنا فوجدته شيئاً كثيراً جداً فتولى بيعه وإن لم تُعْطَ بكل طومار إلا دانقاً، فإن تمصيل ثمنه أصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم فانصرف من حضرته على هذا؛ فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكُتِرَ في كتبنا وأنها قد جُرِّت في القراطيس وليس يؤمن حادث بمصر فتقطع القراطيس عنا بسببه فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تُعَوِّدَ عمالنا فدفع القراطيس استظهاراً على حالها.

^١ ابن النديم: الفهرست ٢٢.

^٢ المعز بن باديس (النسب ل): عمدة الكتاب ١٤٧ - ١٤٩ ونظر كذلك Huart, Cl. & Grohmann, A., *El², art. Kāghad VI*, pp. 437 - 438.

^٣ الفلشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٨٦ وقارن مع ابن خلدون: المقدمة ٢: ٩٧٤؛ الفلشندي: صبح ١: ٥٨٧، ٢: ٤٨٧؛ القرطبي: الخطوط ١: ٩١.

^٤ الفلشندي: صبح ٦: ١٨٩. وفيه (أن الخلفاء لم تزل تستخدم القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية).

ولهذه العلّة كانت المُرسُ تكتب في الجلود والرّق وتقول : لا تكتب في شيء ليس في بلادنا»^١.

ويذكر الثّعالبي أن :

«من خصائص سمرقند الكواغيد التي عطلّت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأتم وأرق وأوق ولا تكون إلا بها والصين».

ذكر صاحب كتاب «المسالك والممالك» أنه وقّع من الصين إلى سمرقند في سني سباهم زياد بن صالح من اتّخذ الكواغيد بها، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سمرقند فعَمَّ خيرها والارتفاق بها في الأفاق»^٢.

ولكن إذا كانت قراطيس مصر قد انقطعت عن مشرق العالم الإسلامي بسبب ظهور الكاغد (الورق) فإنها ظلّت تُصدّرُها إلى المغرب الإسلامي فيورد الثّعالبي نقلاً عن الجاحظ قوله :

«وقراطيس مصر للمغرب ككواغيد سمرقند للمشرق»^٣.

وقد قطع أبو سعد السّمعيّ بكون الكاغد لا يُعمل في المشرق إلا في هذه المدينة . قال في مادة «الكاغدي» :

«هذه النسبة إلى عمل الكاغد الذي يُكتب عليه ويُنمّ، ولا يُعمل في المشرق إلا بسمرقند»^٤.

وكان الوزير المصري أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن

^١ الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ١٣٨ .

^٢ «ثعالبي : لطائف المعارف ، بريل ١٨٦٧ ، ١٣٦» وقارن مع الجاحظ : التبصر بالتجارة ٣٦ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (نشرة ومستفاد - جوتجن ١٨٤٨) ١٣٦٠ ، الديري : نهاية الأرب ١ : ٣٥٤ .

^٣ نفسه ٩٧ ، وقارن : السيوطي : حسن للعامة ٢ :

^٤ السمعاني : الأكناب : ورقة ١٧٢ و ، وانظر كوركيس عواد : المرجع السابق ، ٤١٩ - ٤٢٠ .

حُزْزَابَةُ الْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م يَسْتَوْرِدُ الْوَرَقَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ لِاتِّخَاذِهِ فِيمَا يَسْتَسْخُهُ لَهُ الْوَرَقُونَ لِحِزَانَتِهِ قَالَ :

«قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت أبا إسحاق الحبالب يقول : كان يستعمل للوزير أبي الفضل ، الكاغد بسمرقند ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة . وكان في خزائنه عدة من الوراقين ، فاستغنى بعضهم ، فأمر بأن يحاسب ويصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء . قال : وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبالب يقول : خرج أبو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ ، لم يبق منهم غيري . وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب وكتبها في كاغد عتيق . فسألت الحبالب عن الكاغد ، فقال : هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند ، وقعت إلى من كتبه قطعة ، فكتبت إذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعتها ، إلى أن اجتمع هذا . فكتبت فيه هذه الفوائد»^١ .

وهذا يدل على أن البردي قد قلَّ استخدامه في مصر نظراً لارتفاع ثمنه عن الكاغد وقلة إنتاجه .

وتحتفظ دار الكتب المصرية بأقدم كتاب وصل إلينا على الكاغد وهو «الرسالة» في أصول الفقه للإمام الشافعي والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثالث الهجري وهو محفوظ بالدار تحت رقم ٤١ أصول فقه م .

أنواع الورق (الكاغد)

ذكر ابن النديم أن المادة التي كان يُعمل منها الورق المعروف بـ «الورق الخراساني» هي «الكثان» وأن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . وعُدَّ بعد ذلك ستة أنواع منه هي : «السليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفرى والطاهري»^٢ .

ولا شك أن هذه هي أنواع الورق التي كانت شائعة الاستعمال في البلدان الإسلامية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وهي الفترة التي كتب فيها ابن النديم كتابه .

^١ باقوت : معجم الأدباء، ٧ : ١٧٦ - ١٧٧ .

^٢ ابن النديم : الفهرست ٢٢ .

أما الورق السِّلْجَماني فمُنسوب إلى سَلْجَمَان بن راشد والي خُرَاسَان في أيام هَارُون الرَّشِيد.

والورق الطَّلْحِي يُنسب إلى طَلْحَة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطَّاهِرِيَّة في خُرَاسَان (٢٠٧ - ٢١٣ هـ / ٨٢٢ - ٨٢٨ م).

والورق النَّوْحِي كان منسوباً إلى أحد أمراء الدولة السَّامَانِيَّة التي حكمت تُرْكِسْتَان وفارس، «نوح الأول السَّاماني» (٣٣١ - ٣٤٣ هـ / ٩٤٢ - ٩٥٤ م) أو «نوح الثاني السَّاماني» (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧ م).

أما الورق الفرعوني فمضروب آخر نَافس ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عُثِرَ عليها مَدُونَةٌ في هذا النوع من الورق يرتقي تاريخها إلى نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وظلَّ هذا النوع يستخدم بعد ذلك. فقد جاء في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا عند ابن أبي أصيبعة قول تلميذ له:

«... وأمرني الشيخ بإحضار البياض [يعني الورق] وقطع أجزاء منه،

فشددت خمسة أجزاء، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني»^١.

وُنُسب الورق الجَعْفَرِي إلى جعفر بن يحيى بن خالد البُرُمُكِي الذي قُتِل عام ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م في نكبة البرامكة.

والورق الطَّاهِرِي يُنسب إلى طاهر الثاني أحد أمراء الدولة الطَّاهِرِيَّة في خُرَاسَان (٢٣٠ - ٢٤٨ هـ / ٨٤٤ - ٨٦٢ م)^٢.

وأشار ياقوت الحموي إلى «الورق الجَيْهَانِي»^٣، الذي يُنسب إلى مدينة جَيْهَان إحدى مدن خُرَاسَان، و«الورق المأموني»^٤ المنسوب إلى الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م).

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢ : ٨.

^٢ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢١ - ٤٢٢.

^٣ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ : ٩٥.

^٤ ياقوت الحموي: معجم الأدياء ٦ : ٢٨٥.

وذكر السمعاني ضرباً آخر من الورق سماه «الكاغد المتصورى» وهو مشهور بسمركند، وينسب إلى أبي الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغدي المتوفى بسمركند سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م^١.

وكانت خزائن الكتب لا تخلو من أنواع الكواغيد المختلفة فقد كان علي بن هلال البواب الخطاط المشهور يتصرف في خزائن كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز وأثناء بحثه فيها وجد مصحفاً من ثلاثين جزءاً بخط ابن مقله ينقص جزءاً فحملة إلى بهاء الدولة الذي طلب منه أن يتممه له فقال له:

«السبح والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلمة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه فأنصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظرف عجيب فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء وذهبت وعثقت ذهبي، وقلعت جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعثقته، ونسب بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقله فقال لي: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعطينيه: فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي يخطئ ثم قال لي: أيما هو الجزء الذي يخطئ؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقله ونكتتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في رتبة عند رأسه ولن يعمده إلى الخزانة، وأقمت مطالباً بالخلمة والدينار وهو يخطئني ويعدني، فلما كان يوماً قلت يا مولانا في الخزانة بيتاً صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلمة والدينار. قال مرّ وخذه. فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين»^٢.

^١ السمعاني: الأسباب ورقة ٤٧٢ و «كوريس عواد: المرجع السابق ١٢٣.

^٢ ياقوت الحموي: معجم الأعيان ١٥ : ١٢٣ - ١٢٤.

وارجع عن استخدام الكاغد في المخطوطات الإسلامية تبعاً للمصادر الفارسية Afshar, I., «The Use of Paper in Islamic Manuscripts», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 77 - 91.

وَحَدَّدَ القلقشندي جودة الورق بقوله :

«وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرقاً صقيلاً متناسب الأطراف صبوراً على مرور الزمان .

وأعلا أجناس الورق فيما رأيناه «البغدادى» ، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقطعة وأخر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة

ودونه في الرتبة «الشامي» وهو على نوعين : نوع يعرف بـ«الحَمَوِي» وهو دون القَطْع البغدادى ، ونوع دونه في القدر هو المعروف بـ«الشامي» (٤) وقطعه دون القَطْع الحموي .

ودونهما في الرتبة «الورق المصري» وهو أيضاً على قطعين : القَطْع المنصوري وقطع العادة ، والمنصوري أكبر قطعاً وقلماً يُصَنَّق وجهه جميعاً ، وأما العادة فإن فيه ما يُصَنَّق وجهه ويسمى في عُرف الورّاقين «المُصلَّوح»^١ .

ولكن صناعة الورق لم تلبث أن انتشرت في سائر الأمصار الإسلامية ولم تعد حكراً على خراسان وسمرقند خاصة بعد أن نشأت مهنة الورّاقين ، يقول ابن خلدون :

«كثرت التأليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار فأنشئت وجُلِّدت ، وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانسحاق والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران .

وكانت السجلات أولاً لا تنسخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد ، لكثرة الرقعة وقلة التأليف في صدر الملة كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٨٧ .

ذلك، فاقترضوا على الكتاب في الرقّ تشريعاً للمكتوبات وميلاً بها إلى الصحة والإتقان.

ثم طمأ بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقّ على ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذته الناس من بعده صُحُفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجابة في صناعته ما شاءت^١.

وهكذا انتقلت صناعة الورق (الكاغد) إلى العراق بفضل الفضل بن يحيى البرمكي الذي أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد (توفي الفضل سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، ولم تحض سوى بضع سنين حتى كان أخوه جعفر بن يحيى البرمكي، الذي أعقبه في دسّت الوزارة، قد أحلّ الورق محل الرقّ في دواوين الدولة^٢.

وكانت بداية صناعة الورق وانتشاره في العراق لأسباب حدّدها الفلقشندي عندما قال:

«أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة - وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس - أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها ثقيل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي منه قسّد وإن كُشط ظهر كُشطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاه من قُرب وبُعد واستمر الناس على ذلك إلى الآن»^٣.

واستمرت صناعة الورق ببغداد في الازدهار وكثرت بها معامل صناعته وحواليت بيعه يقول الصولي:

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٧٣ - ٩٧٤.

^٢ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٦.

^٣ الفلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٨٦.

«وَقَعَ بِالْكَرْخِ (فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٣٣٢) حَرِيقٌ عَظِيمٌ، مِنْ حَدِّ طَاقِ التَّكْكِ السَّامِكِينَ، وَعُطِفَ عَلَى أَصْحَابِ الْكَاعْدِ وَأَصْحَابِ النَّعَالِ»^١.

كما كانت «دار القَرْ» وهي تقع في الجانب الغربي من بغداد، مكانًا لصناعة الكاعْد في أوائل القرن السابع الهجري، يقول ياقوت:

«وَفِيهَا يُعْمَلُ الْيَوْمَ الْكَاعْدُ»^٢.

وأشار ياقوت إلى مكان آخر كان يُصنَّع فيه الورق في بغداد في زمانه عند حديثه على «جهاز سوج» يقول إنها:

«مِنْ مَحَالِ بَغْدَادَ، فِي قِبْلَةِ الْحَرِيبَةِ، غَرِبَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَحَالِ، وَبَقِيَتْ هِيَ وَالنَّصْرِيَّةُ وَالْعَنَابِيُّونَ وَدَارُ الْقَرْ مُتَّصِلَةً بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَالْمَدِينَةِ الْمَفْرُودَةِ فِي آخِرِ خُرَابِ بَغْدَادَ. يُعْمَلُ فِي هَذِهِ الْمَحَالِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ الْكَاعْدُ»^٣.

وفي الشام كانت مدينة طرابلس من أهم مراكز صناعة الورق. وعندما زار ناصر خسرو هذه المدينة في سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م أطرى ورقها بقوله إن أهل هذه المدينة

«يَصْنَعُونَ بِهَا الْوَرَقَ الْجَمِيلَ مِثْلَ وَرَقِ بَسْمَرْتُغْدِ بِلِ أَحْسَنَ مِنْهُ»^٤.

وكانت طَبْرِيَّةَ تَتَمَيَّزُ كَذَلِكَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ بِصَنَاعَةِ الْكَاعْدِ، وَأَيْضًا كَانَ لَدِمَشْقَ سَمْعَةٌ كَبِيرَةٌ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ^٥.

ووصف الأستاذ محمد كُرْد علي وَرَقَ الشَّامِ وصناعته بقوله:

«وَكَانَ الْوَرَقُ يَصْنَعُ أَشْكَالًا فِي مَكَابِسٍ صَغِيرَةٍ، وَيُعْمَلُ مِنَ الْخَرُوقِ الْبَالِيَةِ أَوْ الْحَرِيرِ، وَاسْتِبدِلَ وَرَقُ الْقُطْنِ الَّذِي مِنْهُ الْوَرَقُ الدِّمَشْقِيُّ بِالْحَرِيرِ فِي

^١ الصولي: أخبار الرازي بالله والمقي بالله من كتاب الأوراق ٢٦٠.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٢ : ٥٢٢.

^٣ نفسه ٢ : ١٦٧ وكوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٧-٤٢٨.

^٤ ناصر خسرو: سفرنامه ٤٨، كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٩.

^٥ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٩.

سنة ٧٠٦م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو. ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦هـ على ورق يُظن أنه من الورق الشامي، وهو أقدم مخطوط عرف بالشام ولا يزال على متانته^١.

وانتشر في مصر كذلك صناعة الورق (الكاغد) حيث انتشر بفسطاط مصر «مطابخ الورق» في القرنين الخامس والسادس للهجرة وخاصة الورق المعروف بـ«الورق الطلحي» و«الورق المنصوري»^٢. ويذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر في أول عهد الدولة المالكية أن:

«مطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة»^٣.

وأشار المقرئ في عند ذكره لخطة بني ربيعة بن عمرو بن الحارث إلى أن:

«هذا الموضع اليوم ورقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر»^٤.

كذلك فقد تحوَّلت دار القنطرة التي أقامها الوزير الأفضل شاهنشاه الفاطمي في الفسطاط إلى ورّاقة، يقول المقرئ:

«ثم استجدَّ للقنطرة دارًا عملت بعد ذلك ورّاقة وهي الآن دار الأمير عز الدين الأقرم بمصر قبال دار الوكالة»^٥.

وفي فترة متأخرة وُجدَ بالقاهرة خان للوراقة يقول المقرئ أيضًا في حديثه عن خُطّ سويقة أمير الجيوش:

«وهذا الخُطّ فيما بين حارة برّجوان وخُطّ خان الوراقة»^٦.

^١ محمد كرد علي: خُطّ الشام ٤: ٢٤٣، كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٣٠.

^٢ Goitein, S. D., *A Med. Soc.* 1, 81.

^٣ ابن سعيد: النجوم الزاهرة في خُطّ حضرة القاهرة ٢٩٤، القرئزي: مسودة المواضع والاعتبار ٢٧ والخُطّ ١: ٣٦٧.

^٤ القرئزي: الخُطّ ١: ٢٦٧ من ٢٣، ١: ٥ من ٥.

^٥ نقسه ١: ٤٢٦ من ٢٤.

^٦ نقسه ٢: ٣٦ من ٢.

أما الأندلس وشمال أفريقيا فقد انتقلت إليها صناعة الورق في مرحلة متأخرة نسبياً واشتهرت به مدينة شاطبة الأندلسية، يقول الشريف الإدريسي: «ويُعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغرب»^١.

ويؤكد ذلك ياقوت الحموي حيث يقول:

«ويُعمل الكاغد الجيد فيها، ويُحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس»^٢.

وفي إفريقية ظلَّ الرق لفترة طويلة هو الوسيلة الوحيدة لتقييد الكتابة، يقول الرحالة المقدسي البشاري عن أهل إفريقية نحو عام ٣٧٥هـ / ٩٨٥م:

«وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان»^٣.

ويضيف العلامة حسن حسني عبد الوهاب في مقاله الهام عن البردي والرق والكاغد في إفريقية التونسية:

«بلغ أهل إفريقية في صناعة تجهيز الرق وصقله وتجهيزه وصنعه أحياناً بألوان مختلفة ما بين أخضر ولازوردي وأحمر قان، الغاية القصوى في الاتقان والنعمه حتى صار الرق من السلع التي يتجهز فيها ويرتق بها إلى جميع آفاق المغرب والأندلس والعدوة الأفريقية».

ودامت صناعة الرق في القيروان وإفريقية عموماً في غو وازدهار دهر طويلاً، وقد كثبت عليه المصاحف والصكوك والمقود إلى آخر القرن الثامن للهجرة على حين نجد أن الرق تقطع استعماله في المشرق

^١ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ٥٥٦.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٣: ٢٣٥.

^٣ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٢٣٧.

على أن وجود الرق واستعماله في كتابات معينة لم يمنع الأفارقة من اتخاذ الكاغد والكتابة عليه فقد كانا مستعملين معاً في وقت واحد .

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن سكان المغرب وحدهم هم الذين حافظوا إلى الآن على تسمية ورق الكتابة (بالكاغد أو الكاغض) وهو اسمه الأصلي في لغة أهل الصين، أما لفظ الورق المستعمل في الشرق العربي فقد أطلقت عليه مجازاً^١.

ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندي في مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي دَمَّ الورق الذي يعمل به أهل المغرب، بعد أن وصف ورق العراق والشام ومصر قال:

«ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرجة فهو رديء جداً سريع البلي قليل المكنة؛ ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى طلباً لطول البقاء»^٢.

ورغم هذه الإشارات الهامة إلى الكاغد وأنواعه فإننا لا نكاد نعرف عن صناعته غير وصفات محدودة ومجزأة في بياناتها^٣ لا تعيننا على فهم التركيب الصناعي لأصناف الكاغد العديدة التي كتبت عليها المخطوطات القديمة مع ما فيها من تنوع أساليب الصناعة والمكونات وطرق السقي والصقل والتلوين وقلة الأحماض؛ ولا يمكننا من خلالها أن نحدد النماذج الورقية لتلك المسميات القديمة والأحدث عهداً منذ ابن النديم إلى القلقشندي^٤.

١ حسن حسني عبدالوهاب: «البردي والرق والكاغد في إفريقيا التونسية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦) ٤١ - ٤٥.

٢ قلقشندي: صبح الأحرى ٢ : ٤٨٨ وانظر محمد الجزيني: «تقنيات إعداد المخطوط العربية»، في كتاب المخطوط العربية وعلم المخطوطات (إعداد أحمد شوقي بتيين) ٢٠ - ٢١.

٣ المعز بن باديس (المنسوب لـ): عمدة الكتاب ١٤٧ - ١٤٩.

٤ إبراهيم شيوخ: المرجع السابق ١٦.

الحبر والمِداد

والركن الثاني في صناعة الكتاب العربي المخطوط هو الحبر والمِداد. يقول القلقشندي:

«الحبر أصله اللون، يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء»

. والحبر: الأثر يبقى في الجلد . . . قال الحَبَرْد: وأنا أحسب أنه سُمِّيَ بذلك لأن الكتاب يُحَبَّرُ به أي يُحَسَّنُ، أخذًا من قولهم: حَبَّرْتُ الشيء تحبيرًا إذا حَسَّنْتَهُ^١.

«أما المِداد فُسُمِّيَ بذلك لأنه يُمَدُّ القلم أي يُعَيَّنُ، وكل شيء ممدد به شيئًا فهو مِداد . . . [و] سُمِّيَ الزَّيْتُ مِدادًا لأن السَّراج يُمَدُّ به، فكل شيء أمدد به الليقة^٢ مما يكتب به فهو مِداد، وقال ابن قُتَيْبَةَ في قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي﴾: هو من المِداد لا من الإمداد^٣».

ويعد كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري السابق الإشارة إليه^٤، من أوائل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وقد وصل إلينا في نسخة بخط مؤلفها Autographe وقسمته إلى سبع وعشرين مقالة لم يتم منها سوى المقالات الست الأولى وعنوان المقالة السابعة وقد تناول فيها أهم الطرائق المستخدمة في تركيب الحبر والمِداد.

^١ القلقشندي: صحيح الأعشى ٢: ٤٧٢.

^٢ الليقة: ويسمونها العرب الكَرْسُكَ تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون أيضًا من الصوف ومن الحرير الخشن لأن انتفاشها في الحبرة وعدم تليدها أعون على الكتابة. ويتعين على الكاتب تجديدها في كل شهر. (نفسه ٢: ٤٦٨ - ٤٧٠).

^٣ نفس ٢: ٤٧١.

^٤ انظر ما تقدم من ١٤.

ولاحظ الأستاذ إبراهيم شيوخ الذي اهتم بدراسة هذا الكتاب أنه برغم أن المؤلف استطاع أن يُدَوِّن التجارب التقنية وأن يُقدِّم عمله بمقدمة موضحة إلا أن معرفته بالعربية والتحكم في استعمالها كانت محدودة لما يتخلل بعض نصوصه من غموض في المدلولات وتكلف في العبارة وخطاً في الرسم وارتباك في العائد والموصول وتخلط وتغلط في وضع الحركات على الأحرف.

واعترف المؤلف في مقدمته أنه أقبل في هذا التدوين على إثبات المنقول عن العلماء المتقدمين، ولم يسعفه الوقت لتحصيل كل ذلك بإعادة التجربة الشاملة إلا البعض الذي وصل إلى معرفة حقيقته. وينتهي ابن ميمون مدخل كتابه ببرنامج مُفصَّل لسبع وعشرين مقالة قَسَّم كلا منها إلى أبواب، وهو أوسع وأشمل ما فُصِّل عن فنون الحبر. غير أنه للأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الأبواب غير المقالات الست الأولى متممة وذكر عناوين أبواب المقالة السابعة فقط، وليس الكتاب مبتوراً منقطعاً كما يتبادر إلى الذهن وإنما توقَّف المؤلف عامداً كما يقول إبراهيم شيوخ «بطريقة لم أصادف لها شبيهاً ذاكرةً بالكتابة والتصريح أنه يمر - كما نصطلح بلغة اليوم - بأزمة عاطفية، عاقته عن مواصلة بسط مقالات الكتاب»^١.

ومن أهم ما يذكره ابن ميمون المراكشي في هذا الكتاب، وصفات لتركيب المداد منسوبة لكبار العلماء والأدباء الذين تركوا في الثقافة الإسلامية أثراً كبيراً مثل: عيسى بن عمر النحوي المتوفى سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م، ومسلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م، ومحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م، وبختيشوع الطبيب المتوفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م، ومسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ /

^١ إبراهيم شيوخ: المرجع السابق ٢١.

٨٨٩م، ومحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، وأبو علي محمد بن مُقَلَّة المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م، وأبو حيان علي بن محمد التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م، وعلي بن هلال البسواب المتوفى سنة ٤٣٢هـ / ١٠٣٢م، وعلي بن هبة الله بن مأكولا المتوفى سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م وآخرون.

ولم يتردد المؤلف بعد ذكره لصفة الخبر الذي كان يستخدمه الوزير ابن مُقَلَّة عن تسجيل أنه من تركيب أهل الهند كما قيل له وهو بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وهي المرة الأولى التي نعرف فيها هذا العدد من الأحبار منسوبة لأصحابها من أهل العلم وقد ارتكزت أمدّة هؤلاء الأعلام على مفردات مشتركة بينها هي: العَفَص Noix de galle والزَّاج Vitriol والصَّنْغ Gomme Arabique والماء العذب.

وكان بعضهم يستغني عن الصَّنْغ اكتفاءً بتألق السواد وثباته غير محتاج إلى ما يشده إلى الورق أو الرق، وهذا ما كان عليه حبر مُسَلَّم بن الوليد والجاحظ والبخاري^١.

أما كتاب «تُحَف الخواص في طُرف الخواص» للقللوسي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، فنادر في وجوده وترتيبه ووضوح محتواه. وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب، يختص الباب الأول بصناعة الأمدّة، وتناول الباب الثاني كيفية محو (قلع) المداد من الدفاتر والخبر من الكتب والصباغ من الثياب، أما الباب الثالث فقد اشتمل على فوائد تتصل بخواص المفردات المكونة لأصناف من المواد والأصباغ وطرق إعدادها^٢.

^١ إبراهيم شريح: المرجع السابق ٢١ - ٢٢.

^٢ نفسه ٢٤ - ٢٦.

صنعة المدا

نقل الفلقشندي عن الوزير أبي علي بن مقله صفة صنعة للمدا الجيد، قال:

«وأجود المدا ما أتخذ من سخام النفط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاء تخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم ولا يزال يُساط على نار لينة حتى يُخثن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يُترك في إناء ويُرفع إلى وقت الحاجة»^١.

وكانت هناك أنواع من الحبر تناسب الكتابة على الرق وأخرى تناسب الكتابة على الكاغد (الورق). وقد أورد الفلقشندي كيفية صناعة كل من النوعين.

ففيما يناسب الرق:

«يؤخذ من العفص الشامي رطل واحد فيجرح، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بخاصة ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة»^٢.

صفة حبر سقري: يعمل على البارد من غير نار، يؤخذ العفص فيجرح جرحاً جيداً ويسحق لكل أوقية عفص درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربي، ويلقى عليه ويرفع إلى وقت الحاجة. فإذا احتاج إليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله»^٣.

^١ الفلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٤٧٥.

^٢ نفسه ٢: ٤٧٦ - ٤٧٧.

ففيما يناسب الكاعْد :

«يؤخذ من المَقْصُ الشامي قدر رطل يَدَقُّ جريشا وَيُنْقَعُ في ستة أروطال ماء مع قليل من الأس : (وهو المرسين) أسبوعاً، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانياً، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الخلاقة . ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوح الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الخير [ثلاث أوقية] بعد أن تسحق الدخان بخلوة تُكْنُك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزنجار إلى أن تجيد سحقه، ولا تصنعه في صلاية ولا هاون يُسَدُّ عليك»^١.

صناعة التجليد (التسفير)

لعلَّ من الغريب أن كل المؤلفات التي وصَّلت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس^٢، فرغم أن حرقَّة «الوراقة» وهي الحرقَّة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربي قد لعبت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسي، فإنه لم يصل إلينا أدبٌ مشرقيٌّ يُعرِّف بكيفية صناعة الكتاب المخطوط، وربما تكشف لنا الأيام عن وجود مثل هذا الأدب في الخزائن غير المفهرسة.

ومع ذلك فإن ما وصَّلت إلينا من هذه المؤلفات على نذارته مفيدٌ ومتكاملٌ ويتعلَّق أغلبه بصناعة التجليد (التسفير) التي تُعَدُّ الصناعة المتممة للجهد والمحافظة على حصيلة الفكر والمحافظة لأوراق الكتاب من التلف، والتي تهتم

^١ الفلشتدي: صبح ٢ : ٤٧٦.

^٢ انظر فيما سبق ص ١٣ - ١٥.

كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجى بحيث يتلاءم مع قيمته ومحتوياته ، وتظهر آثار هذه الصناعة الفنية على الخصوص فيما وصل إلينا من مصاحف كريمة وربعات شريفة .

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد المفردة مثل : الجلد والخير والورق المثبّد والخشب والخيط والغراء ، بالإضافة إلى حرفة الصانع فى الحَبْك والقَصّ والرَّشْم والرَّشْم وغير ذلك .

وإذا كان الفصل الثانى عشر من كتاب «عُمدَةُ الكُتَّاب» الذى أُلّف للأثير الصنْهَاجي تميم بن المعز بن باديس ، يُعدُّ أقدم نصٍّ متكامل ويبيّن يعرض آلات المُنْجَلّد ومناقشه ويشرح طريقة الحَبْك وكيفية اختيار الجلود الملائمة وإعدادها ونشرها ونُدّها وطريقة تثبيتها ^١ فإن كتاب «التيسير فى صناعة التفسير» للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م هو أشمل كتاب تناول موضوع تجليد الكتب ، وكان مؤلفه ، كما يقول ابن الزبير : «يحترف تفسير الكتب» فلا عجب أن يؤلّف كتاباً يشرح فيه خطوات عملية تجليد الكتب وصناعتها . ويقع الكتاب فى عشرين باباً ينقسم بعضها إلى فصول فيما يلي بياناتها :

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| ١ - باب الأداة . | ٢ - باب الأغرة . |
| ٣ - باب التخزيم وحكمه . | ٤ - باب التفتية . |
| ٥ - باب التسوية . | ٦ - باب الحبك وحكمه . |

^١ انظر ما تقدم من ١٣ وكذلك عبدالستار الخطوجي : الخطوط العربية ، ٢٣١ - ٢٤٧ عبدالحفيظ إبراهيم : «التجليد فى مصر الإسلامية - جريدة مصحف بدار الكتب المصرية» فى كتاب «دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية» القاهرة ١٩٦٢ ، سهام المهدي : تجليد الكتب فى مصر فى العصر المملوكي - رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤ اعتماد يوسف القصيري : فن التجليد عند المسلمين - بغداد ١٩٧٩ ، Gulnar Bosch, John Carswell and Guy Petherbridge, *Islamic Binding and Bookmaking*, Chicago 1981 ; Gacek, Adam, «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbīlī in his "Kutāb al-taysīr fī ḡinā'at al-tasfīr"», *MME* V (1990-1991), pp. 106 - 113.

- ٧ - باب التبطين .
 ٩ - باب تركيب الجلد .
 ١١ - باب طبع النقم .
 ١٣ - باب نقش الضرس .
 ١٥ - باب العمل في الأزرع والغراء .
 ١٧ - باب العمل في الأقربة البنية .
 ١٩ - باب في النكت .
 ٨ - باب البشتر .
 ١٠ - باب العمل في الأسفار البوالي .
 ١٢ - باب النقش .
 ١٤ - باب الأمثلة .
 ١٦ - باب العمل في أقربة المصاحف .
 ١٨ - باب العمل في الجوامع .
 ٢٠ - باب في العيوب .

التجليد المكيّر

في بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تُجمَع بين لوحين من الخشب بينهما كَغَبٌّ، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كُسُوة من الرق أو الجلد أو القماش أو صفائح المعدن، ثم أضيف إلى ذلك كله قفل أو أبزيم واحد أو أكثر ليتمكن قفل المجلد قفلاً محكمًا، لذلك كانت هذه الكتب ثقيلة الوزن جدًا^١.

ويرجع صناعة أقدم جلود الكتب المعروفة في العصور الإسلامية إلى مصر ويمكن تأريخها فيما بين القرنين الثالث والخامس للهجرة، وتذكرنا زخارف هذه الجلود بالزخارف الهندسية في جلود بعض الكتب القبطية التي ترجع إلى هذه الفترة.

وقد تعلّم المسلمون أساليب التجليد عن القبط في أعقاب فتح مصر، فقد حدّق الأقباط هذه الصناعة في العصر المسيحي ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي. وكانت أساليب التجليد في القرون الإسلامية الأولى في مصر تُنسَج على منوال ما عرفه القبط من حيث الصناعة والشكل والزخرفة لحد كبير^٢.

^١ عبد اللطيف إبراهيم: التجليد في مصر الإسلامية ٨.

^٢ زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠، عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٩.

وللأسف الشديد لم تصل إلينا أي جلود ترجع إلى هذه الفترة المبكرة تمكثنا من متابعة تطور هذه الصناعة خلال هذه الفترة.

وقد ذكر لنا ابن النديم في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، أسماء عدد من المجلدين منهم ابن أبي الخريش الذي كان يُجلّد في خزنة الخليفة المأمون العباسي، وأبو عيسى بن شيران ودميان الأعسر بن الحنّام إبراهيم والحسين بن الصّغار^١.

وذكر الرحالة الفلسطيني المقدسي البشاري (ألف كتابه سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٩م) أنه تعلّم أثناء إقامته في مصر صناعة التجليد، وكان من بين ألقابه لقب وراق ومجلّد حيث كان يُجلّد المصاحف بالأجر^٢.

وكانت الجلود الأولى في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، تُصنّع من خشب السّدر المغطى بالجلد والمزين بالرسوم الهندسية العادية ويدون تذهيب غالباً. أما المصاحف الكبيرة الحجم والخاصة بالمساجد الجامعة فكانت تُجلّد بالخشب المزخرف عن طريق تطعيمه بالعاج والعظم والسّدَف أو تشييته على طبقة من الغراء الشديد، ثم استخدم الورق المضغوط أو المقوّى عوضاً عن الخشب في تقوية غلاف الكتاب. وبعد انتشار صناعة الورق أقبل الناس على تجليد المصاحف والكتب بالورق والجلد مع استخدام الزخارف المكوّنة من الرسوم والخطوط المتشابكة في تزيين هذه الجلود^٣، كما استخدم الديباج والحبر في تبطين جلود هذه الكتب، فيذكر الخطيب البغدادي أن كتب أصحاب الحلاج التي جمعها حامد بن العباس وزير المقتدر بالله العباسي في محنة الحلاج كانت مبطّنة بالديباج والحبر، مجلدة بالأديم الجيّد^٤.

^١ ابن النديم: الفهرست ١٢.

^٢ المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٤، ٣٣، ١٠٠.

^٣ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١١ - ١٢.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨ : ١٣٥.

وللأسف فإننا لا نعرف الكثير عن جلود الكتب التي ترجع إلى العصر الإسلامي المبكر، فما وصل إلينا منها شيء قليل، وإن كان أكثرها قد صنع في مصر، وتألّف زخارفها من أشكال هندسية وخطوط مجدولة أو تُوَلِّف أشكالاً بيضاوية وكلها مقتبسة من زخارف جلود الكتب القبطية. ويرجع فقد كل أثر لنماذج هذا التجليد المبكر بسبب تدمير المكتبات الإسلامية الكبرى، فقد تفرقت مكتبة الفاطميين وأحرق قسم كبير منها، أولاً إبان الشدة العظمى حيث أخذ العبيد جلود هذه الكتب «يرسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم»، ثم بعد استيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١٠٧٢م، كما دُمِّرت خزانة الكتب في بغداد بعد سقوطها واجتياح المغول لها سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^١.

تطوّر صناعة التجليد

ومع ذلك فقد تقدّم المسلمون في بعض الأقطار في فن صناعة وتجليد الكتاب وعرفوا طريقة الدق أو الضغط، كما استخدموا التخرير والدهان والتجبيس بالقماش، وكانوا أحياناً يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه ثم يلصقونه على الأرضية الملونة. وهي عملية في غاية المهارة والدقة. عادة ما كانت تُشعّع في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل ثم يُذهَّبون الخطوط والرسوم بعد ذلك. وفي بعض الأحيان استخدم المجلدون طريقة قوامها طيقتان من الجلد تُلصق إحداها فوق الأخرى^٢.

ولم يقف اهتمام القدماء عند تجليد الكتب فقط، بل اهتموا كذلك بصيانتها وترميمها خاصة في الكتب المتداولة في المكتبات العامة، فقد أوقف الخليفة الحاكم بأمر الله على دار الحكمة التي أنشأها في القاهرة سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م اثني عشر ديناراً «لأن يرم ما ينقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها»^٣.

^١ القريري: المخطوط ١: ٤٠٩ س ١٩ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٢ - ١٣.
^٢ زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠ - ٢٣١ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٣.
^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٨ س ١١٠ القريري: المخطوط ١: ٤٥٩ س ١٢.

ولم تقتصر صناعة التجليد على مصر وحدها، بل إن بلاد المغرب والأندلس تفرّقت في هذا الفن منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي^١. لكن هذه الصناعة بلغت أوج ازدهارها في إيران، وخاصة في مدينة هرة إبان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إذ خرج الفنانون والمجلدون على الأساليب الهندسية القديمة وأبدعوا في تأليف الزخارف من الرسوم النباتية والمناظر الطبيعية البرية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية والخرافية^٢.

وقد استطاعوا الوصول إلى اتقان الزخارف المذكورة بعد أن تخلّوا عن طريقة الضغّط بقطعة مديبة من العظم أو الخشب، أو الدق بالآلة المعدنية البسيطة التي تُنتج الرسوم الهندسية ورسوم الفروع النباتية، واستخدموا القوالب النباتية Estampes التي كانوا يضغطون فيها الجلد بقوة فتظهر فيه التناؤات الشديدة البروز على شكل العناصر الزخرفية والحيوانية بل والصور آدمية. ولأجل ذلك استعان المجلدون بالمصورين في تصميم بعض رسوم الجلود وعلى الأخص رسم الأشكال آدمية والزخارف النباتية التي يبدو فيها تأثير أساليب الشرق الأقصى الفنية^٣.

ازدهار التجليد في العصر المملوكي

أما صناعة تجليد المصاحف والكتب في مصر والشام في عصر دولة المماليك فقد بلغت أوج عظمتها مع نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ولكن أساس الزخرفة فيها كانت العناصر الهندسية والنباتية ليس غير. وانتجت لنا هذه الفترة أفخر المخطوطات وأثمن المصاحف ذات الزخارف المذهبة والجلود

^١ القري : فتح العلي ١ : ٦١١ - ٦١٤.

^٢ زكي محمد حسن : المرجع السابق ٢٣١.

^٣ نفسه ٢٣١.

الفاخرة، حتى يقال أن تيمورلنك استقدم في نهاية القرن الثامن الهجري إلى بلاطه مهرة المجلدين في مصر والشام^١.

ويعتبر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي العصر الذهبي لصناعة تجليد الكتب في مصر والشام من حيث المهارة الفنية، وأصبح لمدينة القاهرة في عصر المماليك مركز الصدارة في إنتاج الكتب والمصاحف وزخرفتها وتجليدها، وخاصة بعد أن اجتذبت الكثير من الفنانين والمجلدين من أنحاء العالم الإسلامي وخاصة من إيران^٢.

ولم تقف عناية المجلدين واهتمامهم عند الجزء الخارجي للجلود بل امتدت إلى باطن الجلدة نفسها وإلى الكعب واللسان كذلك حيث زُيّنت هي الأخرى أبدع تزيين. وكانت معظم جلود الكتب والمصاحف في ذلك العصر تتخذ من جلود الخراف والماعز أو من جلود العجول الصغيرة^٣. وقد أثّرت فنون العمارة المملوكية وزخارفها كثيراً على فن تجليد الكتب والمصاحف، لدرجة أننا نجد الأشكال الهندسية والنباتية الموجودة على الحجر والجص والخشب، مثل الأطباق النجمية والصُّرر والجامات، مستعملة في جلود بعض المخطوطات والمصاحف التي ترجع إلى نفس العصر^٤.

وقد وصّلت إلينا أمثلة كثيرة لفن صناعة التجليد في العصر المملوكي حفّلت بها دور الكتب في مصر وأوروبا والعالم الإسلامي، يمكن من خلالها متابعة تطوره وازدهاره ودراسة أساليب الصناعة والزخارف فيه. وكان لكثرة المنشآت الدينية والتعليمية في هذا العصر مثل المدارس والخوانق والمساجد الجامعة دور في ازدهار هذه الصناعة، حيث أهدى سلاطين وأمراء المماليك الكثير من الكتب

^١ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٥.

^٢ حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ١٦٥: عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٦.

^٣ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٧.

^٤ زكي محمد حسن: المرجع السابق ٢٢٩: عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٩.

إلى هذه المدارس وأوقفوها عليها، كما أمروا بكتابة العديد من المصاحف ذات الحجم الكبير لحزائنتهم وأوقفوها على هذه المدارس، وكلها تمثل غودجاً لما وصل إليه فن الكتابة والتذهيب والتجليد في هذا العصر من تطور وازدهار لم يشهدها الكتاب العربي قبل ذلك.

وأغلب الجلود التي وصلت إلينا خاصة بالمصاحف والرُبعات والتي بدأت منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تتخذ شكلاً موحداً هو الشكل الأفقي الذي يزيد ارتفاعه عن عرضه وهو المعروف بالمصحف العمودي يتصل بها لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته إلى ثلث حجم الكتاب بواسطة ما يُطلق عليه «قنطرة اللسان» وهو تطور عن شكل اللسان في الكتب المبكرة.

ويتكون الغلاف من الجلد الخارجية والبطانة الداخلية وبينهما دفوف من الورق المضغوط، أما الكتاب فيتكون من ملازم (كراسات) منضومة معاً بطريقة تجعل الخيوط تبدو كالسلسلة أو الجديلة في خلفية الملازم (الكراسات) مع تقفية كعب الكتاب، أي تدويره، حتى لا يتصرم إلى الأمام فيما بعد.

وتتصل الملازم (الكراسات) بالغلاف الجلد بواسطة الدفوف التي يشيت عليها كعب من القماش ويشيكاً معاً بالكراسات من الخلف ويلتصقان بالغلاف الخارجي والبطانة الداخلية، وتترك صفحات بيضاء في أول الكتاب ونهايته لتثبيت أطراف البطانة بها من الجهتين، ثم يشبك الجميع في كعب قماش في رأس وذيل الكتاب منسوجاً في طرفيه بخيوط ملونة.

أما الغلاف الخارجي فكان من الجلد البني بدرجاته من قطعة واحدة مع الكعب واللسان، أما البطانة فمن الجلد الميشور أو الخفيف وقد يكون من قماش الحرير الأزرق أو الأخضر بدرجاته، واستخدم الغراء في عملية لصق الجلود في المصاحف الكبيرة بينما استخدم النشا الممتخذ من البر والكثيراء في لصق جلود الكتب الصغيرة^١.

^١ سهام محمد المهدي: «أخصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي» في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٧، ص ٧٩.

أما الزخارف الموجودة على جلد الكتاب وبطائنه فقد نُقِدت بطرق متطورة مثل القَطْع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة، واستخدم التذهيب في معظم الزخارف وخاصة المُفَرَّغَة منها فضلاً عن استخدامه مضغوطاً على بعض الأغلفة.

واستُخدمت طرق كثيرة في التذهيب منها الضَّغَط بالذهب المصهور أو الضَّغَط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضَّغَط عليها. وفي أواخر القرن التاسع الهجري استخدم التذهيب بالفرشاة^١.

أما بطانة المخطوط فكان يتم زخرفتها قبل قصّها بقدر الكتاب، واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة ذات بروز بعد تسخينها ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، بعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى متن وأركان وإطار ولسان، يحتاج كل منها إلى نوع خاص من القوالب لا تستخدم وحدات زخرفية متكررة ومتتابة. وكانت نفس الوحدات الزخرفية تتكرر في المتن والإطار واللسان. ولكن في أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف العناصر الأخرى^٢.

وكان كثير من المجلدين والمذهبين في العصر المملوكي تُجَاراً للكتب في أسواق الوراق بالقاهرة مثل: سالم بن محمد بن محمد القرشي الحموي ثم القاهري الكتبي الذي «تكتسب بصناعة تجليد الكتب» [سخاري: «الفرع التاسع» ٣ : ٢٤٢] وعمر بن محمد إبراهيم الحلبي الكتبي الذي كان «يتكسب بصناعة التجليد» أيضاً [نفسه ٦ : ١١٥] وأبو العباس محمد بن إبراهيم بن محمد بن خطاب الحلبي الكتبي الذي كان يارعاً في التجليد [نفسه ٦ : ٢٧٤ - ٢٧٥] وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشمسي الذي تميّز في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعمل المزهرات وقص الورق [نفسه ٩ : ٦] وغيرهم.

^١ سهام محمد المهدي: المرجع السابق ٨٠.

^٢ نفسه ٨٠.

ومع انتقال السلطة إلى العثمانيين في أعقاب سقوط المماليك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وما صاحب ذلك من نقل الحرفيين والفنيين من مصر والشام إلى تركيا، ازدهرت هناك صناعة تجليد الكتب وأدخلت عليها فنون جديدة وخاصة فيما يخص تجليد المصاحف والمخطوطات التركية. وقد جمع جوليان رابي وزيرين تينندي مجموعة كبيرة من الجلود التركية صدرت عام ١٩٩٣م توضح التقنيات المختلفة بصناعة تجليد الكتب التي نشأت في البلاط العثماني^١.

التَّعْقِيَّة

واستكمالاً لعملية صناعة الكتاب استخدم القدماء لترتيب أوراق المخطوط وكراساته نوعاً من الترقيم اصطلح على تسميته بـ «التَّعْقِيَّة» تيسيراً على مطالعته من جهة وللمساعدة المختصين في صناعة المخطوط كالمُرَقِّمين والمجلدين وغيرهم في ترتيب كراسات (ملازم) للمخطوط من جهة أخرى. ويلاحظ أن هذه الخاصية لم تختص بالمخطوط العربي فقط بل عُرِّفت في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندوأوروبية.

والتَّعْقِيَّة تعني أن يُثَبَّتِ الناسخ في نهاية الصفحة اليمنى تحت آخر كلمة من السطر الأخير منها أول كلمة في الصفحة التالية، أو أن يكتب بأن يُثَبَّتِ في نهاية كل كراسة أول كلمة في الكراسة التالية بالطريقة نفسها. وتكون عادة أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الصفحة اليمنى وقد تحيء أحياناً عمودية. وقد استُخدِمَ نظام التَّعْقِيَّة كذلك في الطباعات الحجرية القديمة بحيث أننا ننتبهها نستطيع الاطمئنان إلى تسلسل الكتاب.

^١ - Julian Raby, Zeren Tanindi and Tim Stanley, *Turkish Bookbinding in the 15th century* - The Foundation of an Ottoman Court Style, London- Azimuth Editions 1993
كل ذلك، Tanindi, Z., «Manuscripts production in the Ottoman Palace workshops», *MME* 5
Duncan Halden, *Islamic Bookbind-* وعن التجليد الإسلامي صموئيل راجع -
ings in the Victoria and Albert Museum, London 1983, pp. 20-66

ولا شك أن نظام التّعقيبة قديم يرجع إلى بداية القرن الثالث الهجري، فقد وُجِدَتْ في العديد من المخطوطات التي ترجع إلى هذه الفترة، فكتاب «تاريخ ملوك العرب» لعبد الملك بن قريش الأصمعي الذي نسخه ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال سنة ٢٤٣ هـ يحمل التّعقيبة بين صفحاته، وكذلك نسخة «ديوان الفردق» التي كتبها أحمد بن أخّي الشافعي سنة ٣٣١ هـ، ونسخة كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي معشر البَلخي المؤرخة سنة ٣٢٥ هـ^١. يؤكد ذلك ما أورده الخطيب البغدادي في ترجمة أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب النحو والغريب واللغة المتوفى في جمادى الأولى سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٨٥ م، نقلاً عن أبي عمرو بن العلاء قال:

«خَدَّغْتِي أَبُو مَسْحَلٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ الْكَاتِبَ أَقْدَمَ أَبَا عُبَيْدَةَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَخْضَرَ الْأَثَرُ - وَكَانَ وَرَاقًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - وَجَعَلَهُ فِي دَارٍ مِنْ دُورِهِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَدَقَّعَ إِلَيْهِ كِتَابَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَمَرَهُ بِنَسْخِهَا، قَالَ [أَبُو مَسْحَلٍ]: فَكُنْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا نَصِيرُ إِلَى الْأَثَرِ فَيُدْفَعُ إِلَيْنَا الْكِتَابُ مِنْ تَحْتِ الْبَابِ وَيُفَرَّقُ عَلَيْنَا أَوْرَاقًا وَيَدْقَعُ إِلَيْنَا وَرَقًا أبيض من عنده وَيَسْأَلُنَا نَسْخَهُ وَتَمْجِيلَهُ وَيُؤَافِقُنَا عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي تُرَدُّ عَلَيْهِ فِيهِ، فَكُنَّا نَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَانَ الْأَثَرُ يَقْرَأُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَيَسْمَعُهُ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَضْرَ النَّاسِ بِكُتُبِهِ وَلَوْ عَلِمَ بِمَا فَعَلَ الْأَثَرُ لَمَنَعَهُ مِنْهُ وَلَمْ يَسَامَحْهُ»^٢.

فهذا الذي فعله الأثرم لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك نوع من الترتيب للورق هو دون شك التّعقيبة حتى يستطيع النساخ الاهتداء به في عملية النسخ. وظلت التّعقيبة من أهم ما يميز ترتيب أوراق وكراسات المخطوط العربي حتى ظهور الطباعة بل إنها استخدمت في كثير من الطباعات الحجرية.

^١ أحمد شوقي بينين: «التّعقيبة في المخطوط العربي»، في كتاب دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي ٧١ - ٧٩.

^٢ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢: ١٠٨ ياقوت: معجم الأسماء ١٥: ٧٧ - ٨٧ الصفي: الرافعي بالرفيات ٢٢: ٢١٤.

تَطَوُّرُ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

انتهت الأبحاث العلمية إلى أن العرب أخذوا طريقهم في الكتابة عن طريق الأتباط الذين كانوا يسكنون قبل الإسلام في المناطق المجاورة للعرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح والعُلى في شمال الحجاز، وذلك اعتماداً على ما عُثر عليه من نقوش نبطية في هذه الأماكن مثل نقش أم الجمال الأول ٢٥٠٠م ونقش التَّمَارَة ٣٢٨م^١ ونقش زَيْد ٥٢١م ونقش أُمَيْس ٥٢٨م ونقش حَرَّان ٥٦٨م ونقش أم الجمال الثاني الذي يرجع إلى القرن السادس الميلادي. فقد لاحظ بعض العلماء من خلال تَتَبُّع هذه النقوش ومقارنتها بأقدم ما وصل إلينا من خطوط عربية إسلامية سواء أكانت كتابات أثرية أم كتابات على الرِّقِّ أو على البرديات، إن هذه النقوش النبطية يمكن أن تُمثِّل مرحلة انتقال من الخط النبطي إلى الخط العربي في صدر الإسلام.

وتذكر المصادر العربية هذا الخط الذي انتهى إلى العرب عن طريق الأتباط بعدة أسماء منها: الخط الأنباري والخط الحيري والخط المَدَنِي والخط المَكِّي، وكلها خطوط عرقها العرب قبل الإسلام واشتقوها من خط الأتباط، ثم عرف هذا الخط بالخط البَصْرِي والخط الكُوفِي وهما الخطان اللذان عرقهما العرب بعد الإسلام^٢.

^١ Bellamy, J. A., «A New Reading of the Namarah Inscription», *JAOS* 105 (1984), pp. 31 - 48.

^٢ راجع، تحليل يحيى تامي: «أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام»، مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٣ (١٩٣٥)، ١ - ١١٢، Abbott, N., *The Rise of the North Arabic Script and its Kur'anic development, with a full description of the Kur'an manuscripts in the Oriental Institute*, Oriental Institute publications, t. I., Chicago 1938. «النجدي» صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت - دار الكتاب الجديد

الخط العربي المبكر

ومعلوماتنا عن هذه الخطوط المبكرة ضئيلة للغاية وقد أشار ابن التديم في «الفهرست» إلى بعض خصائص الخطين المكي والمدني، يقول: «فأول الخطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي». فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعريج إلى يمين اليد وأعلى الأصابع وفي شكله انضجاع يسير^١.

وما ذكره ابن التديم يدل على أنه لم تكن هناك ثمة فروق خصائصية واضحة بين الخط المكي والخط المدني.

وقد وصلت إلينا وثيقة هامة تدلنا على صفة الخط المدني وليوثته هي بردية مؤرخة في عام ٢٢٢هـ / ٦٤٣م تعرف بـ «بردية أهناسية» عبارة عن إيصال باستلام أغنام صادر عن عامل لعمر بن العاص على أهناسية من قرى مصر (وهي محفوظة في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا برقم ٥٥٨).

كما تحتفظ المكتبة الأهلية في باريس ببعض المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، وأدّى الاكتشاف الكبير الذي تم في الجامع الكبير بصنعاء اليمن في سنتي ١٩٦٥ و ١٩٧٢ إلى العثور على عدد كبير من المصاحف المكتوبة بالقلم الحجازي وبالقلم الكوفي المبكر وأغلبها مدون على الرق^٢.

^١ ١٩٧٢: محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٢: محمود شكري الجبوري: نشأة الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤: عبدالعزيز الدالي: الخطاطة - الكتابة العربية، القاهرة ١٩٨٠: Heal-ey, John F., « Nabataean to Arabic: Calligraphy and script development among the pre-Islamic Arabs », *MME* 5 (1990 - 91), pp. 41-52; Gruendler, B., *The Development of the Arabic Scripts From Nabataean Era to the First Islamic Century According to dated Texts*, Atlanta 1993, ed. Texis, Roman, أوغور: فن الخط - تاريخه ونماذج من روايته على مر العصور، استانبول - إرسكيا ١٩٩٠.

^٢ ابن التديم: الفهرست، ٩.
Déroche, Fr., *Les manuscrits du Coran. Aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983: دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

أما الخط البصري فلم تصل إلينا منه أمثلة نستطيع أن نتعرف منها على صفته وأغلب الظن أنه كان والخط الكوفي شيئاً واحداً لقرب ما بينهما من العهد والمكان - لا يكاد يميز أحدهما عن الآخر إلا اختلاف في درجة الإجابة نتج عن التنافس المعروف بين مدرستي الكوفة والبصرة^١.

ويرجح أن تكون تسمية الخطوط بأسماء المدن جاءت نتيجة لأن العرب - الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام - تلقوا هذه الخطوط مع السلع المجلوبة فسموها بأسماء الجهات التي وردت منها، خاصة وأن الخط العربي قبل عصر النبوة قد عرف بالخط النبطي لأنه أتى إلى بلاد العرب من بلاد النبط مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون مع الأنباط، كما عرف بـ «الخيرى» و«الأنباري» لأنه أتى إلى بلاد العرب مع تجارة إقليم السواد عن طريق دومة الجندل. ويانتهاء الخط إلى مكة والمدينة عرف باسميهما ثم أطلق عليه اسم الإقليم كله حيث عرف فيما بعد «بالخط الحجازي»^٢. وهي تسمية محدثة لا توجد في المصادر القديمة.

خطوط المصاحف

المبكرة

ذكر ابن النديم في «الفهرست» أن الخطوط التي كتبت بها المصاحف هي: المكي والمدني، وينقسم الخط المدني إلى المدور والمثلث والتشم - وصفة كل من المدور والمثلث واضحة من اسميهما أما التشم فيبدو أنه جمع بين النوعين - ثم الكوفي والبصري والمشق والتجاويد والسلوطني والمصنوع والمائل والرافص والأصفهاني والجلبي والقيراموز (وهو خط العجم) وهو نوعان: الناصري والمدور^٣.

^١ إبراهيم جعجع: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٩، ١٩.

^٢ نفسه ١٩ - ٢٠.

^٣ ابن النديم: الفهرست، ٩.

وأضاف بعد ذلك أن الناس لم يزالوا يكتبون على مثال الخط القديم إلى أول الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه المخطوط وحدثت خطٌ يسمى العراقي وهو المصحف الذي يسمى ورأقي^١.

وعلى الرغم من معرفتنا بأنواع هذه المخطوط من خلال ما ذكره ابن النديم، فإنه ليس في استطاعتنا أن ننسبها إلى أزمانها لأننا لم نعثر لها على أمثلة مؤرخة فيما عدا نماذج قليلة من الخط الحجازي (المائل) وخط المَشَقّ^٢.

وَيُرَجَّحُ أن يكون أقدم المخطوط استعمالاً في تدوين المصحف هو الخط المكي والخط المدني الذي يعد الخط الحجازي المائل تطوراً لهما، ثم خط البصرة وخط الكوفة، وتبع ذلك بقية الأقلام التي اخترعت بقصد التحسين والتجويد، يؤيد ذلك ما ذهب إليه تولدكة في كتابه عن «تاريخ القرآن» من أن مصحف عثمان كان بالخط المكي وأن مصحف ابن مسعود وأبي موسى بن قيس كانا بالخط الكوفي^٣.

وبدل على قدم الخط الحجازي (المائل) والذي استخدم في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، خلوه من الثَقَط وحركات الإعراب.

أما خط المَشَقّ (وهو الخط السريع) والذي تَطَوَّرَ أولاً في مكة والمدينة خلال القرن الهجري الأول في نفس الوقت الذي أخذ فيه الخط الكوفي المبكر في التطور، فأهم صفاته المَط والامتداد الأفقي لبعض الحروف لأنه كان يُكْتَب بسرعة مما يؤدي إلى إطالة استمداداته الأفقية على حساب ارتفاع أصابعه وضيق ما بين سطوره تبعاً لذلك.

وقد تُسَبَّ إلى عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني قوله: «شَرُّ القراءة

^١ ابن النديم: الفهرست ١١.

^٢ راجع كتاب، مصاحف صنعاء - دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٨٥.

^٣ إبراهيم جمعة: المرجع السابق ٦٢.

الهدرمة وشر الكتابة المشق وأجود الخط أثبتته^١ وإن صح ذلك فنستطيع أن نضع هذا النوع من الخط في زمن واحد مع أقدم خطوط المصاحف وهما الخطان المكي والمدني (الحجازي).

وقد أدى ما في خط المشق من التمهيط والمد غرضين: إما كان إحداث التساوي بين أطوال السطور، واتخاذ هذا التمهيط وسيلة من وسائل التجميل في الخطوط الكوفية عامة.

وقد شاع في كتابة المصاحف الكوفية عموماً الخط المحقق وهو خط مبسوط نشأ في العراق وتعرف له سلاتان إحداهما بها مسحة من الترييع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن وهو يجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى الترييع والزوايا، استخدم في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة حتى حل محله خط النسخ الذي ابتدعه ابن البواب، والأخرى أخف وأكثر تدويراً، استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن وهو ما عرف بالمحقق الوراقى أو خط التحرير الذي استخدمه الوراقون في النسخ، وهذا الخط هو الذي نال تجويداً ظاهراً فيما بعد على يد ابن مقلة وابن البواب.

كتاب المصحف

ذكر ابن النديم أن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهيثاج قال: «رأيت مصحفاً بخطه»^٢. وذكر أيضاً أن سعد خضه كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من «والشمس وضحاها» إلى آخر القرآن^٣. ومن كتّاب المصحف

^١ أبو حيان: رسالة في علم الكتابة ١٣٨: ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ٣٠٤.

^٢ ليراهيم جمعه: المرجع السابق ٢٨.

^٣ ابن النديم: الفهرست ٩ و ٤٦.

^٤ نفسه ٩.

أيضاً أبو يحيى مالك بن دينار البصري مولى أسامة بن لؤي «كان يكتب المصاحف بالأجرة» ومات بالبصرة سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م قبل الطاعون بيسير^١.

ويذكر ابن أبي داود السجستاني أن جابر بن زَيْد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ / ٧١١م دَخَلَ عليه فَوَجَدَهُ يكتب المصحف فقال له: «مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله كَسْبُ الخلال، هذا والله كَسْبُ الخلال»^٢.

وأول من كتب المصحف في أيام الدولة الأموية شخص يدعى قُطَيْبَةُ يُعَزَّى إليه استخراج الأقسام الأربعة: الجليل والطومار والثَلث والثلاثين واشتقاق بعضهما من بعض، قال ابن النديم: «قُطَيْبَةُ أكتب الناس على الأرض بالعربية». ثم كان بعده الفُضَحَّاك بن عَجَلان الكاتب في أول خلافة بني العباس فزاد على قُطَيْبَةَ فكان بعده أكتب الخلق. ثم كان بعده إسحاق بن حَمَّاد في خلافة المنصور بالله والمهدي بالله العباسيين^٣.

أما أشهر كُتَّاب المصحف في عصر الخليفة هارون الرشيد فكانا خُشْنَام البصري ومُهْدِي الكوفي، يقول ابن النديم: «لم يُر مثلهما إلى حيث انتهينا»^٤، وأيضاً أبو حَزْذِي الذي كان يكتب المصاحف اللطاف في أيام المعتصم^٥.

الشكل والإعجام

نتيجة لحركة الفتوح العربية الكبرى ولدخول العديد من الأمم غير العربية في دين الإسلام بدأ يظهر اللَّحْن في قَوْل هؤلاء وخُشِيَ على القرآن أن يتطرق إليه اللَّحْن، فطَلَبَ زياد بن أبيه والي البصرة من أبي الأسود الدؤلي مؤسس علم

^١ ابن النديم: الفهرست ٥٥٩ ابن قتيبة: المعارف ٤٧٠، ٥٧٧.

^٢ ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف ١٣١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ١٣٩.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٠.

^٤ نفسه ٩.

^٥ نفسه ١٠.

النحو العربي المتوفى سنة ٦٦٩هـ / ٦٨٨م أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة يتمكن من خلالها الناس من إصلاح كلامهم وإعراب كتاب الله .

فبدأ أبو الأسود الدؤلي في وضع «شكّل» الحروف وأخذ الناس عنه هذه الطريقة فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحه ، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسره ، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته ، ولا يضعون شيئاً على الحرف الساكن ، وإذا كان الحرف متوَكِّلاً يضعون نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله ، فاعتبر أبو الأسود بذلك «أول من نَقَطَ المصحف» .

ولم تشتهر طريقة أبي الأسود الدؤلي إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن . أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم^١ .

والإعجام هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نُقْطَ لمنع العُجْمَةِ أو اللِّبْسِ وقد خَلَّتْ النقوش التي عثر عليها حتى الآن وكذلك الكتابة النبطية التي اشتقت منها اللغة العربية من النقط .

يذهب بعض العلماء إلى أن النُّقْطَ كان معروفاً قبل كتابة المصحف الإمام (مصحف عثمان) ثم عُدل عنه قصداً وجُرِدَ القرآن منه حتى إذا اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثر الأعاجم الذين أسلموا أو فتح العرب بلادهم تَطَلَّبَ الأمر وضع طريقة جديدة لفضبط قراءة المصحف .

وظلَّ المسلمون يقرأون في مصحف عثمان أكثر من أربعين عاماً ، إلى أن كثر التصحيف في العراق حتى طلب الحجاج بن يوسف الثَّقَفِي والي العراق في عصر عبد الملك بن مروان إلى كُتَّابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة . وتَوَلَّى عملية الإصلاح الثاني في الكتابة العربية نَصْرُ بن عاصم الليثي ويحيى بن

^١ راجع ، ابن أبي داود السجستاني : كتاب المصاحف ١٤٤-١٤٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ١٥٦ - ١٦٧ .

يَعْمُرُ العدواني تلميذ أبي الأسود الدؤلي فقررا وضع نقط لتمييز الأحرف المتشابهة .

فلتمييز الدال من الذال أهملت الأولى وأعجمت الثانية بنقطة واحدة ملوية، وكذلك الراء والزاي، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، وجعلنا تمييز السين من الشين بإهمال الأولى وإعجام الثانية بثلاث نقاط لأن لها ثلاث أمتان . وأما الباء والتاء والياء والتون فلم تجعل واحدة منهن مهملة بل أعجمت كلها، أما الجيم والحاء والفاء فقد جعلت الحاء مهملة وأعجم الأخرى واحدة من تحت والأخرى من فوق . أما الفاء والقاف فكان القياس أن تهمل أولاهما وتعجم أخراهما بنقطة كباقي الأحرف الزوجية مثل الدال والذال والراء والزاي ولكن المشاركة ذهبوا إلى نقط الفاء بنقطة من أعلى والقاف باثنتين من أعلى أيضاً، وذهب المغاربة إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى^١.

ولما كان هذا الإصلاح يستدعي اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام قرّر نصّر ويحيى أن تكون نُقْطُ الشكل بالمداد الأحمر ونُقْطُ الإعجام بنفس مداد الحروف .

وفي عصر الدولة العباسية أراد الناس أن يجعلوا «الشَّكْل» بنفس مداد الكتابة تيسيراً للأمر . وحلَّ هذا الالتباس عالم اللغة الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى نحو سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٩ م بوضع طريقة أخرى للشكل باستخدام ثمان علامات جديدة للشكل على صورة شُرْط رقيقة تُرْسَمُ بسن القلم أعلى وأسفل الحروف وعلامات التثوين الاصطلاحية المعروفة والهمزات، وهي العلامات التي مازالت تستخدم إلى الآن^٢.

١ رابع، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٣٢، الصفدي : تصحيح الصحيف وتحرير التحريف، ١٤ : الفقهدي : صبح الأعشى ٣ : ١٥١ - ١٥٥ .
٢ رابع درمان، أوغور : المرجع السابق ١٧ - ٢٠ .

تطور الخط العربي

وفي الوقت نفسه أخذ الخط العراقي وهو المُحَقَّق الذي كان يُكْتُب به الوراقون في التَّحَسُّن حتى عصر الخليفة المأمون عندما قام رجلٌ يعرف بالأخوك المُحَرَّر كان من صنائع البرامكة وكان يُحَرَّر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير بوضع قوانين ورسوم للخط وجعله أنواعاً. وهو الذي استحدث قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم السجلات^١ وربما كان الرجل هو إبراهيم بن عبدالله بن الصَّبَّاح بن بشر السَّعْدِي الذي كان ابنه إسحاق المكتنى بأبي الحسين يُعَلِّمُ المقتدر وأولاده ووَضَعَ رسالة في الخط والكتابة سمَّاها «تحفة الواق». يقول ابن النديم: «لم ير في زمانه أحسن خطاً منه ولا أعرف بالكتابة» وكان إخوته وأبناءؤه «في نهاية حُسْن الخط والمعرفة بالكتابة»^٢. ثم أحدث بعد ذلك الوزير ذو الرياستين الفضل بن سَهْل قلماً عرف بالرياسي.

وكانت بداية تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن على يد الأخوك المُحَرَّر، ثم أتته بعده الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقَلَّة وزير المقتدر والقاهر والراضي والمتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م الذي انتهت إليه وأخيه أبي عبدالله جَوْدَةُ الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة كما يقول القلقشندي^٣ وإن بقي فيه تكويفاً ما^٤. كذلك فإن ابن خلدون في مقدمته الشهيرة يصف لنا كيف تزعمت بغداد عملية تطوير الكتابة العربية، يقول:

«خالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه في الكوفة، في الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الروق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار إلى أن رَفَعَ رايته ببغداد علي بن مُقَلَّة ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البَوَّاب. ووقف سند تعليمها في المائة الثالثة وما بعدها، وبعثت

^١ ابن النديم: الفهرست ١١١، ياقوت: معجم الأديباء ٦: ٥٩.

^٢ نفسه: ١١ - ١٢، نفسه ٦: ٦٠ - ٦١، الصفدي: الرافعي ٨: ٣٩٣.

^٣ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ١٣.

^٤ الصفدي: الرافعي ٢٢: ٢٩٠.

رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهت إلى الميمنة^١.

وبعد ابن مقلة أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقطة وضبطها ضبطاً محكماً، واستخلص من الأقلام الموجودة ستة أقلام هي: الثلث والنسخ والتوقيع والريحان والمحقق والرقاع^٢، وأصبح يطلق على هذا الخط المنضبط «الخط المنسوب». ويمكن اعتبار ابن مقلة وبحق منشئ الخط المنسوب، وكانت طريقته هي إكساب كل حرف من حروف الهجاء نسبة محددة إلى حرف الألف مما أدى إلى تنظيم قياسي دقيق للحروف الهجائية. وقد لخص روبرتسون A. Robertson هذا الابتكار تليخيصاً رائعاً بقوله:

«لقد ابتكر ابن مقلة طريقة جديدة للقياس بواسطة النقطة. كان رسم النقطة من الناحية الهندسية يتم بوضع سن القلم على الورق ثم تحريكه نزولاً مع الضغط الكافي لفتح شقيه إلى أقصاهما ثم تركهما ينضممان ثانية من تلقائهما وبسرعة. وبهذه الطريقة يتكون مربع أو مستطيل. ويتخذ النقطة وحدة للقياس (كانت النقطة لهذا الغرض توضع متلامسة بزواياها) قوم ابن مقلة الألف الكوفية التي كانت قبل ذلك ذات شكل مائل إلى اليمين على هيئة قوس يشبه طرف مضرب الهوكي، ثم جعل منها معياراً للقياس... وكانت خطوطه التالية هي تعديل الحروف الكوفية حرفاً حرفاً ليجعلها تتلاءم والأشكال الهندسية، وبذلك أصبح من السهل قياسها. ثم حدد لكل منها نسبة مع الألف، فإذا كان الحرف مثلاً ذا شكل استداري مثل الراء أو النون الخ... فإن قطر الدائرة التي تُكوّنُها هذه الاستدارة يعادل طول الألف، وهكذا دواليك»^٣.

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٦٧.

^٢ انظر ترجمة ابن مقلة عند ابن خلكان: وفیات ٣: ٣١٢، ٥: ١١٣ - ١١٨؛ الصفي: الرافعي بالوفيات ١: ١٠٩ - ١١٠. «The Contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic Script», *AJSL* 56 (1938), pp. 70-83; Soudel, D., *Et al.*, *Ibn Mukla III*, pp. 882-886. Tabhaa, Y., «The Transformation of Arabic Writing: Part I, Qur'anic Calligraphy», *Art Orientalis* 21 (1992), pp. 121-130.

^٣ Robertson, A. et Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscripts in the Chester Beatty Library*, Dublin 1955, pp. 13 - 14.

ووصف الثعالبي خط ابن مقلّة بقوله:

«يضرب مثلاً في الحسن لأنه أحسن خطوط الدنيا وما رأى الراؤون بل ما روى الراؤون مثل ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السحرة»^١.

ورأى ابن النديم مصححاً بخط ابن مقلّة^٢، كما رأى ابن البواب كذلك مصححاً من ثلاثين جزءاً، يخطه في خزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز ينقص جزءاً، أنه هو بخطه^٣. ومع ذلك فقد ذكر الفلقشندي أنه رأى «من الكتب بخط الأقدمين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه»^٤.

وذكر الثعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، أن ابن مقلّة:

«كتب كتاب هُدًى بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أحص بيوت العبادات ويمجّبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه»^٥.

ولم يصل إلينا - للأسف الشديد - أي أثر من آثار ابن مقلّة التي خطها بيده، ولكن الشيء المؤكد أن التماذج الناصجة التي وصلت إلينا من القرن الرابع الهجري مثل كتابات مهلهل بن أحمد (نسخة كتاب المقتضب في النحو للمبرد المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول رقم ١٥٠٨) وغيره تحمل طابع مدرسته. ثم قام أبو الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البواب^٦ في

^١ الثعالبي: شمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٤.

^٢ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٣ - ١٢٤.

^٣ الثعالبي: شمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٥.

^٤ انظر ترجمته عند ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٠ - ١٢٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ : ٣٤٢ - ١٣٤٤ الصفيدي: الرافعي بالرقب ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩٥، كذلك سهيل أنور: الخطاط البغدادي علي بن هلال الشهير بابن البواب (بالتركية)، نقله إلى العربية محمد بهجة الأثري وعزيز سامي، بغداد - مطبوعات الجمع العلمي العراقي ١٩٥٨ - ١٩٥٩، art. Ibn al-Bawwāb III, pp. 736 - 737 Sourdél - Thomine, J., *EF*, *art. Ibn al-Bawwāb Manuscripts, in the Chester Beatty Library*, Dublin 1955: Tabbā, Y., *op. cit.* pp. 130 - 140

أوائل القرن الخامس بإكمال قواعد الخط العربي وهندسته وأتمها واخترع غالب الأقلام التي بدأها ابن مُقْلَة وخاصة في التَّسْحِج والتَّلْتِ وهَذَبَهُمَا وَصَحَّحَهُمَا^١ وزاده تعريباً ودَوَّرَ حروفه^٢. وكان ابن البَوَّاب في أول أمره، كما يقول ياقوت «مُزَوِّقاً يُصَوِّرُ الدَّورَ ثُمَّ صَوَّرَ الْكُتُبَ ثُمَّ تَعَانَى الْكِتَابَةَ فَفَاقَ فِيهَا الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَعْجَزَ الْمُتَأَخِّرِينَ»^٣. ولا شك أن عمل ابن البَوَّاب بالتصوير والتذهيب هو الذي أعانه على استنباط ما زاده في الكتابة وغيره من الأوضاع، كما يقول الصَّفْدِي^٤. وقد وَصَفَ روبرتسون كذلك التحسين الذي أدخله ابن البَوَّاب على الخط العربي وصفاً دقيقاً بقوله:

«لا شك أن ابن مُقْلَة قد أضفى جمالا على الكتابة، ولكن هذا الجمال ينحصر في الشكل الهندسي الذي أكسبها إيائه وفي الدقة الحسائية التي نغّدها بها، أي أن فنه في الكتابة كان يوجي بالحركة الدينامية. أما ابن البَوَّاب، الذي جاء بعد ذلك بقرن من الزمان، فهو الذي أضفى عليها العنصر الفني الذي كان يفتقر إليه الخط المُنَسَّوب الذي ابتدعه ابن مُقْلَة. وكان ابن البَوَّاب يتمتع بحاسة فطرية نحو التوافق والحركة عُبِّرَ عَنْهُمَا بِالنَّسِيبِ الْخَطُوطِ وَرَشَاقَةِ انْتِشَاءِهَا وَهُوَ - كما قال عنه المؤلفون - قد تَسَحَّجَ عَلَى حَرَقَةِ ابْنِ مُقْلَة، والحق أنه كان مُدْعِجَ الْخَطِ الْمُنَسَّوبِ الرَّشِيقِ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَلْطٌ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَدُونَ أَنْ تُقَلَّلَ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ ابْنُ مُقْلَة كَمُجْدِّدِهِ»^٥.

وعندما سئل صاحب «الرسالة في الكتابة المنسوبة» عن سبب تسمية هذه الكتابة المنسوبة أهو لتناسيها أم لأنها نسبت إلى واضعها؟ أجاب بأنه «لم تَقْعَ النَّفْسُ مِنْ صُورَةِ حُرُوفِهِ وَأَوْضَاعِ كَلِمِهِ بِدُونَ صِحَّةِ نَسْبَتِهِ الْوَضْعِيَّةِ كَمَا تَنَاسَبَتْ أَعْضَاءُ الْحَيَوَانَ وَتَوَازَنْتْ أَجْزَاءُ النَّبَاتِ، لِأَنَّ النَّفْسَ

^١ القلقشندي: ص ٣ : ١٣.

^٢ الصَّفْدِي: الرافعي ٢٢ : ٢٩٠.

^٣ ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢١، الصَّفْدِي: الرافعي ٢٢ : ٢٩١.

^٤ الصَّفْدِي: الرافعي ٢٢ : ٢٩١.

^٥ Robertson, A. et Rice, S. D., *op. cit.* p. 14 - 15.

عاشقة في الجمال مجبولة على حب الحسن، وهو التناسب الطبيعي مرئياً كان أو مسموعاً.

لكن خيره . . . هو ما ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره وما قبله في كلمته واعتدلت مقاديره^١.

ثم يستطرد الكاتب المجهول فيقول إنه من المتعذر التوصل للكمال في الكتابة عن طريق خط الحروف المستقيمة بمسطرة أو المستديرة ببركار «فلذلك لا يوجد في كل عصر إلا الكاتب بعد الكاتب، وذلك لإعجاز هذه الصناعة بدقة المذاهب»^٢.

ثم يضيف الكاتب نفسه أن من جاءوا قبل ابن البواب قد اجتهدوا في إصلاح الخط الكوفي ولكن محاولاتهم لم تؤد إلا إلى ترطيبه وألا يرى إلا من خارج زواياه . وأنه رأى أن ابني مقلّة قد أتقنا قلمي التوقيعات والنسخ ولكنهما لم يرسخا في إتقانها فكمل هو معناهما ونمّمه . ووجد شيخه محمد بن أسد ينسخ الدواوين ومجاميع الشعر بنسخ قريب من المحقق فأحكمه ، كذلك فقد «حرّر ابن البواب قلم الذهب وأتقنه ووثق يده الخواشي وزينه، ثم برّع في الثلث وخفيفه وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، وميّز قلم المتن والمصاحف وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف»^٣.

وقد اختتم الكاتب المجهول رسالته بالقول بأن ابن البواب قد فاق جيل الخطاطين الذين سبقوه بفضل موهبته ومهارته في مختلف أنواع الخطوط، وأن الذين حاولوا تقليده بعد ذلك لم يفلحوا إلا في نوع واحد أو نوعين من الكتابة^٤ والظاهر أن ابن البواب لم يتفّع أثناء حياته بالقيمة الفائقة التي قدّرت بها أعماله بعد وفاته فيروي ياقوت الحموي أنه وجد رُفعة بخطه قد كتبها إلى بعض

^١ خليل محمود عسائر : «رسالة في الكتابة النسخية»، مجلة معهد للخطوط العربية ١ (١٩٥٥) ١٢٤ .

^٢ نفسه ١٢٥ .

^٣ نفسه ١٢٦ .

^٤ نفسه ١٢٦ - ١٢٧ .

الأعيان في نحو السبعين سطراً يسأل فيها مساعدة صاحبه ابن منصور إنجاز وعدده به لا يساوي دينارين، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامية، وبلغته أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً^١.

وسرعان ما أصبحت النسخ التي كتبها ابن البواب نادرة وكان عارفو قدرها يدفعون فيها أثماناً عالية، فيروي ياقوت الحموي أيضاً أن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن البرقطي المتوفى سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م، الذي وصفه بأنه «أَوَحَدُ عَصْرِهِ فِي حُسْنِ الْخَطِّ»، خلف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البواب قال:

«لم تجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها... فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرائها»^٢.

وكان البرقطي قد بدأ حياته معلماً، فلما جاد خطه صار محرراً، وكان يكنّ لابن البواب تقديرًا كبيراً وكان على استعداد لأن يدفع ثمنًا باهظًا في سبيل الحصول على ورقة مكتوبة بخطه، وقد أطلق ياقوت الحموي على أكثر من عشرين قطعة بخط ابن البواب كانت عنده. ويروي ياقوت كيف حصل البرقطي على إحدى القطع التي كتبها ابن البواب بخطه، يقول:

«وحدثني قال: بلغني عن رجل معلّم في بعض محال بغداد أن عنده جزازًا كثيرًا ورثه عن أبيه، فحسّل لي أنه لا يخلو من شيء من المخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أحب أن تُريني ما خلف لك والدك عسى أن أشتري منه شيئًا، فصعد بي إلى غرفة وجلست أفتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب [للأسف سقط هنا بعض الكلام من نص ياقوت] قلم الرقاع أرائها أيضًا، ففتممت إليها شيئًا آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: يكف هذا؟ فقال لي: يا سيدي ما صلح لك في هذا كله شيء آخر؟ قلت له: أنا الساعة

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٥: ١٢١ - ١٢٢.

^٢ نفسه ١٧: ٢٧٨، ٢٨٠.

مستعجل ولعلني أعود إليك مرة أخرى. فقال: هذا الذي اخترته لا قيمة له فخله هبة مني. فقلت: لا أفعل وأعطيته قطعة قراصة مقدارها نصف دانق، فاستكرها وقال: يا سيدي ما أخذت شيئاً يساوي هذا المقدار فخذ شيئاً آخر، فقلت: لا حاجة لي في شيء آخر، ثم نزلت من غرقي فاستحييت وقلت هذا مخادعة، ولا شك أنه قد باعني ما جهله، ووالله لا جعلت حتى خط ابن اليوآب أن يشتري بالمخادعة، فعذت إليه وقلت له: يا أخي هذه الورقة بخط ابن اليوآب، فقال: وإذا كانت بخط ابن اليوآب فأني شيء أصنع؟ قلت له: قيمتها ثلاثة دنانير إمامية. فقال: يا سيدي لا تسخر بي، ولعلك قد عزمت على رذها فخلها وخط الذهب. فقلت: بل أحضر ميزاناً للذهب فأحضرها، فوزنت له ثلاثة دنانير وقلت له: بعثني هذا بهذا؟ فقال: بعثك، فأخذتها وانصرفت.^١

ووضع ابن اليوآب رسالة في علم الخط وأخرى في أصول الكتابة وبقي القلم منها نسخة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج برقم ٢٤ فلك، ونسخ المصحف بيده أربعاً وستين مرة إحداها بالخط النسخ ومكتوبة على الورق لا تزال محفوظة في مكتبة شيسترتي بدبلن تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م نشرها D. S. Rice بالفاكسميلي وقدم عنها دراسة في وصفها وعن دور ابن اليوآب في تطور الخط العربي^٢، وقد اعتبر D. S. Rice هذا المصحف هو المخطوط الوحيد الذي وصل إلينا بخط ابن اليوآب وأن المخطوطات الأخرى المنسوبة لابن اليوآب ليست إلا نسخاً مزورة^٣. وذكر الصقدي أنه رأى «من خطه كثيراً وملك منه قطعة بقلم الرقاع»^٤.

^١ بالقرت: معجم الأدباء ١٧: ٢٨٠ - ٢٨١.

^٢ Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwāb Manuscripts in the Chester Beatty Library*, Dublin 1955. وانظر فيما يلي ص

^٣ منها: «رسالة مدح الكتب والبحث على جمعها» للجاحظ في متحف الأوقاف باستانبول برقم T2014، و«ديوان الخادرة» في دار الكتب المصرية برقم ٢١٤٥ أدب و«شعر سلامة بن جندب» في مكتبة بغداد كشك باستانبول برقم ١٢٥.

^٤ الصقدي: الرافعي بالرفيات ٢٢: ٢٩١.

وكانت وفاة ابن البَوَّاب سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وقيل سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م^١.

وقد لاقت طريقة ابن البَوَّاب في الكتابة كثيراً من المُقلِّدين ومن بينهم الكثيرات من النساء منهن فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المعروفة ببنت الأفرع المتوفاة سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م التي كتبت الاتفاق الذي عقد بموجبه الهدنة بين العباسيين والبيزنطيين، وكانت في خدمة العميد أبي نصر الكندري في بلاد الجبل^٢.

أما مؤرخ حلب الشهير كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جَرادة المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م فيرى البعض أن كتابته فاقت كتابة ابن البَوَّاب وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، وتنبأ له مُعلِّمه في الكتاب وهو ما زال في السابعة من عمره بأنه إذا عاش لا يكون في العالم أكتب منه، يقول ياقوت:

«وصحَّت لعمرى فِرَاسة المُعلِّم فيه، فهو أكتب من كل من تُقدِّمه بعد ابن البَوَّاب بلا شك»^٣.

وكان والده يُحرِّضه على تجويد الخط ويتولَّى صَقْل الكاعْد له بنفسه، ورغم أن خطه لم يكن بالجيد فإنه كان يعرف أصول الخط ويُميِّز بين الجيد والردئ منه، وكان عنده خط ابن البَوَّاب وكان يريه أصوله إلى أن أتقن منه ما أراد، ثم كَتَبَ على محمد بن أحمد بن البرقُطبي السابق ذكره عندما ورَدَ إلى حلب^٤. ويذكر

^١ انظر فيما يلي ص ٢٠٨ - ٢١٠. وأورد محمد بهجة الأثري قصيدته الرائية في ثناء تذييله لكتاب سهيل أئور عن الخطاط البغدادي علي بن هلال المذكور أعلاه بين صفتي ٣١ - ٣٣، كما نشرها وعلّق عليها بشرح ابن الوحيد المصري المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م هلال ناجي في مطبعة انصار يتونس سنة ١٩٦٧ ثم نشرها باسم «شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة» بشرح ابن بعض النحوي وشرح ابن الوحيد المصري متداولين في مجلة المورد العراقية ١٥/ ٤ (١٩٨٦).

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٦ : ١٧٢.

^٣ نفسه ١٦ : ٣٩.

^٤ نفسه ١٦ : ٤٢.

ياقوت أن خط كمال الدين العديم شاع ذكره في البلاد وتهاداه الملوك، وأن عمّا رَغِبَ في خطه

«أنه اشترى وَجْهَةً واحدة بخط ابن البَوَّاب بأربعين درهماً، ونقلها إلى ورقة عتيقة ووعّتها من حيدر الكتي، فلذَعَبَ بها وادّعى أنها بخط ابن البَوَّاب وباعها بستين درهماً زيادة على التي بخط ابن البَوَّاب بعشرين درهماً، ونَسَخَ في هذه الرُّقعة بخطه قدفع فيها كُتّاب الوقت على أنها بخطه «ديناراً مصرياً»^١. وقد وَصَلَتْ إلينا بعض مؤلفاته بخطه يتّضح منها أنه تأثّر تأثراً كبيراً بخط ابن البَوَّاب.

ومن اشتهر أيضاً بالكتابة على طريقة ابن البَوَّاب أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكُرْخِي المتوفى سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، قال ياقوت :

«سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم الثُلث، حتى رأيت من يُعالي فيه فيقول : إنه كَتَبَ غيراً من ابن البَوَّاب، وكان ضئيلاً بخطه جداً لذلك قلّ وجوده : كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طسّاً، ويفسله فأما إذا استغني فإنه كان يكسر قلمه ويَجْهَدُ في تغيير خطه»^٢.

وكذلك أمين الدين ياقوت الموصلّي المتوفى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢٠م أحد موالى السلطان ملكشاه السلجوقي، قال ابن الأثير :

«لم يكن في زمانه من يؤدّي طريقة ابن البَوَّاب مثله»^٣.

ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى ما طرأ على الخط العربي بعد ابن مُقَلَّة وابن البَوَّاب اللذين باعدا بين رسوم الخط البغدادي وخط الكوفة، يقول :

^١ ياقوت : معجم الأديب ١٦ : ٤٥ - ٤٦.

^٢ نفسه ١٧ : ٥٦ - ٥٧.

^٣ ابن الأثير : الكامل ١٢ : ٤٠٥.

«ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي؛ ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر وغالفت طريقة العراق بعض الشيء، ولقّنها العجم هناك فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو ميانة»^١.

كانت بغداد مركزاً لكل هذه التطورات على مدى خمسة قرون ثم جاء جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي، الذي عاش في عهد آخر خلفاء العباسيين، المتوفى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م المعروف بـ «قيلة الخطاطين» آخر أشهر الخطاطين البغداديين ليلعب دوراً مهماً في تطوير الخط العربي ونجويده مضافاً على الخط كمالاتاً وحسناً جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخطاطين. وقد بلغت عظمة ياقوت المستعصمي حداً فاق مكانة ابن مقفلة وابن الجوّاب، وأتسم خطّه بالرقة والرشاقة وينسب إليه شذّب القلم بطريقة تجعل جرائنه الشخينة منها والرفيعة أكثر تميزاً وروعة. وأصبح هو المثل الذي اجتهدت الأجيال اللاحقة من الخطاطين في أن تحذو حذوه، وكتب ياقوت العديد من المصاحف والكتب مازال بعضها محفوظاً في دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني وخدايش بنته بالهند وفي مكتبة خزينة الملحق بمتحف طوب قبو سراي باستانبول وفي مجموعة خليلي بلندن، ومع ذلك فإن المشكلات المتعلقة بتحديد المصاحف المنسوبة له كثيرة جداً لدرجة أنها تحتاج إلى دراسة مستقلة.

وعاصر ياقوت المستعصمي ستة من أساتذة الخط اشتهروا بأنهم تلاميذ ياقوت المستعصمي وهم الذين اتبع طريقتهم الخطاطون اللاحقون في زمن التيموريين والصفويين والعثمانيين. ورغم قيمة وأهمية هؤلاء الستة فإننا لا نكاد نعرف أي شيء عن حياة معظمهم وهم: أرغون بن عبد الله الكامل، ونصر الله الطيب المعروف أيضاً بتناصر الدين مُطَيَّب، ومبارك شاه بن قطب التبريزي

^١ ابن خلدون : المقدمة ٩٦٧ - ٩٦٨.

المسمى «زارين قلم»، ويوسف المشهدي الخراساني، وسيد أو مير حيدر المسمى «كُتْدِه نويس»، وأحمد بن السُّهْرَوَرْدِي المسمى «شيخ زاده». وقد وصلت إلينا العديد من المصاحف التي تحمل توقيع هؤلاء الخطاطين الذين كانت لهم مكانة عالية حتى أن الناس بدأوا في عمل نسخ تقليد لأعمالهم ناهيك عن التزوير^١.

وبعد ياقوت المستعصمي أصبح فن الخط بما له من علاقة وطيدة بكل العلوم والفنون، ساحة التنافس البارزة في مجال الفنون. وفقدت بغداد - أو العراق بمعنى أصبح - مكانتها كمركز ريادي في توجيه فن الخط بعد سقوط الخلافة. وفي القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين لقى الخط تقديراً وتشجيعاً عظيمين من السلاطين والوزراء والأمراء ابتداءً من عهد الإيلخانيين والتيموريين والجلالريين^٢. وشهدت مدن مثل مَشْهَد وهراء في فارس مرحلة تطورت فيها صناعة الكتاب وبلغ فيها الخط وتذهيب الكتاب وتزيينه وتجليده شأنًا كبيراً.

أما مصر في عصر المماليك فتدل الكتابات الكثيرة الموجودة على العمائر المملوكية والمصاحف الضخمة التي وصلت إلينا على أنها أصبحت المركز الهام الثاني بعد بغداد مباشرة في فن الخط حتى نهاية القرن التاسع الهجري، يقول ابن خلدون الذي كان في مصر في نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري:

«ثم لما انحَلَّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت، تناقص ذلك أجمع ودَرَست معالم بغداد بدروس الخلافة، فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسواقها بها نافقة لهذا العهد، وله بها معلمون يرسمون للمتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبس المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع»^٣.

^١ James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, pp. 76 - 77

^٢ انظر فيما يلي ص ٣١٦ - ٣١٩.

^٣ ابن خلدون: المقدمة ٩٦٨.

وقد صارت في مصر طريقة ابن البواب جنباً إلى جنب مدرسة بغداد وما ابتدعه ياقوت المستعصمي حتى ظهور المدرسة العثمانية في الخط. وتدلنا الأعمال التي أنتجها العصر المملوكي^١ ووصلت إلينا على مدى ما وصل إليه فن الخط في هذه الفترة^٢.

ومن أشهر الذين حدوا حدوا ياقوت المستعصمي في مصر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الدرعي الدمشقي المعروف بابن الوحيد الكاتب المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م، الذي سافر إلى بغداد واجتمع بياقوت المستعصمي، وصار شيخ التجويد في مصر يضرب بجودة خطه المثل^٣، قال عنه الصفدي:

«صاحب الخط الفائق والنظم والنشر، كان تام الشكل حسن البصرة موصوفاً بالشجاعة متكلماً بعدة اللسان يضرب المثل بحسن كتابته . . . وكان قد اتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير وأعجبه خطه فكتب له ختمة في سبعة أجزاء بليقة ذهبية قلم الأشعار ثلث كبير قطع البغدادي، دخل فيها جملة من الذهب أعطاه لها الجاشنكير برسم اللبقة لا غير ألفاً وستمائة دينار أو ألفاً وأربعمائة دينار، قد دخل الختمة ستمائة دينار وأخذ الباقي، فقيل له في ذلك فقال: متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة؟ وزمكها صندوق المدق وأنتها في جامع الحاكم وفي ديوان الإنشاء في قلعة الجبل غير مرة وهي وقف بجامع الحاكم، وما اعتقد أن أحداً يكتب مثلها ولا مثل زميكها فإنهما كانا فردي زمانهما. وأخذ من الجاشنكير عليها جملة من الأجرة . . . وكتب الأفلام السبعة طيقة وأما فصاح النسخ والمحقق والريحان فما كتبه أحد أحسن منه^٤.

^١ انظر فيما يلي ص ٣١٣ - ٣٢٤.

^٢ درمان، أوغور: المرجع السابق ٢٥.

^٣ المقرئ: المقرئ الكبير ٥ : ٧٢٠ - ٧٢١.

^٤ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣ : ١٥٠ - ١٥١ المقرئ: المقرئ ٥ : ٧٢١.

وقد وصل إلينا هذا المصحف الذي يُعرف بـ «مصحف بيبرس الجاشنكير» ومنه أجزاء في مكتبة المتحف البريطاني برقم Add 22406-13 ودرسه David James في مقال صدر عام ١٩٨٤^١.

وَرَيْن الدين عبدالرحمن بن يوسف بن الصائغ القاهري المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ٤٤٢م، والصائغ حرفة أبيه. نشأ بالقاهرة وتعلّم الخط المنسوب من النور الوسمي ولازمه في إتقان قلم النسخ حتى تفوّق فيه عليه، وأحب كذلك طريقة ابن العفيف فسلكها وفاق أهل زمانه في حسن الخط كما يقول السخاوي، ونسخ عدة مصاحف والكثير من الكتب والقصائد وصار شيخ الكتاب في وقته دون مدافع^٢.

ووصل إلينا بخط ابن الصائغ المصحف الذي كتبه للسلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١ مصاحف ومصحف آخر كتبه سنة ٨١٤هـ ثم آل بعد ذلك إلى السلطان المؤيد شيخ الحمودي وهو محفوظ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦ مصاحف. كذلك فقد وضع ابن الصائغ رسالة عنوانها «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» نشرها هلال ناجي وصدرت عن دار بوسلامة بتونس سنة ١٩٦٨.

ومحمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيّبي الشافعي، أحد كبار الخطاطين في القرن العاشر الهجري. أخذ الكتابة عن محمد بن كزّال العيساوي وجمال الدين الهيتي والشيخ ياسين ووصل إلينا بخطه نسخة من كتابه «جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولي البصائر والألباب» على طريقة ابن البواب التي

^١ James, D., «Some Observations on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Din Baybars al-Jashnagir», *Muqarnas* II (1984), pp. 147 - 157 من ٣١٦ - ٣١٣.

^٢ السخاوي: الضوء اللامع ٤ : ١٦١ - ١٦٢.

أخذها بالتسلسل عن شيوخه ، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة قغوش الملحقة
بمتحف طوبقوسراي باستانبول برقم ٨٨٢ (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة
برقم ١٦٤ أدب) جاء على غلافها :

«جمعه وكتبه بخطه

محمد بن حسن الطيبي»

وفي وسط الصفحة

«من كتابة العبد الفقير إلى الله تعالى

محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيبي

الشافعي في يوم الأربعاء المبارك ثاني عشر

شهر رجب الفرد سنة ثمان وتسعمائة من الهجرة النبوية

غفر الله تعالى له ولوالديه ولئن نظر فيه ولكل المسلمين

يرسم عزرائلة

المقام الشريف مولانا

السلطان الملك الأشرف أبي النصر

قانسوه الغوري

عز نصره»

وقد نُشِرَ هذه النسخة بالتصوير وقُدِّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد
وصدرت في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٦٢ ، ثم أعاد هلال ناجي
نشرها وصدرت في تونس عام ١٩٦٧ .

وقد أشار القلقشندي في الربع الأول للقرن التاسع الهجري إلى أنواع
المخطوط التي كانت شائعة في مصر المملوكية في هذه الفترة التي استخدم أغلبها
المخطاطون في كتابة المصاحف والربعات ووثائق ديوان الإنشاء وسائر المؤلفات
الأدبية^١ ، وهي : الطومار ومختصر الطومار ، والثُلُث وخفيف الثُلُث ، والتوقيع

^١ القلقشندي : صبح الأُمس ٣ : ١٧ - ١٢٨ . وانظر كذلك : Gacek, A., «Al-Nuwayri's Classification of Arabic Scripts», *MAME II* (1987), pp. 126 - 130

والرّقاع، والمُحَقَّق والرَّيْحَان، والغبار والمنثور، والخواشي. وقسم من هذه الخطوط ما هو إلا اختلاف جسامات من نفس الأسلوب، أما القسم الآخر فهو أشكال قريبة لبعضها البعض من ناحية الأسلوب. فالرَّيْحَان مثلاً هو فرع في المُحَقَّق وفي جسامته النصف منه، وقد وُكِّد المُحَقَّق والرَّيْحَان من الخط الذي طَوَّرَهُ الْوَرَّاقُونَ والنَّسَاحُ العلماء بوجه خاص ليكون خطاً للكتب، وقد وصَّلت إلينا العديد من المصاحف والرِّبَعَات المملوكية المكتوبة بالخطين المُحَقَّق والرَّيْحَان، وهما خطان استخدمهما ياقوت المستعصمي ومعاصروه في استنساخ المصاحف. أما خطي الثُلُث والنَّسْخ فلم يبلغا نفس الكمال إلا مع ظهور المدرسة العثمانية، ومع مرور الوقت أصبح الثُلُث ومن ورائه النَّسْخ يحتلان مكانة المُحَقَّق والرَّيْحَان في كل استخداماتهما تقريباً^١.

ومن أهم أنواع الخطوط المشرقية التي ظهرت حتى القرن التاسع الهجري ووجد بعضها استحساناً عظيماً فيما بعد: خط التعليق وخط نستعليق (نسخ - تعليق). وقد نشأ خط التعليق في إيران في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تقريباً ثم اكتسب خصائصه المعروفة في القرن السابع، واستخدم هذا الخط لأجل المكاتبات الرسمية ولم يُستخدم في نسخ الكتب، ومن ثم فقد طَوَّرُوا لهذا الغرض نوعاً آخر من الخط عرف باسم نستعليق كان أكثر مطاوعة لذلك وانتشر استخدامه بدرجة تلي درجة النَّسْخ^٢. واستخدم بكثرة في استنساخ الكتب الأدبية وخاصة دواوين الشعر ومجاميعه اعتباراً من عصر التيموريين بصفة خاصة. وعاش هذا النوع عصره الذهبي في إيران حتى القرن الحادي عشر الهجري^٣.

وإذا كانت طريقة ابن البَوَّاب وأسلوبه في الكتابة قد استمرت في مصر جنباً إلى جنب طريقة ياقوت المستعصمي، فإن تركيا في عصر الدولة العثمانية عرفت

^١ درمان، أوغور: المرجع السابق ٢٦.

^٢ نفسه ٢٧.

^٣ نفسه ٣٣.

منذ مطلع القرن التاسع الهجري مدرسة جديدة في فن الخط تأثرت في بادئ الأمر بمدرسة ياقوت المستعصمي ولكن سرعان ما أصبحت لها سماتها الخاصة التي مهدت السبيل للدخول إلى العصر الذهبي لفن الخط الإسلامي يأتي على رأسها الشيخ حمد الله بن مصطفى دده المعروف بابن الشيخ الأماصي (٨٣٣ - ٩٢٢هـ / ١٤٢٩ - ١٥٢٠م) الرائد الأكبر للخطاطين الأتراك، فيظهوره بدأ في تركيا عهداً جديداً متأقناً استمر طويلاً حتى يومنا هذا. فقد تعلم الشيخ حمد الله الأقلام الستة (وهي: الثلث والنسخ والمحقق والريحان والتوقيع والرقاع) وأخذها عن خير الدين المرعشي الذي كان يكتب على طريقة ياقوت المستعصمي.

وعندما تولى السلطان بايزيد العثماني العرش في عام ٨٦٦هـ / ١٤٨١م، دعا الشيخ حمد الله إلى استانبول ليصبح معلماً للخط في السراي العثماني، ونجح بدعم من السلطان في جمع كل خطوط ياقوت الموجودة وكتابهاته في خزانة البلاط العثماني [المعروفة الآن بمكتبة خزانة الملحقه بمتحف طوبقو سراي] ودرس أسلوبها حتى استطاع أن يبدع لنفسه أسلوباً خاصاً ويشرع في الكتابة ويتميز بها حتى عرف بـ «قبيلة الكتاب»^١.

وقد أدخل الشيخ حمد الله على خطي النسخ والثلث إصلاحات أساسية، فأضفى جمالاً ياهراً على هذين الخطين، فبينما نجد عند ياقوت أن الحروف التي تُخط من أعلى إلى أسفل (أ. ك. ل. ن) لم تكن متوازية، فإنها أصبحت عند الشيخ حمد الله متوازية دائماً^٢.

ومن بين السبعة وأربعين مصحفاً التي كتبها الشيخ حمد الله، تحتفظ مكتبات السليمانية وطوبقو سراي باستانبول والمتحف البريطاني بالملترا وشيسترتي بإيرلندا ومكتبة الكونغرس الأمريكي بعدد منها.

^١ جورج عطية: «المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة الكونغرس الأمريكي» - مصحف الشيخ حمد الله الأماصي، في كتاب المخطوط العربي وعلم الخط ٤٨.

^٢ نفسه ٢٥١ درمان، الورق: المرجع السابق ٣٠.

واعتباراً من أوائل القرن العاشر الهجري أخذ أسلوب الشيخ حمد الله يحتل المكانة التي كانت لياقوت في أراضي الدولة العثمانية. وفي الفترة نفسها ظهر خطاً كبيراً آخر ذاعت شهرته في استانبول أيضاً هو أحمد قره حصارى الذي كان يسعى لإحياء طريقة ياقوت المستعصمي واستطاع أن يُقدّم بعض الأعمال بهذه الطريقة، ولكن طريقته لم تستطع الصمود سوى لجيل واحد من الخطاطين حتى أن بعض تلاميذ القره حصارى عادوا ليسلكوا مسلك الشيخ حمد الله الأماسي. وقد عبّر أوغور درمان عن الفرق بين أسلوب الخطاطين الكبيرين بقوله:

«إن الشيخ حمد الله برّع في رسم الحروف وتجويد الخط، بينما برع القره حصارى في ابتكار تراكيب الجلي على وجه الخصوص»^١.

وشهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي مرحلة جديدة في تطور الخط العربي إذ ظهر في استانبول أستاذ آخر للخط هو الحافظ عثمان الذي استخرج من أعمال الشيخ حمد الله أسلوباً جديداً حيث جمع بذوقه الخاص الروائع المتفرقة في كتابات الشيخ وأعاد إبداعها في كتاباته من جديد حتى يمكن القول أن مجيئ الحافظ عثمان انقضى عهد الشيخ حمد الله. وكما تعلّم السلطان بايزيد على يدي الشيخ حمد الله الأماسي تعلّم كل من السلطان مصطفي الثاني والسلطان أحمد الثالث الخط على يد الحافظ عثمان، ومن ثم فإن فنون الكتاب ومن جملتها فن الخط وجدت في عهديهما اهتماماً كبيراً وتشجيعاً عظيماً^٢.

وهكذا فقد استقرت في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الأقلام الستة المعروفة بالطريقة التي طورها الحافظ عثمان ثم لم تلبث أن انتشرت في أراضي الدولة العثمانية فيما عدا المغرب العربي.

^١ درمان، أوغور: المرجع السابق ٣٠.

^٢ نفسه ٣١.

وفي أواخر هذا القرن شهد الخط الثُلُث الجُلِّيّ، الذي كان مستخدماً بصورة خاصة على جدران العماائر الضخمة كالمساجد والقصور، تطوراً كبيراً على يد خطاط آخر هو مصطفى راقم الذي كان رساماً أيضاً، فَبَرَعَ في رسم بعض الحروف بنسب مختلفة تَتَّفَقُ وحاجة المكان الذي ستوضع فيه من حيث البُعد والارتفاع^١.

ويتسم خط الثُلُث بالانسيابية والرشاقة، ونظراً لأنه لا يكتب بالسرعة التي يُكْتَبُ بها خط النسخ فقد جرى استخدامه لغايات فنية وليس لغاية الكتابة^٢. وهو ما زال يستخدم إلى اليوم في كتابة عناوين وأغلفة الكتب بطريقة جمالية، خاصة وأنه يَتَمَيَّز عن سائر الخطوط بأنه يمكن وضعه في تراكيب وأشكال جمالية تشتمل على طبقتين أو أكثر من الحروف توضع فوق بعضها البعض تبعاً لترتيب قراءتها في الجملة. ولا يكتمل هذا النوع من الخط إلا بعلامات التشكيل كما يجري ملء فراغاته برموز مخصوصة توضع فوق الحروف المهملة أو تحتها.

^١ درمان، أوغور: المرجع السابق ٣١-٣٢.

^٢ نفسه ٣٢.

نشأة التدوين وطرق التأليف عند المسلمين

اشتهر بين عامة الناس من غير ذوي التبصّر والاستقصاء أن «الحديث» أو ما يُطلق عليه علماء الحديث لفظ «العلم» ظلّ أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظاً دون أن يكتبوه واستمر هذا الظن أكثر من خمسة قرون متتابعة وهو يزداد توسّعاً ويطرّد قوة^١.

وعلى ذلك فإن الدراسات المتوافرة لدينا - فيما عدا استثناءات طفيفة - تُصير على مفهوم خاطئ مؤداه «أن الرواية الإسلامية لم تكن إلا شفوية»^٢. ولا يظهر هذا المفهوم فقط في معرض الحديث على رواية الحديث النبوي بل في الأخبار التاريخية والأدبية وخاصة للذين درسوا «تاريخ» الطبري وكتاب «الأغانى» لأبي الفرج الأصفهاني على سبيل المثال، حتى ذهب سوفاجيه J. Sauvaget إلى القول «بأن المؤرخ مضطّر إلى تجميع بحثه لتاريخ القرون الأولى للإسلام من معلومات لا قاعدة لها تعتبر وليدة المصادفة في كثير أو قليل»^٣.

وقد تبيّن لأهمية توضيح خطأ هذا الظن مؤرخ بغداد الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م وألف كتابه الهام «تقييد العلم» ليوضح فيه خطأ هذه الفكرة.

وكان أول من اكتشف هذا الكتاب المستشرق الألماني شيرنجر Sprenger سنة ١٨٥٥ وكتب مقالا موسّعاً حول التدوين المبكر للرواية الإسلامية نقل فيه

^١ يوسف العش، مقدمة كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي ٥.

^٢ Sezgin, F., GAS I, 236

^٣ Sauvaget, J., Introduction à l'histoire de l'Orient musulman pp. 29 - 30

نصوصاً منه وأثبت عدم صحة الرأي القائل بأن الحديث كان يُتداول أساساً بالرواية الشفهية^١. ثم اعتمد جولدزيهر Godziher على هذا المقال وأضاف إليه نصوصاً أخرى تُثبت أيضاً أن القول بأن الحديث كان يُتناقل حَقَقاً ليس إلا مجرد وَهْمٍ وخطأ. مع ذلك فقد ذَهَبَ جولدزيهر إلى أن مؤلفي مجموعات الحديث في القرن نفسه مثل «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» لم ينتقوا مادتهم من مصادر مُدَوَّنة موجودة بل اعتمدوا في ذلك على مصادر شفوية، وهو حال كتب الفقهاء أيضاً^٢. ويرى جولدزيهر كذلك أن التَّحَرُّجَ الديني والاهتمامات العقائدية للفرق الإسلامية قد دفعت في وقت تال إلى كراهة تدوين الحديث، وبذلك عاد الرأي الخاطئ إلى الظهور مرة أخرى^٣. غير أن جولدزيهر تَبَنَّى في الوقت نفسه فكرة كان مسارها النحو التالي:

«ليس هناك ما يمنع افتراض أن الصحابة والتابعين أرادوا المحافظة على أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما نهى عنه، فقاموا بتقييدها خوفاً عليها من الضياع . . . أو كان من الجائز أن تترك أقوال الرسول لمصادفات الحفظ في الصدور في مجتمع كانت الأقوال الماثورة للناس العاديين تحفظ فيه بالتدوين»^٤.

ثم توافر على دَرَسِ هذه القضية العالم التركي فؤاد سزجين في كتابه «تاريخ التراث العربي»^٥ الذي يُعَدُّ أحسن ما كتب في هذا الموضوع، ووَصَلَ فيه إلى

^١ Sprenger, A., «On the Origin of Writing down Historical Records among the Muslims», *JRSB* XXV (1856), pp. 303 - 329, 375 - 381.

^٢ Goldziher, I., *Muhammadianische Studien*, Halle 1890, p. 194 s.

^٣ فؤاد سزجين - «أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية» في كتاب محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية (منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ١٩٨٤)، ١٣٢.

^٤ نفسه ١٣٣.

^٥ Sezgin, F., *Geschichte des arabischen Schrifttums*, I- IX, Leiden - Brill 1967-1990.

نتائج هامة ساعتمد عليها فيما يلي . فهو يرى أن هذا المفهوم الخاطئ والغريب يرجع إلى سوء فهم الرواية الإسلامية ذات الشكل المتميز الفريد . فمن الحقائق المعروفة بصفة عامة أن أقدم المصادر التي وصلت إلينا وتدين لها بما نعرفه عن القرون الأولى للإسلام وعن التطور العلمي في ذلك الوقت ، تُقدِّم لنا مادتها في الأغلب الأعم مصحوبة بأسانيدها التي نشأ لبحث خصائصها المتميزة علم من علوم الحديث هو علم «الجرّح والتعديل» .

فقد دقّعت الحوادث التاريخية وعلى الأخص ما يتعلّق منها بالخلافات السياسية إلى إنشاء ما عُرف بـ «الإسناد»^١ في وقت مبكّر من الحياة الفكرية في صدر الإسلام . وقد حدّد يوسف هوروفتس J. Horovitz . زمن نشأته في الثلث الأخير من القرن الهجري الأول ، فقد كان لزاماً على من يروي خبراً سواء تعلّق بنصّ ديني أم بغير ذلك أن يذكر شاهداً أو أكثر ، وكانت هذه هي مهمة الإسناد في البداية^٢ .

وبناء عليه يؤكّد فؤاد سزّجين أن كتب علم أصول الحديث وكذلك الأخبار والقصاص التي وصلت إلينا في المصادر تثبت في وضوح حقيقة أن الإسناد كان يشير منذ البداية إلى نصوص مُدوَّنة .

فإذا أراد الباحث تقدير قيمة المواد المتعلّقة بالقرنين الأول والثاني للهجرة في المصادر التي وصلت إلينا اعتماداً على الإسناد ، فعليه أن يتحرّر من الآراء القائلة بأن هذه الأخبار ظلّت تُتداول شفهاً على مدى مائة وخمسين عاماً ، أو أن المُحدّثين قد اخترعوا الإسناد في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة وأضافوه إلى الأخبار فدوّنت به بعد ذلك ، وعليه أن يتنظر إلى هذه المؤلفات باعتبارها كتباً مجموعة من مصادر مُدوَّنة تعود بدورها إلى مصادر مُدوَّنة أقدم^٣ .

^١ انظر مقال فؤاد سزّجين المذكور أعلاه في الهامش رقم ٣ ص ٧٤ .

^٢ Sezgin, P., GAS I, 240, 241

فمن المعروف أن بعض خلفاء الأمويين حثّوا على جَمْع الأحاديث وعلى الأخص عمر بن عبدالعزيز (٩٧ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م) الذي كلّف أبابكر محمد بن حَزْم المتوفى سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٩ م بهذه المهمة وقال له :

«انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكثبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله»^١.

وتذكر الأخبار أن أبابكر محمد بن حَزْم شكّا للإمام مالك ضياع هذه المجموعات، ولذلك فإنه لم يشتهر بهذا العمل شهرة معاصره أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزُّهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م الذي تذكر المصادر أنه كان «أوّل من استند الحديث» وأيضاً «أوّل من دَوّن الحديث» وأصبح له بذلك دورٌ كبيرٌ في تاريخ الحديث وتاريخ التدوين^٢.

فاهتم الزُّهري بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث. وكان عليه - وهو أحد التابعين - أن يبحث عن أوائل التابعين وكذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه أحاديثه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث. وكان ذلك ممكناً لرجل مثل الزُّهري الذي نجح في كتابة أسماء هؤلاء في نصوص وأن يجعلها تُروى بعد ذلك.

أما دوره في تدوين الحديث فالمقصود به أنه أوّل من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة، فواقع الأمر أن تدوين الأحاديث يرجع إلى وقت مبكر حيث سُجِّلَت في «كراريس» صغيرة أطلق عليها اسم «الصحيفة» أو «الجزء»، ولم يكن على الزُّهري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المتناثرة في صُحُف وكراريس مختلفة وأن ينظر فيها وقد سبقه إلى ذلك كما ذكرنا أبو بكر محمد بن حَزْم بتكليف من عمر بن عبدالعزيز^٣.

^١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ : ٤٨٠ .

^٢ Sezgin, F., GAS I, 56

^٣ Ibid I, 280, 281

وقد تبع مرحلة تدوين المرويات وجمع النصوص المتفرقة مرحلة تالية في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي رُتبت فيها هذه المادة ترتيباً موضوعياً وفق الموضوعات المختلفة في فصول أو أبواب وهو ما عرف به «تصنيف الحديث». كان ذلك في وقت عرفت فيه الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي عموماً مدونات جامعة، فألف كل من محمد بن إسحاق وأبي مخنف لوط بن يحيى وعوانة بن الحكم مدوناتهم في التاريخ، ووجد في مناطق مختلفة في العالم الإسلامي عدد من علماء الحديث وصفوا بأنهم أول من صنف الحديث منهم ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م في مكة ومعمّر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م في اليمن، وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما في البصرة، والأوزاعي في الشام والإمام مالك في المدينة، وسفيان الثوري في الكوفة والليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة وعبدالله بن وهب في مصر.

«وكان العلماء قبل ذلك يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة»^١.

وأقدم الكتب التي وصلت إلينا من تلك الفترة كتاب «الجامع» لمعمّر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م (ومنه نسخة في مكتبة صائب أفندي بالقاهرة تحت رقم ٢١٦٤ في ٧٩ ورقة كتبت سنة ٨٣٦ هـ)، وكتاب «المناسك» لقنادة السدوسي برواية سعيد بن أبي عروبة (ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق في مجموع برقم ١٢/٤١)، و«الجامع» لربيع بن حبيب البصري^٢.

وحتى نستطيع أن نقوم الأخبار التي وصلت إلينا في المجالات المختلفة تقوياً تاريخياً صحيحاً، علينا أن نبحت «الرواية الإسلامية» من ناحية الشكل،

^١ الذهبي: تاريخ الإسلام (ط. القدسي) ٦ : ٥ - ٦ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٥١.

^٢ Sezgin, F., GAS I, 58

ولهذا الجانب أهمية كبرى في دراسة حركة التأليف باللغة العربية في القرون الأولى، أعنى به «تحمّل العلم» أي مناهج تلقّي العلم أو أخذه، فهذا الجانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ولا نعرف له في الحضارات الأخرى شبيهاً وهذا هو السبب الأساسي لما حدّث من سوء فهم في الدراسات الحديثة.

ومن ناحية أخرى يرى المستشرق ألوارد Ahlwardt أن استخدام الكتابة في تدوين قصائد الشعر الجاهلي لم يبدأ قبل نهاية القرن الأول الهجري، وأن المدى الزمني بين عصر الشعراء وعصر جَمْع أشعارهم وتدوينها قد يصل إلى مائة وخمسين عاماً أو أكثر، وأن «رواية الشعر» كانت على مدى الأجيال شفاهاً مما أدى إلى تعرّض الشعر لخطأ غير مقصود أو لتزييف متعمّد. وقد أشار ألوارد إلى دور الرواة أثناء شرحه لكيفية حفظ الشعر القديم خلال أربعة أو ستة أجيال، فالرواة هم الحمّلة الأساسيون لعيون الشعر، شأنهم شأن القصّاص المحترفين في روايتهم للأخبار التاريخية^١.

وقد مرّ تدوين الشعر العربي القديم في العصر الإسلامي - مثل الحديث - في مراحل ثلاث، هي: مرحلة التدوين المحدود وتحرير النسخ، ومرحلة جَمْع الأشعار المدونة والمروية شفاهاً، ثم مرحلة صَنَعَة الدواوين. ومن المرجح أن تدوين الشعر العربي القديم قد بدأ في العقود الأولى من حكم الأمويين حيث بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان جَمْع الأخبار التاريخية وما يتصل بها من أشعار مثل كتاب «أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» لعبيد بن شَرِيّة، ثم بدأ العمل المركز والمنظم لجَمْع الشعر في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، حيث اعتمد صَنَاع الدواوين بعد ذلك اعتماداً كبيراً على رواية شعر شعراء مشهورين في العصر الأموي. ومن أهم الذين قاموا بجمع الشعر في العصر الأموي أبو عمرو ابن العلاء وحمّاد الراوية وخلف الأحمر وجناد الشَّرْقِي بن القطامي والمفضّل الضبي وأبي عمرو الشيباني. ويتضح من الأخبار التي نعرفها اليوم أن

قسمًا كبيرًا من الشعر العربي المبكر كان متاحًا في «دواوين القبائل»^١. وكان العمل الأساسي للغويين في القرن الثاني الهجري يقوم من ناحية على جمع دواوين الشعراء وتكوين هذه المختارات اعتمادًا على تلك المجموعات، ومن ناحية أخرى على تهذيب دواوين القبائل وإكمالها اعتمادًا على ما تجمع لديهم من مواد جديدة^٢.

وتلخص كتب مصطلح الحديث «طرق تحمل العلم» وتذكرها في أبواب خاصة بها. ومن خلال هذه الكتب نجد أن دور الراوي وواجبه يتحددان في أن الراوي يروي نصوصًا وصلت إليه مدونة أو دونها هو بنفسه، وذلك بغض النظر عن حفظه للنص أو عدم حفظه له. ويكون ذكر الرواة عند رواية النص مرة أخرى سلسلة الرواة المعروفة بالإسناد^٣.

ويضارع دور رواة الأدب في العصر الإسلامي وطريقتهم دور الرواة وطريقتهم في المجالات الدينية. وتوضح وظيفة الرواة في العصر الأموي من خلال بعض الأخبار القليلة المهمة التي تفيد أنهم كانوا يقيّدون الشعر بعد إملاء الشاعر له وأنهم كانوا يصفّلونه^٤.

وإذا كان المحدثون يشيرون إلى علاقتهم بمصادرهم عن طريق ذكر الرواة، فإننا غالبًا ما نفتقد هذه الإشارات عند أدباء العصر الأموي وأوائل العصر العباسي. وترجع الأسانيد في القرون التالية أيضًا في الغالب إلى رواة القرنين الأول والثاني للهجرة فقط، ومع ذلك فإن هناك بعض النصوص التي ترجع سلسلة إسنادها إلى العصر الجاهلي دون انقطاع. ويرجع سبب ذلك إلى كون الشعر يعود إلى عصر أقدم من عصر الحديث الشريف، وأن رواة الشعر كانوا

^١ Sezgin, F., GAS II, 24 - 25.

^٢ Ibid., II, 26

^٣ Ibid., II, 27

^٤ Ibid., II, 28

أقل، وأنه لم يكن هناك مانع ديني من رواية الشعر دون ذكر الرواة، ويرجع ذلك أيضاً إلى أن طرق الرواية التي كانت ملزمة في علم الحديث لم تنتقل إلى مجال رواية الشعر إلا في وقت متأخر نسبياً^١.

ولا شك أن المصطلحات التي أوردها ابن النديم في فهرسته مثل «صنع» و «جمع» و «روى» تدل على نشاط في التأليف في هذا الوقت المبكر^٢.

طرق التأليف

تتنوع طرق التأليف عند المؤلفين المسلمين حسب الفنون التي ألفوا فيها مثل الحديث والشعر واللغة والتاريخ وعلوم الدين . . . إلخ. وتتراوح هذه الطرق بين الأنواع الآتية:

الرواية - الصنعة والعمل - الترجمة والنقل - التجريد - التذييل - النعمة - الأمالي - المجالس - الاختيارات - الشرح - الجمع - الاختصار.

وكان القدماء عادة ما يقسمون مؤلفاتهم على أنواع والأنواع على مقالات والمقالات على أبواب، فيذكر ابن النديم أن علي بن سهل الطبري جعل كتابه «فردوس الحكمة» أنواعاً سبعة والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة والمقالة تحتوي على ثلاثمائة وستين باباً^٣.

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها الحضارة العربية الإسلامية نقل علوم الأمم القديمة إلى اللغة العربية وبذلك كان لحركة الترجمة ونقل الكتب القديمة دوراً أساسياً في التأليف. ويعد خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بـ «حكيم آل مروان» أول من اهتم بالصنعة وفكر في نقل الكتب القديمة في موضوعات الطب

^١ Sezgin, F., GAS II, 29

^٢ Ibid., II, 30

^٣ ابن النديم : الفهرست، ٣٥٤.

والنجوم والكيمياء، يقول ابن النديم أنه :

«أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تَفَصَّح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبلي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»^١.

ولكن حركة الترجمة الكبرى لم تبدأ إلا مع «بيت الحكمة» الذي أنشأه العباسيون في بغداد في عصر هارون الرشيد حيث ذكر ابن النديم أن أبا سهل الفاضل ابن تَوَيْخَتْ

«كان في خزنة الحكمة لهارون الرشيد . ولهذا الرجل نقل من الفارسي إلى العربي ومعه في علمه على كتب الفرس»^٢.

فقد نُقِلَ الفرس في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية، ونُقِلَ هذه الكتب إلى اللغة العربية عبد الله بن المُفَضَّل وغيره من النقلة^٣.

كما نصَّ ابن جُلَجل الأندلسي على أن الرشيد قَدَّ يوحنا بن ماسويه

«ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقره وعمورية وبلاد الروم حين سبها المسلمون ووضعها أميناً على الترجمة وَصَّحَ له كُتَّاباً حَذَّافاً يكتبون»^٤.

ثم ازدهرت حركة الترجمة والنقل في عصر الخليفة المأمون الذي بعث إلى إمبراطور بيزنطة يطلب إليه أن يبعث له من يختار من العلوم القديمة الموجودة عند البيزنطيين، فأجابته إلى ذلك بعد امتناع، يقول ابن النديم :

«فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلمان صاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وَجَدُوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أَسْرَهُمْ بنقله فنقل . وقد قيل إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم»^٥.

^١ ابن النديم : الفهرست ٣٠٣، ٤١٩ .

^٢ نفسه ٣٣٣ .

^٣ نفسه ٣٠٣ .

^٤ ابن جُلَجل : طبقات الأطباء والحكماء ١٦٥ : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١ : ١٧٥ .

^٥ ابن النديم : الفهرست ٣٠٤ : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١ : ١٨٧ .

ومن اعتنى كذلك بإخراج الكتب من بلاد البيزنطيين بنو شاذي المنجم :
محمد وأحمد والحسن وبذلوا في سبيل ذلك الرغائب وأرسلوا لهذا الغرض
حنين بن إسحاق وغيره فجاءوا إليهم من بيزنطة ، كما يقول ابن النديم :
«بطراف الكتب ودرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى
والأرثماطيق والطب»^١.

وكان بنو المنجم يرزقون جماعة من الثقل على نقل الكتب إلى العربية منهم
حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم ما قيمته خمسمائة
دينار في الشهر للنقل والملازمة^٢.

وأورد ابن النديم وحاجي خليفة أسماء الثقل من اللغات القديمة إلى اللسان
العربي ، من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية^٣ . ومن أشهر هؤلاء
المترجمين يوحنا بن البطريق المترجمان مولى المأمون ، الذي قال عنه ابن جُلجل :
«كان أميناً على الترجمة حسن التأديب للمعاني بكيء اللسان في العربية ،
وترجم كثيراً من كتب الأوائل ، وهو ترجم كتاب أرسطاطاليس إلى الإسكندر
المعروف بـ "سر الأسرار" ، وهو كتاب "السياسة في تدبير الرياسة"»^٤.

وحثّ بن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٤م الذي وصفه ابن
النديم بأنه كان

«قصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية دار البلاد في جمع الكتب
القديمة ودخل بلد الروم وأكثر نقوله لبني موسى»^٥.

كما قال عنه ابن جُلجل :

«تلميذ يوحنا بن ماسويه عالم بلسان العرب ، قصيحاً باللسان اليوناني جداً

^١ ابن النديم : الفهرست ٣٠٤.

^٢ نفسه ٣٠٤.

^٣ نفسه ٣٠٤-٣٠٥ حاجي خليفة : كشف الظنون ٣ : ٩٧-١٠٠.

^٤ ابن جُلجل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٧ وانظر ابن النديم : الفهرست ٣٤١-٣٤٢.

^٥ ابن النديم : الفهرست ٣٥٢.

بارعاً في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين اختيار للترجمة واتمن عليها . وكان المتخير له جعفر المتوكل على الله ووَخَّحَ له كُتُابًا نحارير عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصنَّح حنين ما ترجموه كإصطفن بن بسيل وحنين وموسى بن أبي خالد الترجمان وحنين بن هارون^١ .

وقال ابن أبي أصيبعة :

«أن حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه . . . وتَلَمَّذَ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية . وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدرية فيهم بما لم يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه»^٢ .

وأضاف أن المأمون لما أراد نقل كتب أرسطو طاليس

«أحضر حنين بن إسحاق إذ لم يجد من يضاهيه في نقله وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية ويدل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل»^٣ .

وكانت عناية حنين بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس حتى أنه قلَّ أن يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهو ينقل حنين أو بإصلاحه ما نقله غيره حتى أن ما نقله غيره من كتب جالينوس كان لا يعتنى به ولا يُرَغَّب فيه مثل ما كان ينقل حنين وإصلاحه^٤ . وقد رأى ابن أبي أصيبعة أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين بن إسحاق ، وبعض هذه الكتب عليه تنكيث بخط حنين بن إسحاق باليوناني وكانت على هذه الكتب علامة المأمون مما يدل على أنها من بين كتب بيت الحكمة ببغداد^٥ .

وأما ابنه إسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م فيقول عنه ابن النديم :

^١ ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٨ - ٦٩ ابن أبي أصيبعة : عيون : ١٨٩ .

^٢ ابن أبي أصيبعة : عيون : ١٨٦ .

^٣ نفسه : ١ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

^٤ نفسه : ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ .

^٥ نفسه : ١ : ١٨٧ .

«كان مثل أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك»^١.
وأضاف ابن أبي أصيبعة عند ذكره لإسحاق أنه
«اشتهر وتبحر في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة إلا أن جُلَّ عنايته كانت
مصروفة إلى نقل الكتب الحكيمة مثل كتب أرسطوطاليس وغيره من
الحكماء»^٢.

وذكر أبو معشر في كتاب «المذكرات»

أن حنّاق التراجمة في الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ويعقوب بن
إسحاق الكندي وثابت بن قرة الخزازي وعمر بن الفوخان الطبري»^٣.

وكثيراً ما كان النقل يتم من خلال لغتين من اليونانية إلى السريانية - حيث أن
عددًا ضخمًا من المؤلفات اليونانية تم ترجمته بالفعل إلى تلك اللغة من أجل
المسيحيين الناطقين بالسريانية - ثم من السريانية إلى العربية بسبب انتشار هذه اللغة في
العراق، غير أنه بمرور الوقت بدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية؛ فكتاب
باري أرمنيّاس ترجمه حنين بن إسحاق إلى السرياني ثم نقله إسحاق بن حنين
إلى العربي^٤. وكتاب أنالوطيقا الثاني ترجم حنين بعضه إلى السرياني ثم نقله
إسحاق بشمامه إلى السرياني أيضًا ثم نُقلَ مَتْنُ بن يونس نُقلَ إسحاق إلى
العربية. كذلك فقد نقل حنين بن إسحاق المقالة الثانية من نص كتاب السماع
الطبيعي لأرسطو بشرح الإسكندر الأفروديسي من اليونانية إلى السريانية ثم نُقلَ
يحيى بن عدي هذا النقل إلى العربية^٥.

وأحيانًا كان يتم إصلاح النقل أي مراجعته، فقد نُقلَ أبو روح الصابي
«كتاب السماع الطبيعي» لأرسطو وأصلح هذا النقل يحيى بن عدي^٦. كذلك
فإن كتاب «الحشائش» لديسقوريدس المعروف أيضًا بـ «الأدوية المفردة» نقله

^١ ابن النديم : الفهرست ٣٢٣، ٣٥٦.

^٢ ابن أبي أصيبعة : حبرون ١ : ١٨٨.

^٣ نفسه ١ : ٢٠٧.

^٤ ابن النديم : الفهرست ٣٠٩.

^٥ نفسه ٣٠٩.

^٦ نفسه ٣١٠.

اصطفق بن بسيل من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ولكنه لم يستوف الأسماء العربية كلها لعدم معرفته بما يقابلها باليونانية وتصح هذه الترجمة حين ابن إسحاق فصّحها وأجازها^١.

ويُظن أن ابن النديم ألف كتابه «الفهرست» أولاً عن الكتب اليونانية والمترجمة وأسماء المترجمين والنقلة، كما يتضح ذلك من نسخة مخطوطة من الكتاب محفوظة بمكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١١٣٥ كتبت سنة ٦٠٠ هـ. وهي نسخة قائمة بذاتها وتحتوي على أربع مقالات فقط وهذه المقالات تطابق المقالات السابعة إلى العاشرة من الكتاب. ولعل ابن النديم كان كتابه في الأصل على هذه المقالات ثم جعل كتابه شاملاً لكل الفنون فأضاف إليه المقالات الست الأولى وصار بذلك في عشر مقالات^٢.

ويرى والدي المرحوم فؤاد سيد أن أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية، وأنهم أكثرها من النقل والترجمة عن هذا الطريق. ولكننا لم نظفر - إلا قليلاً جداً - بنصوص عربية عن اللغات اللاتينية، ولعل كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلجل الأندلسي الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧ هـ هو أول كتاب استفاد من هذه الترجمات التي يرجح أنها تمت في عصره أو قبله بقليل^٣.

والنوع الثاني من التأليف الذي ساد عند العرب المتقدمين هو «الأمالي» التي بدأت في الانتشار وأصبحت ظاهرة عامة على مشارف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكانت متمركزة في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ومركز الحركة العلمية ومقصد العلماء والأدباء من شتى بقاع العالم الإسلامي^٤.

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٤٦ - ٤٧.

^٢ فؤاد سيد: مقدمة طبقات الأطباء والحكماء لابن جُلجل الأندلسي صفحة ز هـ^١.

^٣ نفسه صفحة ز.

^٤ الخوارزمي: المخطوط العربي ١٣٨.

ووصف حاجي خليفة «الأمالي» بقوله :

«الأمالي هو جمع الإملاء، وهو أن يُقَدِّمَ عالمٌ وحوله تلامذته بالمحابر والقراطين، فيتكلم العالم بما فَتَحَ الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتابًا يسمونه الإملاء والأمالي. وكذلك كان السلف من الفقهاء والمُحَدِّثِينَ وأهل العربية وغيرها في علومهم، فاندريست لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليل»^١.

وكثرَت الأمالي في مختلف العلوم والفنون ولعل علماء الحديث واللغة هم أكثر الناس اهتمامًا بهذا اللون من التأليف. فيذكر السيوطي أن الإملاء أعلى وظائف الحفاظ في اللغة، «كما أن الحُفَظَاطَ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء»، ثم يضيف :

«وقد أملى حُفَظَاطُ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملَى ثَمَلِبَ مجالس عديدة في مجلد ضخيم، وأملَى ابنُ دُرَيْدٍ مجالس كثيرة رأيت منها مجلدًا، وأملَى أبو محمد القاسم بن الأَثْبَارِيِّ وولده أبو بكر ما لا يُحْصَى، وأملَى أبو علي الفاي خمسة مجلدات وغيرهم»^٢.

كما أن المُتَكَلِّمَ المعتزلي المعروف أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م أملى مائة ألف وخمسين ألف ورقة، قال القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي :

«وكان أصحابنا يقولون إنهم أحزروا ما أملاه فوجدوه نحو مائة وخمسين ألف ورقة، وما رأينا ينظر في كتاب إلا يؤسأ واحدًا نظر في "زيج الخوارزمي" ورأينا بيده يومًا آخر جزءًا من "الجامع الكبير" [للشيباني] وكان يقول : إن الكلام أسهل شيء لأن العقل يدل عليه»^٣.

^١ حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨ .

^٢ السيوطي : الأثر ٢ : ٣١٣ .

^٣ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٨٩ - ٢٩٠ .

وأخصى حاجي خليفة كتب «الأمالي» وعقد لها فصلا في كتابه «كشف الظنون»^١، وأقدم الأمالي التي ذكرها «أمالي» الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المتوفى سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م وهي في الفقه يقال أكثر من ثلثمائة مجلدة^٢. كما أن العلماء العميان كانوا من أخرج المؤلفين للإملاء.

وربما استوعب الإملاء عدة مجالس في عدة سنين، فيروى أن أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م قال لأصحابه: «اتشغلون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ما نفى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة».

وقد أملاه على أصحابه بين سنتي ثلاث وثمانين وتسعين ومائتين، وفي رواية أنه بدأ في إملائه في سنة سبعين ومائتين^٣.

ثم قال: هل تشغلون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إن لله ماتت الهمم^٤.

ولعل أصحاب الطبري كانوا ورأقيه وكان من بينهم على الأرجح أبو القاسم الحسين بن حبيش الوراق، قال:

«كان قد الشمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له ثلثين كتابا فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردّها عليّ وفيها علامات له بحمره قد علم عليها»^٥.

^١ حاجي خليفة: كشف الظنون ١: ٤٢٨ - ٤٣٣.

^٢ نفسه ١: ٤٣٠ - ٤٣١.

^٣ بالروت: معجم الأدباء ١٨: ٤٢.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ١٦٣.

^٥ بالروت: معجم الأدباء ١٨: ٨١.

وأضاف الخطيب البغدادي إشارة إلى كثرة ما ألفه الطبري يقول :

«سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللخوي المعروف بالسهماني
يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين
ورقة»^١.

كما أملى أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م
كتاب «المُشْكَل في معاني القرآن» في عدة سنين ولم يتمه^٢. وقد أملى ابن
الأنباري أغلب مصنفاته وقيل إنه أملى كتابه «غريب الحديث» من حفظه في
خمس وأربعين ألف ورقة^٣، قال ابن النديم : «وأكثر ما كان يمليه من غير دَقَر ولا
كتاب»^٤. كذلك فقد أملى أبو السَّعَادَات ابن الشَّجَرِي المتوفى سنة ٥٤٢هـ /
١١٤٧م «أماليه» في أربعة وثمانين مجلساً^٥. ولذلك فإن كتب «الأمالي» يُطلق
عليها أحياناً اسم «المجالس» مثل كتاب «مجالس العلماء» للزَّجَّاج و«مجالس
تعلُّب».

ويرى المحقق الراحل عبدالسلام هارون أن هناك فرقاً دقيقاً بين لفظي
«المجالس» و«الأمالي» في أصل استعمالهما وأن كلا منهما مظهر لما كان يدور
من تدوين لأقوال العلماء والمتصدين للتعليم.

فـ «الأمالي» كان يملئها الشيخ أو من ينوب عنه بحضرته فيتلقها الطلاب
بالتفديد في دفاترهم. وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه، أو يلقي إلى الطلبة
ما يشاء من تلقاء نفسه. وأما «المجالس» فتختلف عن تلك بأنها تسجيل كامل لما
كان يحدث في مجالس العلماء ففيها يُلقى الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه، وفيها
كذلك يُسأل الشيخ فيجيب، فيُدَوَّن كل ذلك فيما يسمى مجلساً، ويُعَتَّى رواية

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣.

^٢ باقرت : معجم الأدباء ١٨ : ٣١٢.

^٣ نفسه ١٨ : ٣١٢.

^٤ ابن النديم : الفهرست ٨٢.

^٥ باقرت : معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٣.

المجالس كذلك بإثبات سائر ما يحدث في المجلس عما له صلة بأداء النص^١.
وكتب «المجالس» ليست في حجم كتب «الأمالي» وأفرد لها حاجي خليفة فصلاً في كتابه «كشف الظنون»^٢.

وكثيراً ما اختلف لفظ الإملاء بالارتجال إذا تكرر إلقاء نص الكتاب فتختلف لذلك نسخه. فقد أملى ابن دريد كتاب «الجمهرة» بفارس ثم أملاه مرة ثانية ببغداد من حفظه، لذلك فهذا الكتاب مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان ويذكر المؤرخون أن لما أملاه بفارس علامة تُعلم من أول الكتاب، وأن النسخة الشامة التي عليها المَعْوَل هي النسخة الأخيرة. وأن آخر ما صُحِّح من النسخ نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بجُحْجُحٍ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه^٣.

وذكر أبو علي البیهقي المعروف بالسلامي في كتاب «التف والطرف»: أن ابن دريد صنف كتاب «الجمهرة» للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال أيام مقامه بفارس فأمله عليه إملاءً ثم قال: حدثني أبو العباس الميكالي قال: أملى عليّ الدريدي كتاب «الجمهرة» من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين، فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللقيف فإنه طالع له بعض الكتب^٤.

وقد يختلف نص الكتاب زيادة ونقصاً بتعدد رواته مثل ما ذكره ابن النديم عن أبي العباس أحمد بن يحيى تَمَلَّب المتوفى سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م من أن له «مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع وتكلم عليه. روى ذلك عنه

^١ عبد السلام هارون: مقدمة مجالس تلمب، القاهرة - دار المعارف ١٩٦٩، ٢٣ - ٢٤.

^٢ انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ٥: ٣٨٠ - ٣٨٢.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٦٧، باقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٣٢، القفطي: إنباء الرواة ٣: ٩٧، السيوطي:

بقية الرواة ٣١٤ والمزهر ١: ٩٤ - ٩٥، حاجي خليفة: كشف الظنون ٣: ٦٢٩.

^٤ باقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٣٨ - ١٣٩.

جماعة منهم أبو بكر بن الأثيري وأبو عبدالله البيهقي وأبو عمر الزاهد وابن درستويه وابن مقسم^١.
ويقدم لنا جلال الدين السيوطي وصفًا لطريقة الإملاء وكيفيته عند اللغويين، يقول:

«وطريقتهم في الإملاء كطريقة المُحَدِّثِينَ سواء، يكتب المستملي أول القائمة: "مجلس أملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا" ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلامًا عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى تفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيد، ومن القوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره»^٢.

ويروي لنا الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» بعض الأخبار عن مجالس الإملاء في بغداد وخاصة مجالس الحديث نلحظ فيها ما بلغته هذه المجالس من ضخامة في عدد حضورها مما استدعى ظهور فئة جديدة في المجتمع تعرف بـ «المستمليين» يتولون ترديد كلمات الشيخ أو الأستاذ وراءه حتى يسمع الناس، مثلما كان يفعل المبلِّغ في المساجد الجامعة، ومن أشهر هؤلاء المستمليين شخص يعرف بهارون المستملي. فمما ذكره الخطيب نقلاً عن أبي حاتم الرازي أن أبا أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري الأزدي:

«ظهر حديثه نحو من عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتاباً قط
ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزورا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل وكان مجلسه عند قصر المأمون. فبني له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشف وهو خلفه يكتب ما يُملى، فسئل أول شيء حديث حوشب بن عقيل، فلعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر من عشر مرات وهم يقولون لا نسمع، فقال مستمليان ومستمليان وثلاثة كل

^١ ابن النديم: الفهرست ٨٩.

^٢ السيوطي: المزهري ٢: ٣١٣ - ٣١٤.

ذلك يقولون لا نسمع، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي، فذهب جماعة وأحضروه، فلما حضر قال من ذكرت، فإذا صوته خلاف الرعد، فسكتوا وقعد المستملون كلهم واستملى هارون، وكان لا يستل عن حديث إلا حدث من حفظه^١.

[وهارون هذا هو في الأرجح أبو سفيان هارون بن سفيان بن راشد المستملي المعروف بتكلمة]^٢.

وذكر الخطيب البغدادي كذلك عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن سلم أنه قال:

«لما قدم علينا أبو مسلم [إبراهيم بن عبدالله بن مسلم] الكجي أملى الحديث في رحبة غسان، وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه. وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر، ثم سُحِّت الرحبة وحُسِبَ من حضر بمحبرة فيبلغ ذلك ثيفاً وأربعين ألف محبرة سوى النظارة»^٣.

وذكر ابن الجوزي أن أبا بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي المتوفى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م لما ورد إلى بغداد اجتمع له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه

«فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث قليل نحو ثلاثين ألفاً، وكان المستملون ثلثمائة وستة عشر... وكان في مجلسه من أصحاب المحابر من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان»^٤.

وقدّم لنا الخطيب البغدادي عن يوسف بن عمر القواس وصفاً لمجلس القاضي المحاملي يقول:

«حضرت مجلس القاضي المحاملي وكان له أربعة مستملين يستملون عليه وكتب لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمع من لفظ المحدث فقامت

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩: ٣٣.

^٢ نفسه ١٤: ٢٤.

^٣ نفسه ٦: ١٢١ - ١٢٢ ابن الجوزي: المنتظم ٦: ٥٠.

^٤ ابن الجوزي: المنتظم ٦: ١٢٤ الصفي: الوافي ١١: ١٤٦.

قائماً لأنني كنت بعيداً من المحاملي بحيث لا أسمع لفظه، فلما رأي الناس أفرجولي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير^١. وذكر الخطيب أيضاً أن المعتصم وجّه بمن يحضر مجلس عاصم بن علي بن عاصم في رَحبة النخل التي في جامع الرصافة و قال:

«وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناس في الرَّحبة وما يليها ويعظم الجمع جدّاً حتى سمعته يوماً يقول: حدثنا الليث بن سعد، ويُستعاد فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون قال: وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها، فبلغ المعتصم كثرة الجمع فأمره يحزّره فوجّه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف»^٢.

وما أورده الخطيب البغدادي عن وصفه مجالس الإملاء يدلنا على مدى إمكانية اختلاف نسخ المستملين بحسب موقعهم قريباً أو بُعداً من المملي.

ونظراً لاختلاف الإملاء أو زيادة المملي لفصول على كتابه فقد كان المؤلفون يقومون بمعارضة الإملاء الأول بالإملاء الأخير لاستخراج نص يرضونه مثال ذلك ما ذكره ابن التميمي من أنه قرأ بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي على كتاب «الياقوت» في اللغة لأبي عمر الزاهد:

«كان أبو عمر محمد بن عبد الواحد صاحب أبي العباس ثعلباً ابتداءً بالإملاء هذا الكتاب، كتاب «الياقوت»، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ست وعشرين وثلثمائة في جامع المدينة، مدينة أبي جعفر، ارتجلاً من غير كتاب ولا دستور، فمضى في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره، وكتب ما أملاه مجلساً يتلوا مجلساً، ثم رأي الزيادة فزادني أضعاف ما أملى وارتجلاً يواظبت آخر، واختص بهذه الزيادة أبا محمد الصفار لملازمته وتكرير قرائته لهذا الكتاب على أبي عمر، فأخذت الزيادات منه. ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري له، وسمي هذه القراءة القَدْلكة فقرأه عليه

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٦.

^٢ نفسه ١٢: ٢٤٨.

وسمعه الناس . ثم زاد فيه بعد ذلك ، فجمعت أنا في كتابي الزيادات كلها . وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث ليال يقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وثلثمائة إلى أن فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة . وحضرت النسخ كلها عند قرائتي نسخة أبي إسحاق الطبري ونسخة أبي محمد الصفار ونسخة أبي محمد بن سعد القطرولي ونسخة أبي محمد الحجازي ، وزادني في قراءتي عليه أشياء وتوافقت في الكتاب من أوله إلى آخره . ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت آخر زيادات في أضعاف الكتاب واختص بهذه الزيادة أبا محمد وهب ملازمته ، ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق الطبري عليه هذا الكتاب ، وتكون آخر عرضة يقرر عليها هذا الكتاب ، ولا يكون بعدها زيادة وسمى هذه العرضة المحرابية . واجتمع الناس يوم الثلاثاء من جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة في منزله بحضرة سكة أبي العنبر ، فأملى على الناس ما نسخته :

* قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد : هذه العرضة هي التي تقرر بها الأستاذ أبو إسحاق الطبري آخر عرضة أسمعها ، بعده فمن روى عني في هذه النسخة وهذه العرضة حرقاً وليس هو من قولي فهو كتاب علي ، وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس ، وأنا أسمعها حرقاً حرقاً *

قال أبو الفتح : وبدأ بهذه العرضة يوم الثلاثاء لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة^١ .

وسبب ذلك أن أبا عمر الزاهد هذا المتوفى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م كان كما يقول ابن الجوزي :

«غزير العلم كثير الزهد ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيهما يلغني . وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف»^٢ .

^١ ابن النديم : الفهرست ٨٢ - ٨٣ القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٧٥ - ١٧٦ .
^٢ ابن الجوزي : المتكلم ٦ : ٣٨٠ .

وهكذا فإن غمط الإملاء في اللغة كان شائعاً في المصدر الأول للإسلام ثم انقطع إملاء اللغة دُمُراً طويلاً بسبب موت الحفاظ وإن استمر إملاء الحديث، يقول السيوطي:

«ولما شَرَعَتْ في إملاء الحديث سنة الثنتين وسبعين وثمانمائة وجدَّته بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة مات الحفاظ أبو الفضل ابن حجر (المسقلاني) أردت أن أجدَّ إملاء اللغة وأحييه بعد دثوره، فأملت مجلساً واحداً لم أجد له حَمَلَةً ولا من يرغب فيه فتركته. وآخر من علَّمته أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، له أمال كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، ولم أقف على أمال لأحد بعده»^١.

وقد وصَّفَ الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السَّمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» ما يَحْتَاجُ إليه المُعَلِّمُ والمُسْتَمَلِّ، وعلى الأخص في علم الحديث، وما يَتَطَلَّبُ في كل منهما^٢.

^١ السيوطي: الزهر ٢: ٣١٤.

^٢ السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، نشره ماكس فيسفيار، ليدن-بريل ١٩٥٢.

اهتمام القدماء بالنسخ الأصلية

عرّف العلماء المسلمون منذ بدايات التدوين تفاوت أقدار النسخ المختلفة للكتب العلمية، وقَدَّروا أهمية هذه النسخ وفقًا لمعايير مازالت هي المعايير التي يرجع إليها اليوم العلماء المحققون عند نقد النصوص القديمة ونشرها. وتتراوح هذه المعايير بين: قَدَمُ النسخة وصحتها أو مقابلتها بغيرها.

والقَدَمُ يعني أن تكون النسخة أصلاً كتبها المؤلف بخطه أو عليها خطه أو قُرأت عليه، أو أن تكون قد طالعها بعض العلماء وقُوبِلت على نسخ معتبرة، كذلك فإن بعض النسخ تستمد قيمتها من كونها قد كتبها بخطه عالم شهير أو تملكها أحد العلماء أو تداولها أكثر من عالم واحد ووجدت عليها سماعات أو قراءات أو إجازات تفيد ذلك، وفي كل الأحوال فقد كان قَدَمُ النسخة نوعاً من الضمان لصحتها واعتمادها.

وعلى ذلك فإن العلماء القدماء كانوا دائماً ما يشيرون إلى اقتنائهم أو اطلاعهم على كثير من المؤلفات التي بخطوط مؤلفيها أو طالعها واستفاد منها علماء مشهور لهم، وسمّى عبدالقادر البغدادي أمثال هذه النسخ فيما رجع إليه «نسخاً صحيحة مرقوة وعليها خط العلماء»^١، وبعض هذه النسخ وصل إلينا شاهداً على عناية المؤلفين والعلماء المسلمين وتقديرهم لأمثال هذه النسخ، وكثيراً ما كانوا يذكرّون - إذا لم تكن النسخة في حوزتهم - الخزائن التي اطَّلَعُوا

^١ البغدادي: خزائن الأدب ٥: ١٤٣.

فيها عليها، ولكن هذا التقليد لم يشع إلا في العهود المتأخرة^١، حتى إن المشرق برجستراسر لاحظ أن علماء العرب كانوا أكثر تقديرًا لقيمة المخطوطات المكتوبة بخطوط مؤلفيها عن علماء الغرب^٢.

وقد جُمعت من خلال مطالعتي لمؤلفات أربعة من العلماء الذين اشتهروا بجمع الكتب والاعتناء بها، معلومات هامة عن تقدير القدماء لهذه النسخ التي أفادوا منها، بالإضافة إلى ضبطها وتحريرها بمعلومات كثيرة عن تاريخ تأليفها أو تواريخ وفيات كتّابها من خلال تاريخ الفراغ من كتابة النسخة الذي يُطلق عليه الـ Colophon، وكذلك بما عليها من إجازات وسماعات وقراءات وتقييدات. وهؤلاء المؤلفون هم: محمد بن إسحاق النديم المتوفى نحو سنة ٤١٢هـ/١٠١٢م صاحب كتاب «الفهرست»، وأبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م صاحب «معجم الأدباء» و«معجم البلدان»، ومعاصره الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م صاحب «إنباء الرواة على أنباء النحاة»، ثم صاحب التأليف الضخمة صلاح الدين خليل بن أيبك الصقدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.

وقد اعتمد كل من ابن النديم وياقوت والقفطي فيما أوردوه من معلومات عن الكثير من الكتب النادرة المتقدمة التي فقدت أصولها اليوم على عالم كوفي كان من أصحاب إمام الكوفيين في النحو واللغة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب المختصين به، هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي النحوي اللغوي المعروف بابن الكوفي المتوفى في ذي القعدة سنة ٣٤٨هـ/٩٦٠م هكذا وجد ياقوت اسمه بخطه على عدة من كتبه^٣.

١ انظر على سبيل المثال، السخاوي: الإعلان بالتبويب ٥٩٠ و٥٩٣ و٥٩٤ و٦٠٦ و٦٣١؛ الزبيدي: تاج العروس ١: ٤-٣.

٢ برجستراسر: أصول نشر النصوص ونقد الكتب ١٧.

٣ ياقوت: معجم الأدباء ١٤: ١٥٤.

قال القفطي:

«كان أبوه من ذوي اليسار من أهل الكوفة واشتغل ولده هذا بطلب العلم من يومه، ولما مات أبوه خُلف له فيما يقال زائدًا على خمسين ألف دينار فصرفها كلها في طلب العلم وتحصيل الكتب شراءً واستنساخًا وكتابةً»^١.
ووصَّفه ياقوت بأنه

«صاحب الخط المعروف بالصحة المشهور بإتقان الضبط وحسن الشكل. فإذا قيل نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط».

وأضاف

«رأيت بخطه عدة كتب فلم أر أحسن ضبطًا وإتقانًا للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطيًا، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار: صَحْ صَحْ صَحْ. وكان من جماعي الكتب وأرياب الهوى فيها»^٢.

ولابن الكوفي بعض مؤلفات منها كتاب في «معاني الشعر واختلاف العلماء» وكتاب «الفرائد والقلائد في اللغة والشعر» وكتاب «الهمز» الذي ظل موجودًا إلى أوائل القرن السابع يقول ياقوت: «رأيت أنه بخطه»^٣.

ويبدو من اقتباسات ابن النديم عن ابن الكوفي أنه كان صاحب مؤلف كبير في تاريخ الكتب اعتمد عليه في مواضع مختلفة لا سيما فيما يتعلق بالمؤرخين واللغويين الكوفيين رغم عدم ميل الدكتور فؤاد سزجين إلى هذا الرأي الذي قال به ليبيرت Lippert^٤.

١ القفطي: إنباء الرواه ٢ : ٣٠٦.

٢ ياقوت: معجم الأدياء ١٤ : ١٥٣، القفطي: إنباء الرواه ٢ : ٣٠٥، الصقدي: الرافعي ٢٢ : ٧١.

٣ نفسه ١٤ : ١٥٣.

٤ Sezgin, F., GAS I, p. 385.

فابن النديم يذكر في أكثر من موضع «نقلت من خط ابن الكوفي»^١ أو «قرأت بخط ابن الكوفي»^٢. كما يورد قائمة مؤلفات هشام الكلبي وأبي الحسن علي بن محمد المدائني «من خط أبي الحسن بن الكوفي»^٣. وأخذ عنه كذلك كما يقول «طائفة أصبنا ذكرهم بخط ابن الكوفي فذكرناهم»^٤. ووقف ابن النديم أيضاً على «جملة أجزاء بخط ابن الكوفي فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وأثار وقعت لأبي الحسن بن التيج من كتب بني الفرات» وأضاف «وهذا من أظرف ما رأيته بخط ابن الكوفي بعد كتاب مساوي العوام لأبي العتيس الصيغري»^٥. كما وجد بخطه كذلك نسخة من كتاب «من استجيب دعوته» وكتاب «الحيل» لمحمد بن حبيب^٦.

ونكاد لا نعلم عن حياة أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق [ابن] النديم البغدادي المعروف بابن أبي يعقوب الوراق سوى أنه صاحب أوّل وأهم كتاب يؤرّخ للتراث العربي وأكثرها شمولاً حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي. وعنوان كتابه هو «الفهرست» أو «الفهرست في أخبار الأدباء» وبدأ في تأليفه عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م^٧. وقد كان ابن النديم ورّاقاً يبيع الكتب في بغداد وقد أتاح له ذلك أن يرى معظم الكتب التي ذكرها وأن يُحدّد قيمتها العلمية والمادية، كما أتاح له حرفته جمع الكثير من مادة كتابه مما يجعلنا نشق فيما يذكره من أنه رأى هذا الكتاب أو ذلك أو شاهد نسخة منه بخط مؤلفه أو بخط أحد العلماء^٨.

^١ ابن النديم: الفهرست ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٧٩.

^٢ نفسه ٣٦، ١١٧، ١٥٨.

^٣ نفسه ١٠٨، ١١٣.

^٤ نفسه ١٢١.

^٥ نفسه ٤٢٣.

^٦ نفسه ١١٩.

^٧ نفسه ٣، ٩٦، ٢٧٣؛ ياقوت: معجم الأدباء ٤: ١٩٩ - ١٢٠٠: ٨، ٧٧.

^٨ راجع ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٧؛ الصّغدي: الرافعي بالرفعات ٢: ١٩٧؛ Sezgin, GAS I, 382.

ورغم أننا لا نملك اليوم نسخة كاملة من «الفهرست» فقد كانت مع ياقوت الحموي في مطلع القرن السابع الهجري نسخة منه بخط ابن النديم نفسه يقول: «وجدت في كتاب فهرست ابن النديم بخط مؤلفه»^١.

وقد سبقت محاولتي ابن الكوفي وابن النديم في وضع فهرست للكتب في موضوعاتها المختلفة محاولة لوضع فهرست لمؤلفات أو كتب عالم بعينه أولها فهرست كتب عالم الكيمياء المشهور جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي، فقد ذكر ابن النديم أن:

«له فهرستًا كبيرًا يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ما ألف في الصنعة فقط»^٢.

ثم أضاف:

«ونحن نذكر شيئًا من كتبه رأيناها وشاهدنا الثقات فذكروها لنا»^٣.

ويبدو أن جابر بن حيان هو الذي صنع فهرست كتبه فيقول ابن النديم في أثناء تعداد مؤلفاته:

«قال جابر في كتاب فهرسته ألفت معه هذه الكتب . . .»^٤.

كما صيغ أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي فهرستًا لكتب أرسطوطاليس نقل عنه ابن النديم ما مثاله:

«كلما قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه»

أو

«نسخت من خط يحيى بن عدي من فهرست كتبه»^٥.

وعجل حنين بن إسحاق «فهرست كتب جالينوس» رجع إليه ابن النديم في مواضع كثيرة^٦.

كذلك كان هناك فهرست لكتب أبي بكر بن زكريا الرازي نقل منه ابن النديم أسماء كتبه قائلا:

^١ ياقوت معجم الأديباء ١٣ : ٢٤٧ .
^٢ ابن النديم : الفهرست ٤٢١ .
^٣ نفسه ٤٢١ .
^٤ نفسه ٤٢١ .
^٥ نفسه ٣١٢ .
^٦ نفسه ٣١٨ .

«ما صنَّقه الرازي من الكتب منقولة من فهرسته»^١.

أما شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، فقد كان يشغل بالنسخ بالأجرة وبتجارة الكتب^٢ فأناح له ذلك مثل ابن النديم الوقوف على الكثير منها واقتنائها، وقام بنسخ العديد من الكتب التي وصلت إلينا نسخ منها. وقد أشار في مقدمة كتابه «معجم الأدباء» إلى أنه:

«جَمَعَ في هذا الكتاب ما وقع إليه من أخبار النحويين واللغويين والشَّاعِرِينَ والقُرَّاء المشهورين والإخباريين والمُؤرِّخين والوَاقِعِ المعروفين والكتب المشهورين وأصحاب الرسائل المَدُونَةِ وأرباب الخطوط النُسُوية والمُعَيَّنَةِ»^٣.

وحرص ياقوت على وصف الكثير من النسخ التي وقَّعت له أو اطلَّع عليها، وذكر ما عليها من سماعات وقراءات وإجازات، والكثير من هذه النسخ بخطوط مؤلفيها أو كتبها علماء أو عليها خطوط العلماء. وأوصى قبل موته بأوراقه ومجموعاته لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري صاحب «الكامل في التاريخ»، كان مقيماً بحلب، وعهد إليه أن يُسَيِّرَهَا إلى وَفْد الزَّيْدِي ببغداد ويُسَلِّمَهَا إلى الناظر فيه الشيخ عبدالعزيز بن دلف. ولكن ابن الأثير تَصَرَّفَ في كتبه وأوراقه التي بخطه تصرفاً غير مرضي ولم يوصلها إلى الجهة المعنية برسمها بل فرقها على جماعة أراد الانتفاع بهم^٤.

وكان الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطلي جَمَاعَةً للكتب حريصاً عليها جَمَعَ منها ما لا يوصف وقصد بها من الأفاق وكان كما يقول الصَّفْدِي:

^١ ابن النديم: فهرست ٣٥٧.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٨٨، القفطلي: إنباء الرواد ٤ : ٧٥ و ٧٦.

^٣ نفسه ١ : ٤٨ - ٤٩ : ٤، ٢٣٩ : ٩ : ١٢٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ : ١٢٨ - ١٢٩.

^٤ القفطلي: إنباء الرواد ٤ : ٧٨.

«لا يحب من الدنيا سواها، ولم تكن له دار ولا زوجة وأوصى بها للناصر صاحب حلب، وكانت تساوي خمسين ألف دينار»^١.
ويقول ياقوت:

«لم أر مع اشتغالي على الكتب ويبي لها ونجارني فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان مقيماً بحلب»^٢.

لذلك فإنه يعتز طول صفحات كتابه «إنباه الرواه» بالإشارة إلى ما امتلكه من نسخ بخطوط مؤلفيها أو بخطوط العلماء.

وأتاح له امتلاكه لهذا الكم الكبير من الكتب المعتبرة أن يجمع مقداراً وافراً من التعليقات والتقييدات والفوائد التي تعود العلماء أن يضيفوها على ظهور الكتب كانت موضوع كتابه «نهضة الخاطر ونزهة الناظر في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب»^٣ وقد فقد اليوم هذا الكتاب.

أما صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفي سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م فهو صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» أكبر كتاب في التراجم إلى نهاية القرن الثامن وغيره من الكتب الهامة. وكتب الصفدي ما يقارب مئتين من المجلدات وكان جيد الخط، ووجد ابن سعد بخطه

«كتبت بخطي ما يقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعل الذي كتبه في الإنشاء ضعف ذلك»^٤.

والصفدي هو أول المؤلفين الذين وصلت إلينا نماذج واقية لخطوطهم سواء لمسودات مؤلفاته أو ما دونه بخطه على الكتب التي تملكها أو سمعها على

^١ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٣٣٨، ابن شاذان: فوات الوفيات ٣ : ١١٨.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٥ : ١٨٨.

^٣ نفسه ١٥ : ١٨٧، الصفدي: الوافي ٢٢ : ٣٤٠، ابن شاذان: فوات ٣ : ١١٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٥ : ٢٣٦.

^٤ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢ : ١٧٧.

المشايع أو طالعها. وأشار في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى العلماء الذين اشتهروا بجودة الخط وتحريره وصحته وما وقّف عليه مما كتبه بخطوطهم وامتلكه منها.

وقبل أن أتحدّث عن اهتمام العلماء القدماء بالنسخ النقيصة وإشارتهم إليها وكيفية استفادتهم منها، يجب أن أشير إلى أن علماءنا القدماء لم يستخدموا كلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للإشارة إلى هذه الكتب.

فكلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد والتي خَلَقَها لنا القدماء، هي ترجمة لكلمة Manuscrit الفرنسية والتي لم تُستخدَم بهذا المعنى إلا في عام ١٥٩٤ م في مقابل كلمة «مطبوع»^١، وذلك بالرغم من ورود هذا اللفظ في بعض المعاجم القديمة حيث ورد أول ذكر له عند الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م في كتابه «أساس البلاغة» يقول في مادة «خطط»:

«خطَّ الكتاب يخطّه... وكتابٌ مخطوط»^٢.

ثم تسكت المعاجم عن ذكر هذا اللفظ حتى يقابلنا مرة أخرى عند السيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م في «تاج العروس» يقول في نفس المادة:

«كتابٌ مخطوطٌ أي مكتوبٌ فيه»^٣.

لذلك فإن القدماء أشاروا إلى الكتب التي استفادوا منها أو نقلوا عنها باللفظ «الكتاب» أو «النسخة» أو «الجزء» أو «المجلد»، مثال ذلك: «نسخت هذه الكتب

^١ من Manuscriptus أي الكتابة باليد. (Robert, P., Dictionnaire le petit Robert, Paris - Le).
(Robert 1981, p. 1149).

^٢ الزمخشري: أساس البلاغة (الطبعة الثالثة) ١ : ٢٤٠.

^٣ مرتضى الزبيدي: تاج العروس ٥ : ١٢٩.

من جزء عتيق^١، أو «قرأت [رأيت] بخط عتيق^٢، أو «قرأت [رأيت] في كتاب عتيق^٣، أو «وجدت على نسخة قديمة^٤، أو «قرأت في جازة عتيقة^٥».

فمن الكتب التي وقّفَ عليها ابن النديم بخطوط مؤلفيها . كتاب «الهدايا» لأبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المَرْزُبَانِي المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م وكتاب «الزُّهْد وأخبار الزُّهَّاد» له أيضاً أكثر من مائتي ورقة^٦، وأضاف ابن النديم أن المَرْزُبَانِي وقّفَها من أصوله التي بخطه نيّفاً وعشرين ألف ورقة^٧؛ وشاهد كذلك كتاب «تعليم بعض المؤمرات» لأبي الحسن علي بن الحسن بن الماشطة قال: «رأيت بخطه^٨»، وكتاب «أشعار قُرَيْش» لأبي أحمد بشر المرثدي، قال: «رأيت بخط المرثدي^٩».

ومن مؤلفات أحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب وقّفَ ابن النديم على كتاب «الخراج الكبير» قال: «رأيت المَسُوْدَة بخطه نحو ألف ورقة»، وكتاب «الشَّرَاب والمُنادمة» قال: «رأيت بخطه^{١٠}». وكتاب «النبات» لأبي سعيد السُّكْرِي، قال: «رأيت منه شيئاً كثيراً بخطه^{١١}»، وكتاب «المناهل والقرى» له أيضاً، قال: «رأيت بخطه»، ووقّفَ كذلك على نسخة من كتاب «الوزراء» لابن عبدوس الجَهْشِيَارِي بخطه ونقل منها بقوله:

«وقرأت بخط أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجَهْشِيَارِي في كتاب

الوزراء تأليفه^{١٢}».

أما الكتب التي وقّفَ عليها ورأى منها نُسخاً بخطوط العلماء أو الورّاقين المشهورين فكثيرةٌ جداً. فقد كان معه كتاب لأبي العباس أحمد بن يحيى تعلّب

١ ابن النديم : الفهرست ٢٧٢.
٢ نفسه ٤٠٨، ٢٧١، ٥١.
٣ ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٢٦، ٤٠٣، ٢٦١.
٤ نفسه ٩٢ : ٤.
٥ نفسه ١٧ : ٢٣.
٦ نفسه ١٤٨.
٧ ابن النديم : الفهرست ١٤٩.
٨ نفسه ١٥٠.
٩ نفسه ١٤٣.
١٠ نفسه ١٥٠.
١١ نفسه ٨٦.
١٢ نفسه ١٥.

بخط أبي عبد الله بن مُقَلَّة الخطاط المشهور^١، وشاهد كذلك كتاب «الحَيَّوان» للجاحظ في سبعة أجزاء مضافاً إليه كتاب سَمَاء «كتاب النساء» وهو الفرق بين الذكر والأنثى وكتاب آخر سَمَاء «كتاب البغال»، قال:

«رأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى ورقاق الجاحظ»^٢.

ورأى بخط أبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المُنْتَجَم قطعة من كتب أبي جعفر الطبري في الفقه، وكان ابن أبي منصور المُنْتَجَم فقيهاً على مذهب أبي جعفر الطبري^٣.

ووقف كذلك على كتاب «القبائل الكبير والأيام» الذي جمعه محمد بن حبيب للفتح بن خاقان يقول:

«ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرث في طُلُحي ثَلَاث وعشرون جزءاً، وكانت تنقص ما يدل على أنها [كانت] من نحو أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر. ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السدي بن علي الوراق في طُلُحي نحو خمسة عشر ورقة بخط نوك»^٤.

وشاهد أيضاً كتاب «النوادر في الغريب لأبي شبل العُقَيْلي رواية عن الحجاج بن نصير الأنباري، قال:

«رأيت بخط عتيق بإصلاح أبي عمر الزاهد نحو ثلاث مائة ورقة»^٥.

وذكر أيضاً أنه رأى بخط أبي جعفر محمد بن جرير الطبري «شيئاً كثيراً من كتب اللغة والنحو والشعر والقبائل»^٦. كما رأى بخط السُكُري نسخة من كتاب «غريب الحديث» للأصمعي في نحو مائتي ورقة^٧، ونسخة من كتاب «النحل»

^١ ابن التميمي: الفهرست ٤٥، ٥٩، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ١٠٣، ١٤٠.

^٢ نفسه ٢٠٩.

^٣ نفسه ١٦١.

^٤ نفسه ١١٩ ياقوت: معجم الأدياء ١٨: ١١٦.

^٥ نفسه ٥١.

^٦ نفسه ٢٩١.

^٧ نفسه ٦١.

للزبير بن بكار^١، ويخط ابن الحصامي وإصلاح ابن المعتز نسخة من كتاب «مختصر ما يستعمله الكاتب» لأبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي^٢.

ونقل ابن التديم كذلك من خطوط العلماء وكبار الورّاقين بما مثاله:

«قرأت بخط أبي العباس ثعلب»^٣ و«قرأت أنا بخط أبي عبد الله بن مقلّة»^٤ و«قرأت بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي»^٥ و«قرأت بخط أبي الطيّب»^٦ و«قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز»^٧ و«قرأت بخط أبي الحسن علي ابن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسدي»^٨ و«قرأت بخط يحيى بن عدي»^٩. وكذلك بما مثاله: «رأيت بخط السُّكُري»^{١٠} والمقالة الأولى من كتاب «السَّماع الطيّعي» لأرسطوطاليس بترجمة إبراهيم بن الصلت: «رأيتها بخط يحيى بن عدي»^{١١}.

وأيضاً «قرأت بخط عتيق يوشك أن يكون كتب في زمان [أبي سليمان] داود ابن علي [بن داود بن خلف الأصفهاني] الظّاهري تسمية كتب أبي سليمان داود ابن علي وقد أثبتته علي ترتيب ما قرأت»^{١٢}، و«كتاب المغني للمجيد، لأبي جعفر محمد بن علي بن أمية رأيت بخط عتيق»^{١٣}، أو «أسماء شراح أرسطو مكتوبة علي ظهر جزء بخط عتيق»^{١٤} و«نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمد المروزي»^{١٥}.

^١ ابن التديم: الفهرست ١٢٣.
^٢ نقسه ٨٠.
^٣ نقسه ٥٧.
^٤ نقسه ٥٩.
^٥ نقسه ٨٢.
^٦ نقسه ١٠٤.
^٧ نقسه ١٠٦، ١١٧.
^٨ نقسه ١٥٨.

^٩ نقسه ٣١٢، ٣١٤.
^{١٠} نقسه ١٠٦، ١٧٦، ٨٦.
^{١١} نقسه ٣١١، ٣١٢.
^{١٢} نقسه ٢٧١.
^{١٣} نقسه ١١١.
^{١٤} نقسه ٤٠٧.
^{١٥} نقسه ٢٧٢.

..*

أما الكتب التي رآها ياقوت الحموي أو اطلع عليها أو تكلّف عنها بخطوط مؤلفيها، فقد ذكرها بالصيغ التالية.

في ترجمة أبي رشاد أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد الأخسيكتي الملقب بذي الفضائل المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٤م وكان شاعراً أدبياً وقَفَّ على ديوان شعره وقال :

«قرأت في ديوان شعره بخطه»^١.

وعندما ترجم لأبي العباس أحمد بن محمد الآبي المتوفى سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م، قال :

«صنّف كتاباً في النحو رأته بخطه»^٢.

وذكر كتاب «تاريخ مرو» لأبي صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد ابن عبد الصمد النيسابوري المتوفى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م وقال :

«وسوّدته عندنا بخطه»^٣.

وأحياناً كان يذكر هذه الكتب بما مثاله :

«قرأت بخط هلال بن المظفر الريحاني في كتاب ألفه»^٤.

و«نقلت من خط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي الزيداني في كتابه المسمى «جلاء المعرفة»»^٥.

و«قرأت بخط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي الزيداني اللغوي الكاتب في كتاب «جلاء المعرفة» من تصنيفه»^٦.

و«قرأت بخط أبي حنّان النوحدي من كتابه الذي ألفه في تقرير الجاحظ»^٧.

^١ ياقوت : معجم الأدياء : ٥ : ٥٣ .
^٢ نفسه : ٥ : ٥٦ .
^٣ نفسه : ٣ : ٢٢٤ .
^٤ نفسه : ١٤ : ٨١ .
^٥ نفسه : ١١ : ٩٨ .
^٦ نفسه : ١٣ : ١٩٤ .
^٧ نفسه : ١٦ : ٧٨ ، ٩٥ .

وهـ قرأت في كتاب "سرعة الجواب ومداعية الأحياء" تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد المتوكل بخطه^١.

وهـ قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له الله في الصرقة^٢.

وكتاب "المُدَّيِّل" لأبي سعد السَّمْعَانِي نقل عنه بقوله :

"قال أبو سعد السَّمْعَانِي في "المُدَّيِّل" ومن خطه نقلت"^٣.

وهـ قرأت بخط أبي سعد السَّمْعَانِي من "المُدَّيِّل" بإسناده^٤.

وهـ كتاب "العروض" لعمرو بن جعفر بن محمد الزُّعْفَرَانِي في خمس مجلدات ضخمة رأيتها بخطه في وقف جامع حلب^٥.

وهـ قال الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكنتي الهَرَوِي :

ورأيت في كتاب "تاريخ السنين" تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن

عبد الرحمن بن الفرات الهَرَوِي الحافظ وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء^٦.

وهـ كتاب "الذخائر في النحو" لأبي الحسن علي بن محمد الهَرَوِي في نحو أربعة مجلدات رأيتها بمصر بخطه^٧.

وهـ ديوان شعر أبي منصور ابن المُسَلَّم بن علي بن أبي الخَرَجِين الحلبي قال :

"وله [ديوان شعر] وقفت عليه بخطه الرائق"^٨.

ووقف ياقوت على نسخة من كتاب "الوشاح" أو "وشاح الدُّمَيْيَّة" لأبي الحسن علي بن زَيْد البَيْهَقِي بخطه ونقل عنه بما مثاله :

"ما ذكره البَيْهَقِي عن نفسه في كتابه الذي نقلت لفظه منه من خطه"^٩ أو

"ومن شعره . . . الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح . . . ونقلته من خطه"^{١٠}.

^١ ياقوت : معجم الأعيان ١٥ : ٦٨ ، ٧٤ .

^٢ نفسه ٣ : ١٣٩ .

^٣ نفسه ٣ : ٢٢٤ .

^٤ نفسه ١٨ : ١٣٩ .

^٥ نفسه ١٦ : ٥٩ .

^٦ نفسه ١٧ : ١٦٤ .

^٧ نفسه ١٤ : ٢٩١ .

^٨ نفسه ١٩ : ١٩١ .

^٩ نفسه ١٣ : ٢٣٢ .

^{١٠} نفسه ١٣ : ٢٣٣ .

وفي ترجمته لأبي الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني قال :
« وجدت كتاب « تقاسيم الأقاليم » تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام
[٤٢٢] »^١.

وعندما ذكر كتاب « شرح القصائد العشر » لأبي زكريا يحيى بن علي بن
محمد بن الحسن بن موسى بن بسطام الشيباني بن الخطيب التبريزي المتوفى سنة
٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م، قال :

« ملكته بخطه »^٢.

كذلك فقد وقف ياقوت الحموي بخزانة الملك المعظم ابن العادل بن أيوب
صاحب دمشق على العديد من المؤلفات بخطوط مؤلفيها مثل كتاب « الصّحاح »
للجوهري، قال :

« وقفت على نسخة من « الصّحاح » بخط الجوهري بدمشق عند الملك
المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق وقد كتبها في سنة ست وتسعين
وثلاثمائة »^٣.

وكتاب « تنقيح البلاغة لأبي سعد محمد بن أحمد بن محمد الحميدي
المتوفى سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م، قال :

« رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم - غلّ الله دولته - وعليه خطه وقد
قرأ عليه في شعبان سنة إحدى ثلاثين وأربعمائة »^٤.

أما الكتب التي وقف عليها ياقوت أو اعتمد عليها وعليها خطوط مؤلفيها
أو كتبت بخطوط العلماء والورّاقين، فأكثر من أن تُحصى.

^١ ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ١٨٠.

^٢ نفسه ٢٠ : ٢٧.

^٣ نفسه ٦ : ١٨٠، ١٥٩ : ٣٥.

^٤ نفسه ١٧ : ٢١٢.

فقد كان معه نسخة من كتاب «نظم الجُمان» لأبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهَرَوِي يخط تلميذه أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، وهو كتاب في أخبار اللغويين والنحويين، يقول في أكثر من موضع:

«قرأت بخط الأزهرى من كتاب «نظم الجُمان» للأزهرى»^١.

ونسخة من كتاب «شرح الحماسة» للمَرْزُوقِي وعليها خطه، يقول:

«وجدت خطه على كتاب «شرح الحماسة» من تصنيفه [أجاد فيه جداً]

وقد قرئ عليه في شعبان من سنة سبع عشرة وأربعمائة»^٢.

ونسخة من «ديوان الأدب» للفارابي بخط الجَوهرى يقول:

«وجدت نسخة من «ديوان الأدب» [للفارابي] بخط الجَوهرى بتريز وقد

كتبها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة»^٣.

ونقل من خط الجَوهرى بلفظ

«قرأت بخط الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجَوهرى»^٤.

كما وقَّع كذلك على خط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البَصْرِي خازن دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور ببغداد، يقول:

«قرأت بخط عبد السلام البصري في كتاب «عقلاء المجانين» لأبي بكر بن

محمد الأزهرى»^٥.

ونقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخه يحيى بن مَنْدَة^٦

^١ ياقوت: معجم الأديباء ٣: ٢٤ و ٧: ١٢٢ - ١٢٣ و ١٢: ١٦٩ و ١٣: ٢٠٣ و ١٧: ٤٨.

^٢ نفسه ٥: ٣٤.

^٣ نفسه ٦: ١٥٩.

^٤ نفسه ٦: ٦٣.

^٥ نفسه ٧: ١٣٢.

^٦ نفسه ٥: ٧٠.

و«نقلت من خط أبي سعد السمعاني»^١.
 و«ذكره أبو سعد ونقلت من خطه»^٢.
 و«قرأت بخط أبي سعد بإسناد له»^٣.
 و«نقلت من خط أبي سعد السمعاني عما انتخبه من طبقات أهل فارس
 وشيراز تأليف الحافظ أبي عبدالله بن عبدالعزيز الشيرازي القصار»^٤.
 وكان يشير إلى خطوط العلماء بما مثاله :
 «قرأت بخط أبي علي المَحْسَن بن إبراهيم بن هلال»^٥.
 و«قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن برد الخباز»^٦.
 و«قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي»^٧.
 و«نقلت من خط الإمام الحافظ حَكَّأَ صديقنا ومفيدنا أبي نصر عبد الرحيم
 بن النفيس بن وهبان من كتاب "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" تصنيف
 الخليل بن عبدالله بن محمد الحافظ القاضى»^٨.

•••

وكان الوزير علي بن يوسف بن إبراهيم القفطلي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/
 ١٢٤٨م حريصاً على ذكر الكتب التي بخطوط مؤلفيها سواء ملكها أو أطلع
 عليها، مثل كتاب «تهذيب اشتقاق المبرّد» لأبي محمد عبدالله بن محمد بن
 عبدالله بن علي الأشيري المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م، قال :

١ ياقوت : معجم الأديباء ٤ : ٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ١٢ ، ١٧٩ : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٧٣ ، ١٨ : ٢٥ .
 ٢ نفسه ٦ : ٩٧ .
 ٣ نفسه ٦ : ١٣٧ ، ١٤ : ٧٦ .
 ٤ نفسه ١٦ : ١١٦ .
 ٥ نفسه ٢ : ٦٨ ، ٥٨ : ٩٠ ، ٩١ ، ١٢ : ٩٢ ، ١٧ : ١٦٨ .
 ٦ نفسه ١٢ : ٩٦ ، ١٠٢ .
 ٧ نفسه ١٦ : ٢٠٦ .

«رأيت فاحسن فيه وهو عندي بخطه»^١.

وكتاب «غريب القرآن» لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف بابن الزبيدي، قال:

«رأيت في ستة مجلدات يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر ملكته بخطه وقد كتب عليه أبو سيف القزويني المعتزلي شيئاً بخطه أخطأ فيه وذلك أنه نسيه إلى أبي محمد أبيه»^٢.

وكتاب «الكسوف» لأبي حنيفة أحمد بن داود الديلموري المتوفى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م، قال:

«ملكته بخطه»^٣.

وكتاب «النوادر» لأبي علي الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن حبيش بن سعد العنزي المتوفى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م، بسر من رأى، قال:

«فما رأيت من تصانيفه - وهو بخطه وملكته ولله الحمد - كتاب النوادر»^٤.

وكتاب «التذكرة» لأبي عبد الله الحسين بن محمد بن خالويه التحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م، قال:

«وهو مجموع ملكته بخطه»^٥.

وكتاب «التذكرة» لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، قال:

«وسأه «زهر الرياض» سبعة مجلدات رأيتها وملكته بخطه»^٦.

^١ التلخيص: إنباء الرواه ٢ : ١٤٠

^٢ نفسه ٢ : ١٥١.

^٣ نفسه ١ : ٤٢.

^٤ نفسه ١ : ٣١٨.

^٥ نفسه ٢ : ١٣٢.

^٦ نفسه ٥ : ٥٠.

وكانت عند القفطي مجموعة من مؤلفات علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بكراع التمل يقول :

«فمن تصنيفه كتاب «المُتَّصِد» في اللغة كبير على الحروف ملكته،
و«المُجَرَّد بغير استشهد» ملكته، و«المُتَّجِد» فيما أُلْفَقَ لقطه واختلف
معناه ملكته، وكتاب و«الأوزان» أتى فيه باللغة على وزن الأفعال ملكته»^١.

وكذلك «شرح الجُمَل للزجاجي» لعلي بن القاسم بن يونس الإشبيلي
المقرئ المعروف بابن الرِّقَّاق المتوفى في حدود سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م وهو أربع
مجلدات كبار، قال :

«ملكته بخطه»^٢.

وكتاب الانتصار «لاين الشَّجَرِي، قال القفطي :

«ولما أُمِّلَى [أبو السعادات ابن الشَّجَرِي] أماليه في النحو، أراد ابن
الحشَّاب النحوي أن يسمعها عليه فامتنع من ذلك، فعاد أبو السعادات على
شيء من الرد فَرَدَّ عليه فيه وبين موضع غلطه في كتاب سَمَاء «الانتصار» ،
وهو كتاب على صغر جُرْمه في غاية الإفادة وملكته والحمد لله بخطه رحمه
الله، وقد قرأه عليه الناس»^٣.

وكتاب «الأزْهِيَّة» لعلي بن محمد الهَرَوِي النحوي وهو في معاني
العوامل، قال :

«رأيت بخط ولده أبي سَهْل وملكته والحمد لله، وله مختصر في النحو
سَمَاء «المُرشد» رأيت وملكته وعليه خطه»^٤.

وعند ذكره لأبي منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد التميمي

^١ القفطي : إنباء الرواد ٢ : ٢٤٠

^٢ نقه ٢ : ٣٠٤ .

^٣ نقه ٣ : ٣٥٧ .

^٤ نقه ٢ : ٣١١ .

المعروف بالدميك، قال إنه :

«صنّف كتاباً في الرد على أبي الفتح بن جني في إعراب الحماسة، وهو كتاب حسن جيد يدل على تفلّح في العربية وجودة عرض ملكته بخطه»^١.
وذكر كذلك عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة العُقيلي أنه :

«تعرّض إلى "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلام فقفاً على حروف فشارك بهذا التصنيف أهل اللغة... وملك هذا التصنيف وفيه ما فيه»^٢.

وعند ذكر «مختصر كتاب العمدة لابن رشيّق» لعثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي النحوي، قال :

«وشاهدت هذا المختصر بحلب بخطه عند ابن القيسراني وقد زاد فيه أبواباً أخذ بها ابن رشيّق»^٣.

كما ذكر أنه شاهد بخط السلالي النحوي القرشي الكوفي الوراق «أن الجاحظ لما قدم من البصرة في بعض قدماته أهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات في وزارته نسخة من «كتاب» مسيويه وأعلم بإحضارها صحبته قبل أن يحضرها مجلسه، فقال له ابن الزيات : أو ظننت أن خزائنا خالية من هذا الكتاب؟ فقال ما ظننت ذلك؛ ولكنها بخط القراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ. فقال له ابن الزيات : هذه أجلّ نسخة توجد وأغريها. فأحضرها إليه فسرّها ووقمت منه أجمل موقع»^٤.

^١ الففطي : إنباء الرواد ٢ : ٣٤٦

^٢ نفسه ٢ : ٢٨٦.

^٣ نفسه ٢ : ٣٤٣.

^٤ نفسه ٢ : ٣٥١.

وأضاف أنه رأى في تركة هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم أبو طاهر خطيب حلب المخلفة عنه كتاب سيبويه يشبه أن يكون بخط أحد ولدي عثمان بن جني وعليه خط أبي علي الفارسي في عدة مجلدات قد عُدَّ أحدُها^١. كما رأى بخط أبي الفتح بن الأشرس النحوي التيسابوري نسخة من كتاب سيبويه قال :

«من ملكها من العلماء ضاهي بملكها ملك آل بويه»^٢.

وكانت مع القفطي أيضاً نسخة من «كتاب» سيبويه استدُلَّ بها على دخول أبي بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي إلى بغداد، يقول في ترجمته : «دخَلَ بغداد وقرأ القرآن على ابن بنت الشيخ أبي منصور وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه والنسخة بذلك عندي»^٣.

ولما هَجَمَ العرب على إفريقية اضطُرَّ ابن رشيقي إلى الانتقال إلى مدينة مازر بصقلية فأكرمهُ أميرها وقرأ عليه بعض كتبه، يقول القفطي :

«ومن جملة ما رأيت من قراءاته عليه كتاب «المُعَدَّة» في صنعة الشَّعر وهو أجلُّ كتبه وأكبرها. ورأيت خط ابن رشيقي على نسخة منها»^٤.

وذكر في ترجمة أبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القَرَازَ القيرواني :

«له من التصانيف : كتاب «الجامع في اللغة» وهو أكبر كتاب صنَّف في هذا النوع ومنه نسخة في وَكْف الفاضل عبدالرحيم بن علي بالقاهرة المعزية»^٥.

كما كانت يحوزته كذلك نسخة قديمة من «شَمْس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لثَنُون الحميري، يقول :

^١ القفطي : إنباء الرواء ٣ : ٣٥٥

^٢ نفسه ٤ : ١٤٩.

^٣ نفسه ٤ : ٣٧.

^٤ نفسه ١ : ٣٠٣.

^٥ نفسه ٣ : ٨٦ : الصفدي : الوافي ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ ..

«وهو كتابٌ جيد في نوعه رأيت منه ست مجلدات من ثمانية وملكته ولله الحمد فإنه وصل إليّ في الكتب الواصلة من اليمن من كتب الوالد فعمده الله بعقوده ورحمته وغفراته، وكانت عنده نسخة كاملة لله عليها بعض أهل اليمن»^١

وكان أبو بكر القاري الرازي النحوي اللغوي المتوفى بالرّي قبل سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م، من أئمة وعلماء الرّي ينسب إلى قرية من قرأها يقال لها قار، «وكان يكتب خطًا جميلًا صحيحًا يتنافس العلماء في تحصيله بأعلى الأثمان»^٢.

وكان العلماء يستفتون بعضهم البعض في التحقق من خطوط النسخ وتملكيها، فمن ذلك ما ذكره القفطي قال:
ورأيت أنا نسخة من «غريب المصنف» بخط أبي بكر القاري هذا، وقد كتّب في آخرها ما أنا ذاكره، وهو ما مثاله:
«الشيخ أطال الله بقاء هذه النسخة ويعرفنا ما عنده في نسبتها إلى كاتبها وممتلكها إن شاء الله».

وبعده بخط الشيخ المستول:

«أما النسخة - أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه - فحجة يرجع إليها ويعتمد في التصحيح عليها، فإنه خط أبي بكر القاري رحمه الله، وكانت لأبي عليّ المعلم الأرمطي، اشتراها منه أبو محمد الشعرائي رحمه الله لخزانة أبي الفضل ابن العميد رحمه الله بستمائة دينارًا مصرية.
وكان يقضي بها كل من ملك من هؤلاء غاية الضن وأهل لذلك النسخة.
وكتب محمد بن الحسن الوزان الرازي».

وتحت خطه ما مثاله:

«الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن أيّده الله الثقة الأمين، لكني سمعت

^١ القفطي: إنباء الرواه: ٢: ٣٤٢.

^٢ نفسه: ٤: ٩٤.

الشريف أبي طاهر محمد بن حمزة العلوي رحمه الله بقزوين يقول: اشتريت هذه النسخة من كتب الأراطي بثلاثين ديناراً مصرية، وكتب أحمد بن فارس بخطه^١.

ونقل القفطي من خط أبي الخير سلامة بن عبيد الله النحوي الكفرطابي ما مثاله:

«رأيت نسخة من "القفاض" رواية أبي بكر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد المزيز، في مجلدين»^٢.

وذكر القفطي أن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي المتوفى سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م.

«كان معنياً باللغة وحصل له كتاب "التهذيب" للأزهري في اللغة وعليه خطه. وبقي عند خلفه إلى أن وقعت فتنة الترك بخراسان في سنة ست عشرة وستمئة فغاب خبره فيما ذهب من أمثاله من تلك الحطة»^٣.

ورأى القفطي أيضاً نسخة من كتاب "التنبيه في النحو" لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشرس النحوي النيسابوري بخط السمسعي اللغوي قال:

«وملكتها ولله المنة وعليها [قراءة] بخط ابن فاجر النحوي البغدادي»^٤.

كما رأى نسخة من كتاب «المعارف» لابن قتيبة بخط أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى الكرمانى اللغوي، قال:

«رأيت بخطه كتاب "المعارف" لابن قتيبة وملكته وهو في غاية الحسن والصحة»^٥.

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤: ٩٤ - ٩٥.

^٢ نفسه ٤: ٩٤.

^٣ نفسه ٣: ٩١٧.

^٤ نفسه ٣: ١٥٠.

^٥ نفسه ٣: ١٥٥.

ووصف القفطي أبي الرجاء بن حرب الحلبي النحوي المتوفى بدمشق في حدود سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، من أوراق رآها بخطه بقلة العلم وأضاف:

«ورأيت بخطه أجزاء من "الكشاف" للزمخشري في تفسير القرآن وفيها مقام ظاهر»^١.

وكان ياقوت الحموي قد شاهد بمدينة مرو نسخة من «تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السمعاني، وكتب منها نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان^٢. وذكر القفطي أن هذه النسخة ذهب خبيرها في وثقة الترك سنة سبع عشرة وستمئة ووجد على المجلد العشرين منها بخط الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ما صورته:

«ظفرت من هذه النسخة التي هي نسيج وحدها - لكونها بخط المصنف، وسلامة لفظها من التحريف والزلزل، الذي لا تكاد تبرا منه يد كاتب في كتاب خفيف الحجم، وإن أحضر ذهنه، وأمله إتيان، وساعده حفظ ودراية، فضلا عن عشرين مجلدة - بضائتي المشودة، فأكبت عليها إكباب الخريص، وقلبت بها بالمطالعة، وعلقت عندي ما فيها من الأحاديث التي نلت عنها مصنفات أبي عبيد القنبر والحطائي، والأمثال التي لم تكن في كتابي الذي سميت به "المستقصى في أمثال العرب"، وكلمات كثيرة من الغريب المشكل، وسألت الله تنوير حفرة المصنف، وإنزاله في ظلال الفردوس بفضله ورافته. وكتب محمود بن عمر الزمخشري الحوازمي بمدينة مرو بخط يده، حامدا الله ومصلحيا على خير خلفه محمد وآله، بتاريخ رجب الواقع سنة ثلاث وخمسمائة»^٣.

وكان عليه بخط المؤلف ما مثاله:

«وكتب محمد بن أحمد بن الأزهري بيده»^٤.

ثم بعد ذلك:

^١ القفطي: إتياء الرواة ٤: ١٢٩.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١: ٢٢٦.

«يقول محمد بن أحمد بن الأزهر: قرأ عليّ سيدي أبو يعليّ آدم الله له العزّ والتأييد هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصحّحه فائقته، وأسأل الله ذا المنّ والعلوّ أن يبارك له فيه، وأن يقيه كلّ محدور بمنّه ورأفته، وكتبه بيده». وكان سيدي أبو القاسم التّحويّ آدم الله سمعته حاضراً في جميع ما قرئ عليّ أو قرأه هو. وكذلك أبو يزيد القرشي، وكتبها الأزهر بيده». وعليه أيضاً:

«بلغ أبو سعيد الشاذكوني، وأبو عليّ النّصرويّ، وأبو الحسن القاري». وكان عليه بخط المطرزيّ عبيد الله الفقير إليه ناصر بن المطرزي: «قام بمطالعة هذه النسخة بخوارزم وعارض بها نسخته عرض تصحيح وتنقيح، وذلك في شهور سنة خمس وستمئة»^١.

وكان مع الطّبيب المؤرخ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ / ١٥٧٠ م العديد من الكتب الأصول التي ذكرها في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» الذي صنّفه سنة ٦٤٣ هـ، منها كتاب الحُمّيات لإسحاق بن سليمان الإسراييليّ خمس مقالات، قال:

«ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه ونقلت من خط أبي الحسن علي بن رضوان عليه ما قاله:

«أقول أنا علي بن رضوان الطّبيب إن هذا الكتاب نافع وجَمَعَهُ رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه وبالله التّوفيق والمعوذ»^٢.

وكتاب «متافع الأعضاء لجالينوس» لابن أبي صادق التيسابوري، قال:

^١ الفطحي: زياه الرواه: ١٧٤ - ١٧٥.

^٢ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ٢: ٣٧.

«وجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ الفراغ منه في سنة تسع وخمسين وأربعمائة مؤلفاً عليه بخط ابن أبي صادق ما هذا مثاله :
بَلَّغَتِ المَقَابِلَةَ وَصَحَّ إِنشاءَ الله تعالى وكتب أبو القاسم بخطه»^١.
ورأى ابن خلكان معاصر ابن أبي أصيبعة نسخة من كتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، يقول في ترجمته :
«وصف تاريخاً كبيراً رأيت بخطه في أربعين مجلداً سماه "مرآة الزمان"»^٢.

وعلى العكس من المؤلفين السابق ذكرهم فقد وصل إلينا العديد من النسخ التي أشار صلاح الدين خليل بن أبيك الصفيدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى أنه تملكها أو رآها أو نقل منها أو اطلع عليها شاهدة على دقة علمائنا القدماء في توثيق أخبارهم، فمن ذلك مؤلفات علي بن سعيد المغربي ومنها :

«كنوز المطالب في آل أبي طالب» قال :

«ملكته بخطه في أربع مجلدات»^٣.

وكتاب «الغراميات» قال :

«وملكته بخطه»^٤.

ونقل منه بقوله :

«ونقلت من خط الأديب علي بن سعيد المغربي ما ذكره في كتاب

«الغراميات» له»^٥.

وكتاب «حلى الرسائل» قال :

«رأيت بخطه»^٦.

وكتاب «المشرق في أخبار أهل المشرق»، قال :

^١ ابن أبي أصيبعة : حيون الأعيان ٢ : ٢٢ - ٢٣ .
^٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٤٢ .
^٣ الصفيدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٤ .
^٤ نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .
^٥ نفسه ١٣ : ١٠٧ ، ١٤ : ٢٣٢ .
^٦ نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .

«ملككت منه ثلاث مجلدات بخطه»^١.

وأفاد منه في كتابه بما مثاله :

«نقلت من خط ابن سعيد المغربي في كتاب المشرق في أخبار المشرق،

قال :»^٢.

وكتاب «المغرب في حلى المغرب» له أيضاً وقال :

«وملكته بخطه»^٣.

وقد وصلت إلينا هذه النسخة عينها^٤، وهي التي كتبها علي بن سعيد المغربي برسم خزانة صديقه صاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أبي جرادة المشهور بابن العديم بحلب بين سنتي ٦٤٥ و٦٤٧ هـ. ويبدو أن هذه النسخة خرجت من حوزة بني العديم بعد كتابتها بنحو قرن على الأكثر وامتلكها الصفدي كما ذكر في ترجمته لابن سعيد. ونحن نجد على غلاف السفر الرابع منها بخط الصفدي :

«طالعه وانتقى منه مائة مائة خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي عفا الله عنه».

وعلى غلاف السفر السادس منها بخط الصفدي أيضاً :

«طالعه وعلّق منه ما اختاره مائة مائة خليل بن أبيك عفا الله عنه». [انظر لوحة رقم ٤]

كما كان معه «معجم» شهاب الدين أبي إسحاق إسماعيل بن كامل بن عبد الرحمن القوصي المرحوم المتوفى سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م، وهو معجم هائل خرجته لنفسه في أربع مجلدات ضخمة صنّفه وهو في سجن بعليّك في القلعة بعد أن غضب عليه الملك الصالح إسماعيل وسجنه هناك، لذلك فإن «فيه غلط كثير وأوهام وعجائب»، كما يقول الصفدي^٥، ونقل عنه بما صيغته :

«نقلت من خط شهاب الدين القوصي في «معجمه»^٦.

^١ الصفدي : الروافى بالوفيات ٢٢ : ٢٥٢.

^٢ نفسه ١٨ : ٥٤٤.

^٣ نفسه ٢٢ : ٢٥٣.

^٤ انظر عن تاريخ هذه النسخة فيما يلي ص ٣٥٢ - ٣٥٤.

^٥ الصفدي : الروافى بالوفيات ٩ : ١٠٥.

^٦ نفسه ١٨ : ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩

ونسخة من كتاب «شرح اللّمع» لأبي القاسم عمر بن ثابت الشّمانيني النّحوي الفسيري المتوفى سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م، قال في ترجمة إسماعيل بن موهوب الجواليقي :

«كان ... ملحق الخط ملكة «شرح اللّمع» للشّمانيني بخط هذا إسماعيل وهو في مجلدة واحدة في غاية الحسن وصحة الضبط قلّ أن رأيت مثلاً»^١.
ونسخة من «الغريب الزاخر في اللغة» للصّاعاني وهو في عشرين مجلداً لم يتم، قال :

«رأيت بخطه في دمشق ورأيت بخطه تميز بيتي الحريري من نظمه في بعض أبياته كسراً وزحافاً غير جائز، ولكنه خطٌ جيد محرو الضبط»^٢.
ونسخة من «ديوان ابن بابك» بخط ابن خروف النّحوي المتوفى سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م، قال في ترجمته :

ملك «ديوان ابن بابك» بخطه في مجلدة واحدة^٣.
وكتاب «المغازي» لأبي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن حبّيش الأنصاري المتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م، قال :
«عدة مجلدات وملكته بخطه وهو في مجلدين، وخطه جيد في المغربي طبقة»^٤.
و«ديوان أسامة بن مَنقذ»، قال :

وملك «نسختين بديوانه وهما بخط يده»^٥.
وكذلك نسخة من «خطوط» محيي الدين بن عبدالظاهر نقل عنها بما مثاله :
«قال القاضي محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر ونقلت ذلك من خطه»^٦.

^١ الصفدي : الوافي بالوفيات ٩ : ٢٣٠.

^٢ نفسه ١٢ : ٢٤٢.

^٣ نفسه ٢٢ : ٩٠.

^٤ نفسه ١٨ : ٢٥٩.

^٥ نفسه ٨ : ٣٧٨.

^٦ نفسه ٥ : ١٣١٩٢ : ١٨٤٠٤ : ١٣٤٣ : ٣٤٦.

وعندما ترجم الصَّفدي لشيخ الإسلام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذَّهبي المتوفي سنة ٧٤٨ / ١٣٤٩ م، قال :

«اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المَحْدَثين ولا كَوَدَكة النِّفلة بل هو فقيه النظر . . . ومن مصنفاته . . . "تاريخ الإسلام" وقد قرأت عليه من المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مائة . . . و"طبقات القراء" وسمَّاه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" تناولته منه وأجازني روايته»^١.

وقد وصلت إلينا نسخة «تاريخ الإسلام» التي كتبها الذَّهبي بخطه سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م، وكانت من الكتب الموقوفة بالمدرسة المحمودية بالقاهرة وشاهدها بها السخاوي في نهاية القرن التاسع^٢، ثم آلت إلى مكتبة آيا صوفيا باستانبول وهي محفوظة بها تحت رقم ٣٠٠٥، وقد كتب الصَّفدي بخطه على غلاف للمجلد الحادي عشر منها ما يؤكد ما ذكره في ترجمة الذَّهبي في «الوافي» وهو :

«قرأت حوادث الستين من هذا المجلد وهي من أول سنة إحدى وسبعين وستمائة إلى آخر سنة سبع ومائة على مؤلفه وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنة فسنه حتى أكملت الجميع، وسمع ذلك أجمع فتاي طيار بن عبدالله الرومي وفاته من ذلك شيئاً يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ، وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميحه في مدة آخرها خامس عشر شعبان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

^١ الصَّفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ١٦٣ .

^٢ السخاوي : الإعلان بالتاريخ ٥٢٢ ، ٦٧٤ .

وكتب خليل بن أيك بن عبدالله الصفدي حامداً ومصلحاً .

[انظر لوحة رقم ١]

وكان مع الصفدي كذلك نسخة من كتاب «فلك المعاني» لابن الهيثمية بخط محمد بن أحمد بن عبدالله السلمي الكاتب المصور، قال :

«ملكيت بخطه وتصويره كتاب "فلك المعاني" وذكر في آخره أنه كتبه

وصوره في المحرم سنة ثمان وعشرين وست مائة»^١.

وعندما ترجم الصفدي لشمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن العفيف التلمساني المتوفى سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م، قال :

«رأيت ديوانه بخطه وهو في غاية القوة والقلم الجاري واخترت ديوانه،

ورأيت خط الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى على كتاب

"المنهاج" له وقد قرأه عفيف الدين التلمساني وولده شمس الدين محمد

المذكور وقد أجازهما روايته عنه سنة سبعين وست مائة وفي أول هذه النسخة

يخط شمس الدين المذكور "ملكه فلان وحفظه"»^٢.

وعند ذكره لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحسن البليخي

المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م، قال :

«وصنف تفسيراً حافلاً جمع فيه خمسين مصنفًا وذكر فيه أسباب النزول

والقرارات والإعراب واللغة والحقائق وعلم الباطن، قيل إنه في خمسين

مجلدة... وبالتفسير نسخة بجامع الحاكم بالقاهرة أظنها في ثمانين

مجلدة»^٣.

•••

وأشار شيخ مؤرخي مصر الإسلامية تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي الحفريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م إلى بعض المؤلفات التي وقّف عليها

^١ الصفدي : التراجم بالوفيات ٢ : ١١٣ .

^٢ نفسه ٣ : ١٣٠ .

^٣ نفسه ٣ : ١٣٧ .

بمخطوط مؤلفيها واعتمد عليها في مؤلفاته وخاصة كتابه الرئيسي «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطوط والآثار»، مثل: «سيرة المعز لدين الله» لابن زولاق التي نقل عنها بما مثاله:

«ومن خطه كتب».

أو «ومن خطه نقلت»^١.

وكذلك كتاب «تعليق المتجددات» للقاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني الذي نقل منه ما مثاله:

«ومن خطه نقلت»^٢.

وأيضاً «السيرة الناصرية» لعماد الدين موسى محمد بن يحيى اليوسفي التي وقف عليها المقرئ في بخط مؤلفها^٣.

وقد وصلت إلينا نسخ لبعض المؤلفات القديمة التي وقف عليها المقرئ واطلع عليها واستفاد منها في مؤلفاته وسجل عليها بخطه ما يفيد ذلك، مثل ما ورد على غلاف الجزء الأربعين من «أخبار مصر» للمُسَبَّحِي المحفوظ في مكتبة الإسكوريال بمدريد برقم 534 فقد كتب عليها:

«استفاد منه داعياً له

أحمد بن علي المقرئ».

وعلى غلاف نفس النسخة نجد توقيعاً آخر لمعاصر المقرئ المؤرخ أحمد بن عبدالله الأوحدي صيغته:

«طالع أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي

بالقاهرة سنة ٨٠٣»

^١ المقرئ: مسودة المخطوط ٨٤، ١٨٤.

^٢ نفسه ٤٤، ١٢٨، ٣١٩.

^٣ نفسه ١٤٥ - ١٤٦.

وما وردَ على غلاف السفريين الرابع والسادس من كتاب «المَغْرِب في حُلَى المَغْرِب» لعلي بن سعيد المغربي المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ تاريخ م ومثاله :

«استفاد منه داعياً للملكه

أحمد بن علي المقرئ سنة ٨٠٣هـ .

وعلى نفس النسخة توقيعات لعلماء آخرين هم الصَّقْدِي وابن دُقْمَاق والأَوْحْدِي والأسْعَرْدِي نصها :

«طالعهم وانتقى منه مالكة

خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي عفا الله عنه» .

و«استفاد منه داعياً للملكه

إبراهيم بن دُقْمَاق عفا الله عنه

ورحمه أمين»

و«طالعهم أحمد بن عبدالله

بن الأَوْحْدِي سنة»

و«طالعهم وترحم على مصنفه

خليل بن عمر بن المحتاج الأسْعَرْدِي عفا الله عنه»

وما ورد كذلك في ذيل الورقة ٩٥ ظ من الجزء السابع من «تاريخ الدول والملوك» لابن القرات نسخة مكتبة فيينا رقم ٨١٤ ، ومثاله :

«انتقاء داعياً للملكه أحمد بن علي المقرئ

في صفر سنة ٨١٩هـ .

..*

ونستطيع أن نُقدِّر مدى اهتمام العلماء باقتناء الكتب التي بخطوط مُصنَّفيها مما رواه ابن حجر العسقلاني عن قاضي القضاة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة المتوفى سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م من أنه :
«خَلَّفَ من الكتب النفيسة ما يعزّاجتماع مثله لأنه كان مفرماً بها، فكان يشترى النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحُسْن ثم يفتح له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه فلا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخطوط المُصنِّفين ما لا يُعْبَرُ عنه كثرة»^١.

..*

وعاش المُحدِّث والمُؤرِّخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، في فترة كانت القاهرة غنية فيها بمكتبات المدارس^٢، التي رأى فيها أو اطلَّع على العديد من النسخ الأصلية والمعتبرة أو ملكها هو بنفسه. فمن ذلك «تاريخ مصر» لقطب الدين عبد الكريم بن عيد النور الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م، قال:

«وَجَمَعَ القُطْبُ الحلبي للمصريين تاريخاً حافلاً عندي من مُسَوِّدَته بخطه مجلدات تزيد على العشرة وهو على الحروف ما أكمله، بيّض منه من اسمه محمد»^٣.

و«الثقات» لابن حبان، قال:

«وأصل الثقات عندي بخط الحافظ أبي بكر علي البكري»^٤.

^١ ابن حجر: إنباء الفهر ١ : ١٣٥٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٣١٢.

^٢ انظر فيما يلي ص ٢٤٩ - ٢٥٣.

^٣ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٤٦.

^٤ نفسه ٥٩٠.

و«ذيل تاريخ بغداد» لثقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، قال:

«واستوفيت عليه مطالعة مُسَوِّدة الذيل الذي لثقي بن رافع على ابن النجّار من خطه وهي في مجلد، ولكن حصل فيها محو لكثير من تراجمه... [و] كتب عليها ما نصه «فيه نقص كثير عن السَّيْفَةِ وفيه زيادات قليلة»^١.

و«معجم السُّقَر» للحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السُّلَفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م، قال:

«وهو في مجلد كثير الفوائد بخط محمد بن السُّنْدري، قال عن أبيه الزُّكِّي أنه وقّع له بخط السُّلَفي في جزأت كل ترجمة في جزأة فيصفها ورثها كما نجيء لا كما يجب. وكذلك يمكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكتب فيه من الأصهبانيين أحدا»^٢.

ويبدو أن نسخة مكتبة شيلستر بيتي من الكتاب رقم 3880 والتي تمتلك دار الكتب المصرية صورة منها تحت رقم ٣٩٣٢ تاريخ قد نقلت عن هذه النسخة، فكثيراً ما تصادف فيها الملاحظة التالية: «وقد قال في ورقة أخرى» (ص ٥٧، ١١٠، ١١٨، ٣٧٢).

و«معجم الدمياطي» شرف الدين عبدالمؤمن بن خُلف الدمياطي المتوفى بعد سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، قال:

«وهو في أربعة وأربعين جزءاً حديثة، فتصفه الثاني من نسخة بخط التاج بن مكتوم [أحمد بن عبدالقادر بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م] بالصرْفُشَّة وباقية من غيرها»^٣.

^١ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٥٩١

^٢ نفسه ٥٩٢

^٣ نفسه ٥٩٣

و«معجم أبي المعالي [أحمد بن إسحاق] الأبرقوهي تخريج سعد الدين مسعود الحارثي من نسخة بخط ابن الظاهري»^١.

و«المعجم الكبير» للذهبي من خطه بالمحمودية^٢.

و«التصنيف الأول من تاريخ اليمن» للخزرجي، مؤلف الدين أحمد أبي الحسن علي بن أبي بكر بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م. من نسخة بخطه»^٣.

وعدة مجلدات من تاريخ حلب» لكمال الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن العديم المسمى «بغية الطلب في تاريخ حلب»، قال:

«كانت عند صاحبنا الجمال بن السابق الحموي [محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م] بخط مؤلفه ونقلها منه صاحبنا ابن قُهد [وهي في عشرة مجلدات]»^٤.

وعند ذكره المجلد التاسع من الكتاب قال:

«وكتبت على السُودة التي بخط المؤلف من هذا الجزء بخصوصه عند ابن قُهد وعليها بخط المؤلف توقيعه بالربع عشر»^٥.

ثم أضاف:

«ورأيت مجلداً آخر منه فيه بعض البلدان وكان عند صاحب بن الشحنة من بخط المؤلف بعض الأجزاء مما لم أظالعه»^٦.

وقد وقَّف الحافظ جلال الدين السيوطي على هذه النسخة ونَقَلَ عنها في كتابه «بغية الوعاة» بقوله:

١ البخاري : الإعلان بالتاريخ ٥٩٤
 ٢ نفسه ٥٩٤
 ٣ نفسه ٥٩٥
 ٤ نفسه ٥٩٦
 ٥ نفسه ٥٩٧
 ٦ نفسه ٥٩٧

«رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطه»^١.

..وقد وصلت إلينا إلينا هذه النسخة عينها وعليها خط السيوطي وتقع في ثمانية مجلدات وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول تحت رقم ٢٩٢٥ (ومنها مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية برقم ٩٠ تاريخ).

وذكر أيضاً «معجم» ابن حبيب وقال:

«وهو بخط الذهبي في المائدة»^٢.

و«تاريخ إربل» لأبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي المتوفى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، وقال:

«وهو بخطه في خمس مجلدات»^٣.

ووصل إلينا نموذج من خط ابن المستوفي الإربلي حيث كتب بخطه نسخة «ديوان شعر القطامي» المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٦ أدب [انظر لائحة رقم ٤].

أما «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م، فذكر أن أصله في ثمانين مجلدًا وشاهد منه

«نسخة [في] المحمودية في سبعة وخمسين [مجلدًا]»^٤.

ورأى ذيله الذي ألفه الحافظ شمس الدين الذهبي وقال:

«وهو بخطه في عشرة أجزاء»^٥.

^١ السيوطي: بقية الدعاة ٢٢٢.

^٢ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٠٦.

^٣ نفسه ٦١٤.

^٤ نفسه ٦٣٨.

^٥ نفسه ٦٣٨.

وكذلك نسخة من "تاريخ مكة" لأبي زيد عمر بن شبة النعميري، قال:
«كتبه صاحبنا ابن قُهدبخطه في مجلد»^١.

وعند حديث السخاوي عن «تاريخ بغداد» للمخطيب البغدادي قال:
«والمجلد الثاني والثالث من الذيل عليه لابن النجار وأولهما محمد بن
حمزة بن علي بن طلحة بن علي وآخرهما انتهاء المحمدين، والكتاب كله في
خمس عشرة مجلدًا من الموقوف بجامع الحاكم».

... فالخاسل أن المفقود الخامس وبعض السادس وجميع العاشر
وبعض الحادي عشر، وكنت لحت منه أجزاء في أوقاف الجمالية ثم لم
أرها»^٢.

ومن الكتب التي وقَّعَ عليها السخاوي كذلك بخطوط مؤلفيها «تاريخ ابن
الجوزي»، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الدمشقي المتوفى سنة
٧٣٩هـ / ١٣٣٨م، قال:

«تاريخ كبير بخطه في المحمودية»^٣.

وكتاب «شذور العقود في تاريخ العقود» لابن الجوزي وهو اختصار
لتاريخه الكبير «المنتظم» قال:

«وقفت عليه بخطه»^٤.

وذكر كذلك الذَّيْل الذي ألَّفه قطب الدين موسى بن أحمد بن محمد بن
عبدالله اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٢٣٦م على كتاب «مرآة الزمان في
تواريخ الأعيان» لسبط بن الجوزي، قال:

«وهو بالمحمودية في أربع مجلدات»^٥.

^١ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦١٨.

^٢ نفسه ٥٩٠.

^٣ نفسه ٦٧٥.

^٤ نفسه ٦٧٢.

^٥ نفسه ٦٧٢.

كما شاهد كذلك نسخة من كتاب «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس المنصورى، قال:

«في خمس وعشرين مجلدًا بالمؤدية»^١.

•••

أما الخافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، معاصر السخاوي، المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م فقد كان بين مصادره العديد من المصنفات بخطوط مؤلفيها، مثل كتاب «الوافي بالوقفيات» لخليل بن أيّك الصّفي، قال عنه:

«التاريخ الكبير للمصالح الصّفي وهو بخطه في أكثر من خمسين مجلدًا»^٢.

وكتاب «التذكرة» لجمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن محمود الأسدي المعروف باليغموري، قال:

«ست مجلدات ثلاثة بمكة وثلاثة بالقاهرة بخطه»^٣.

وكتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم، قال:

«رأيت في "تاريخ حلب" لابن العديم بخطه»^٤.

وقال في ترجمة أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات المهلب البهنسي:

«رأيت له تأليفًا في الفوائد النحوية نظمًا وشرحًا وهو مجلد لطيف عندي بخطه»^٥.

كذلك فقد كان مع السيوطي نسخة نادرة من «الجمهرة في اللغة» لابن دريد، قال:

^١ السخاوي: الإعلان بالتاريخ ٦٧٩.

^٢ السيوطي: بغية الرعاة ٣.

^٣ نفسه ٣ وانظر أعلاه ص ١٢٩.

^٤ نفسه ٢٢٢.

^٥ نفسه ٣٩٩.

«ظفرتُ بنسخة منها بخط أبي النضر أحمد بن عبيد الرحمن بن قابوس الطرابلسي اللخوي، وقد قرأها علي ابن خالويه بروايته لها عن ابن دريد وكتب عليها حواشي من استدراك ابن خالويه على مواضع منها، وثبته على بعض أوهام وتصحيقات»^١.

ويحدثنا السيوطي عن نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، يقول:

«وقال بعضهم: كان لأبي علي الفاي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فاني، فاشتدَّت به الحاجة؛ فباعها بأربعين مثقالاً، وكتب عليها هذه الأبيات:

أنستُ بها عشرين حولا ويعتُها	فقد طال شوقي بعدَها وخِيتني
وما كان ظني أنني سأبسطُها	ولو خلدتني في السجون دُيوني
ولكن لضعف واقتضار مصبِّي	صغار عليهم تستهل شِيتوني
فقلت - ولم أملك سوابق عَبرت	مقالة مكوي الفسواد حُسين
وقد تُخرجُ الحاجات - يا أم مالك -	كسراقم من ربِّ بهن حُسين

قال: فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى، ورحمهم الله.

وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط القاضي مجيد الدين الفيروز اباذي صاحب القاموس؛ على ظهر نسخة من العُباب للصنعاني، نقلها من خطه تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي، نقلها من خطه»^٢.

وكانت مع السيوطي كذلك نسخة من كتاب «الفوائد» في اللغة لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النَجِيرمي المتوفى بعد سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م بخطه نقل منها بقوله:

«وفي فوائد النجيرمي بخطه»^٣.

^١ السيوطي: الزهر ١: ٩٥.

^٢ نفسه ١: ٩٥.

^٣ نفسه ٢: ٣٠٤، ٣١٩، ٣٣٧.

وذكر أبو العباس المَقْرِي التلمساني صاحب كتاب «نفع الطيب» المتوفى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م أن لسان الدين بن الخطيب أرسل سنة ٧٦٨هـ نسخة من كتابه «الإحاطة بتاريخ غرناطة» إلى مصر ووقفها على أهل العلم وجعل مَقْرَهَا بخانقاه سعيد السعداء رأى منها المَقْرِي، أثناء وجوده بمصر، المجلد الرابع ويظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء، قال:

«فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريري المؤرخ ونصه: "انتهى منه داعياً لمؤلفه أحمد بن علي المقريري في شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة". وما رقمه الحافظ السيوطي ونصه: "الحمد لله وحده، طالعت على طبقات النجاة واللغوين، وكتبه عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة". انتهى. وبعد هذين ما صورته: "انتهى منه داعياً لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة". وبعد ما صورته: "أنها نظراً وانتقاداً علي الحموي الحنفي لطف الله به". ويخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الأوان سيدي الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصه: "طالعت متهجاً برياضه الموثقة، وأزهار معانيه المشرقة، مرتقياً في درج كلماته العلاب سماء الاقتباس، مقتنياً من لطائفه درراً وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس، كتبه محمد الصديقي غفر الله له"، انتهى.

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابه جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دُقماق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر، فمن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي بن الخطيب، والخطيب الكبير سيدي أبي عبدالله ابن مرزوق، والعلامة أبي الفضل ابن الإمام التلمساني، والنحوي الراعي، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسي شارح الألفية وصاحب التأليف، وغير هؤلاء عن يطول تعدادهم، رحم الله تعالى جميعهم^١.

فهذه النسخة النفيسة لم تصل إلينا وإن كان الأستاذ محمد عبدالله عنان ناشر كتاب «الإحاطة» يرى أن الأوراق المتناثرة من الكتاب (١٧٠) ورقة بخط مغربي قديم) والمحفوظة برواق المغاربة بالأزهر وعلى هوامشها تعليقات واستدراكات بخط المَقْرِي وعليها توقيع مؤرخ سنة ١٠٢٩هـ، هي بقايا النسخة التي وصفها المقرري.

^١ المقرري: نفع الطيب ٧: ١٠٦.

وبالإضافة إلى النسخ التي بخطوط مؤلفيها فإن العديد من النسخ التي اعتمد عليها القدماء تستمد نفاستها مما جاء في قيد الفراغ من كتابتها من تواريخ تفيد في تعيين سنة وفاة مؤلفها، أو ما جاء عليها من سماعات أو قراءات أو إجازات بخطوط العلماء، فمن ذلك تحديد وفاة أبي حنيفة الدينوري، قال ياقوت:

«مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه.

ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين.

ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المنيح بكتاب النبات من تصنيف أبي حنيفة: «توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين»^١.

وتحديد سنة وفاة أحمد بن فارس اللغوي، حيث ذكر ابن الجوزي أن وفاته كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة، قال ياقوت:

«ووجد بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة. وكل منهما لا اعتبار به لأنني وجدت خط كُفَّه على كتاب «الفصيح» تصنيفه وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة»^٢.

[وعن هذه النسخة نقل بالوث الحميري نسخة بخطه سنة ٦٦٦ هـ محفوظة الآن في مكتبة تشتربريتي برقم 39992].

وكذلك تحديد سنة وفاة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، يقول ياقوت:

^١ ياقوت: معجم الأديباء ٣: ٢٦.

^٢ نفسه ٤: ٨٠، ٨٢ ومعجم البلدان ٤: ٤٣٠ - ٤٣١.

«وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أنني وجدت في آخر كتاب
«الأوائل» من تصنيفه :

«وفرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة
خمس وتسعين وثلاثمائة»^١.

واستدل ياقوت على تأخر وفاة الجوهري عن سنة ٣٩٣ هـ من نسخة من
كتابه الصحاح بخطه فرغ منها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة^٢.

كما وجد ياقوت على نسخة قديمة من كتاب «المُجَمَّل» لابن فارس ما
صورته :

«تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الزهراني الأستاذ
خَرَزِي، واختلفوا في وطنه فقيل كان من رشتاق الزُّهراء من القرية المعروفة
بكَرْسُفَة وجيانا باز وقد حضرت القرين مراراً ولا خلاف أنه قروي.

حدثني والدي محمد بن أحمد وكان من جملة حاضري مجالسه قال : أنه
أت فسأله عن وطنه فقال : كَرْسُف، قال : فتأمل الشيخ :

بلاد بها شُدَّت عليَّ قناتي وأول أرض مسَّ جلدي ترابها.
وكتبه مُجَمِّع بن محمد بن أحمد بخطه في شهر ربيع الأول سنة ست
وأربعين وأربعمائة».

وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً :

«قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في صفر سنة
خمس وتسعين وثلاثمائة بالري ودُفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي
الحسين علي بن عبد العزيز» يعني الجرجاني^٣.

وقرأ ياقوت كذلك على ظهر نسخة من كتاب «معاني القرآن» للزجاج :

^١ ياقوت : معجم الأدباء ٨ : ٢٦٤.

^٢ نفسه ١٨ : ٣٥.

^٣ مُجَمِّع بن محمد بن أحمد المسكني النحوي (أغا بُرُك : البريقة إلى تصانيف الشيعة ١٣ : ٣٨٦).

^٤ ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٩٢ - ٩٣.

«ابتدا أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بـ «معاني القرآن» في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة»^١.

لو ذكر فيليب دي طرازي أن من الكتاب نسخة بخط الزجاج في مكتبة الشيخ محمد النجار الحنفي المالكي في تونس ألت بعد وفاته إلى ابنه بلحسن النجار الذي تولى مثل أبيه منصب الإفتاء المالكي^٢.

ومن الفوائد التي وجدت على ظهور النسخ ما نقله ياقوت والقفطلي من خط سلامة ابن غياض النحوي، يقول ياقوت: «قرأت بخط سلامة بن غياض ما صورته:

«وقفت على نسخة من كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي في صفر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة بالرقي في دار كتبها التي وقفها صاحب بن عباد رحمه الله وعلى ظهرها بخط أبي علي (الفارسي) ما حكايته هذه:

«أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل آدم الله عزه ونصره وتأيدته وتمكينه كتابي في قراء الأمصار الذي يثبت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، مما تفصحت من أثر وقراءة ولغة فهو عن المشايخ/ الذين أخذت ذلك عنهم وأسندتهم إليهم، فمضى أثر سيدنا الصاحب الجليل آدم الله عزه ونصره وتأيدته وتمكينه حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبه فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه»^٣.

ويقول القفطلي: كتبت من خط أبي الخير سلامة بن غياض النحوي ما مثاله:

«كان على ظهر الجزء الأول من التذكرة [لأبي علي الفارسي]: قال أبو الحسن أحمد بن رضوان: هذه النسخة كتبتها من خط منصور بن محمد الأشرسني؛ فكان في آخر الجزء الأول منها هذا الذي ذكرته:

^١ ياقوت: معجم الأدياء ١: ١٥٦.

^٢ فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الحافلين ١: ٣٥٦.

^٣ معجم الأدياء ٧: ٢٣٩ - ٢٤٠.

كان الشيخ أبو علي سَمَّى هذا الكتاب روزنامه بالفارسي . وقال : كان محمد بن طوسي المعروف بالفصري نَسَخَ إلى آخر الكراسة السابعة من هذه الكرايس فنسخت وشاعت تسميته ، وجعل كل عشر كرايس من هذا الكتاب جزءاً منه . ويكفُّ الكل إلى آخر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، مائة وخمسة وعشرين كراسة . وابتدأ في السادسة في سنة ست وسبعين وهذه الأجزاء التي سماها «الفصريات» هذا الجزء أولها والسابع آخرها . وقد كان الفصري قرأها على الشيخ أبي علي واستنصر فيها مواضع وترك مواضع ، فهي على خلاف هذا الترتيب في أيدي الناس^١ .

وكانت مع ياقوت الحموي نسخة نفيسة من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي هي نسخة الحاكم أبي سعيد ابن دوست ، قال :

جاء في آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم أبي سعيد ابن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي :

«قرأ عليّ أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصححته له وكتبه إسماعيل بن حماد الجوهري» .

وعلى النسخة أيضاً في موضع آخر :

«سمعه مني وكذّب عليّ والحسن من أوله إلى آخره بقراءتي إيّاه إلا أوراقاً قرأها الحسن بنفسه عليّ وصح سماعهما والله تعالى يبارك لهما فيه ويوفقهما لصالح الأعمال . وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

ثم قرأه عليّ ولدي الحسن قراءة بحث واستقصاء من أوله إلى آخره ، بما على حواشيه من القوائد وشرح الأبيات في شهور سنة ثلاث وستين وأربعمائة» .

^١ الفقهلي : إيّاه الرواد ٣ : ٥٤ وانظر السيرطي : بقية الرعاة ٢٥٩ .

وعلى النسخة أيضاً قبل هذا ما صورته :

«سمعه مني يلقني وصحّحه عرضاً بنسخني صاحبه أبو يوسف يعقوب
بن أحمد وفرغ منه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وكتب
عبد الرحمن بن محمد بن دوست بخطه» .

قال ياقوت :

«... ومعرفني بالمخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشك فيه...»^١

ورأى ياقوت كذلك نسخة من كتاب «القوافي» للمُبرّد وعليها سماع لأبي
القاسم الحسن بن بشر الأمدي، قال :

«رأيت سماعه [أي أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي النحوي
الكاتب] على كتاب «القوافي» لأبي العباس المُبرّد وقد سمعه على نبطونية^٢
سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

ثم وجدت خطه على كتاب تبيين قدامة بن جعفر وفي نقد الشعر وقد ألّفه
لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه وكتب خطه في سنة
خمس وستين وثلثمائة .

ثم وجدت كتاب «القوافي» للمُبرّد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في
إسناده عبد الصمد بن خنّيش النحوي قرأه على أبي القاسم الأمدي في سنة
إحدى وسبعين وثلثمائة»^٣ .

كذلك فقد أشار ياقوت الحموي والقفطي إلى إجازة بقراءة نقلها من خط
سلامة بن غياض الكفرطابي نصها :

^١ ياقوت : معجم الأديباء ٦ : ٦٤ - ٦٥ .

^٢ هو أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان نبطونية النحوي المتوفى سنة ٢٣٢٣هـ / ٩٣٥م (المخطيب
البيضاوي : تاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ - ١٦٢ ، الأثيري : نزعة الأديباء ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ياقوت : معجم الأديباء ١
: ٢٥٤ - ٢٧٢ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٤٧ - ٤٩ ، القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٧٦ - ١٨٢ .

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ٨ : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

«وجدت في آخر نسخة «المقتصد» لعبد القاهر الجرجاني بالرِّي مكتوباً ما حكايته:

«قرأ عليّ الأخ الفقيه أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري أيّده الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل. وكتبه عبد القاهر ابن عبد الرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة حامداً لربه ومصلياً على محمد رسوله وآله^١».

وملك القفطي نسخة من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشرس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمي، وعليها بخط ابن فاجر النحوي البغدادي ما صورته:

«قرأت كتاب التنبيه في النحو لأبي الفتح النيسابوري قراءة تفهم وتفقه من أصل السَّمْسَمي وبخطه، على شيختي أبي القاسم بن عبد الله وعبد الواحد ابني العلمين: الرقي وابن برهان الأمدي رحمهما الله في سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وقال لي: قرأتاه من أوله إلى آخره على مصنفه أبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن أشرس النيسابوري رحمه الله في سنة أربعمائة، وقال لنا: صنفت هذا الكتاب لابن الأجل أبي الخطاب صاحب بهاء الدولة وأنقلته إليه، فوقف أباه عليه، فحمل إليّ ما قدره خمسمائة ديناراً من عَيْن وورق وثوب وطيب، ثم شرع في قراءته عليّ فلقيته سطرًا منه، فعرضه عليّ أبيه فحمل إليّ مثل ما حمل إليّ عند انقاضي وأتى إليّ فكمّل المعطية ألفاً. قال: وعاتبه بعض من يقع عتبه موقعاً في ما أورده شيخه أبو الفتح عثمان بن جني في التسمية بالتنبيه، فاعتذر عن ذلك بأن قال والله ما سمعته بذلك، وإنما سمّاه الأجل أبو الخطاب به، كما وقف عليه يقول أمر به، فسمع منه، وتوقيع خطه عليه، فأثّر عنه، فأقررت عليه لما في الوفاق من القرية إليه، والخطوة لديه. قال لي شيخنا أبو القاسم بن برهان رحمه الله: والذي دعاني إلى قراءة هذا الكتاب عليّ أبي الفتح رحمه الله، وحكائي

^١ ياقوت: معجم الأبياء ٢: ١٣٥، القفطي: إنباء الرواة ٢: ١٩٠.

عليها على اشتغالي في الوقت بما هو أهم منها، أن شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد الله السَّسَمي رحمه الله يُلِّقُه أن أستاذ الأستاذين أبا العباس بن التلاخ ركب إلي أبي الفتح متعهَّدًا، فأكرم مورده، وأهدى إليه هذا الكتاب بخطه، تحفة ولطفا في أمان المنصوري، فاستعاره منه على يدي وأعجب به، وعظم عنده، فَتَسَخَّ منه هذه النسخة عنها لنفسه، وقابلني بقروها وأنا أنظر في الأصل، قال لي عند انتهائها: اتسخه يخطك، وأقرؤه عليك، وأستبين غوامضه منه، فامتثلت أمره.

وقال لي شيخنا أبو القاسم الرقي: والذي دعاني إلى قراءة هذا الكتاب على أبي الفتح رحمه الله وحداني عليها، أن محبة أبي القاسم بن برهان لهذا الكتاب وقراءته أعدتاني، فأحييته حبه، وقراءته قراءة أبي القاسم نفاسة أن ينفرد بنسخه^١.

كما شاهد القفطي نسخة من كتاب «المَقْصُور والمَمْدُود» لأبي علي القالي وعليها بخطه

«قرأ جميع الممدود والمقصور محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي، ومحمد بن أبيان بن سيد^٢، وعبدالوهاب بن أصبغ، ومحمد بن حسن الزبيدي - أعزهم الله - وأعاتوا بانتساخه ونقله من طوابع تخريري له، وقابلوا به كتبهم. وكثير من تعاليق هذا الكتاب مخرج بخط القرشي منهم، ومثل هذا الديوان بخط عبدالوهاب بن أصبغ منهم. وسمعه سائر أصحابهم بقراءة القرشي له علي^٣، وسمعوه خاصة بقراءتي لهم، جعله الله علماً نافعا مقربا منه^٣.

ونقل القفطي أيضًا من خط ياقوت الموصللي ما جاء على نسخة نفيسة من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري، وهو ما مثاله:

^١ القفطي: إنباء الرواء ٤: ١٥٠ - ١٥١.

^٢ أبو عبد الله محمد بن أبيان بن سيد بن أبيان اللخمي القرطبي أحد تلاميذ أبي علي القالي (Sezgin, F.), GAS VIII, 256-57.

^٣ القفطي: إنباء الرواء ٣: ٦٤.

«وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري بخط أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الحشاش ما هذه حكايته فنقلته : وجدت بخط أبي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته ، فنقلته : قرأت هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد السيرافي ورواه لي عن مسيح بن الحسين بن أخت أبي حنيفة الدينوري ، وذكر أنه قرأه على خاله أبي حنيفة ، وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب «الأنواء» ومجمعه قراءة عليه . وقرأناه على أبي عبدالله الحسين بن هارون القاضي الضبي بهذه الرواية أيضاً ، وقرأه أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري ، وسمع أبو الحسين الشَّصمي ، وسمع الشريف المرتضى أبو القاسم . نقله أحمد بن أحمد^١ في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة».

ويخطه أيضاً على ظهر النسخة المذكورة :

«قرأ جميع هذه المجلدة - وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى ابن الحسين بن أحمد بن البنا من أولها إلى البلاغ المقابل لنسخة الخالغ بروايته عن أبي القاسم علي بن أحمد السري ، إجازة عن أبي عبدالله الضبي ، وإجازة عن مسيح بن الحسين عن أبي حنيفة - عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الحشاش في مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، والباقي وجادة ؛ لأنه لم يقابل المسموع من الضبي . وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت بن عبدالله في سابع رجب من سنة ست وستمئة بمدينة الموصل»^٢.

أما الإجازات الموجودة على ظهور النسخ فتفيد في التعرف على مؤلفات بعض المؤلفين أو برواية مؤلفات المجيز ؛ ومن ذلك ما وجدته ياقوت الحموي على

^١ هو أحمد بن أحمد الورقي المعروف بابن أخي الشافعي . قال ياقوت : «رايت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ، ورايت خطه وليس بالجيد ، ولكنه متقن الفسط ، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من غيره» . (ياقوت : معجم الأديباء ٢ : ١٣٧) .

^٢ لتقطعي : انباء الرواة ١ : ٤٢ - ٤٣ .

جزء من كتاب «التفسير» لابن جرير الطبري بخط الفرغاني ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير قال : فنقلته على صورته لذلك وهو :

«قد أجزت لك يا علي بن عمران ، وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وكتاب «تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء» والقطع من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذته إجازة ، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بـ «ذيل السؤل» وكتاب «القراءات وتنزيل القرآن» ، وكتاب «الطيف القول وحقيقه في شرايع الإسلام» ، وما سمعته من كتاب «التهديب» من مسند العشرة ومسند ابن عباس إلى حديث المراج ، وكتاب «آداب القضاة والمحاضرات والسجلات» ، وكتاب «اختلاف علماء الأمصار» ، فليرويا ذلك عني . وكتبه عبدالله بن أحمد الفرغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة»^١.

وكذلك الإجازة التي كتبها ابن جني للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر أن يروي عنه مصنفاته وهي مؤرخة سنة ٣٨٤هـ أورد ياقوت صورته كما يلي :

«بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام الله عزه - أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري - أيد الله عزه - : عنده منها كتابي الموسوم بـ «الخصائص» وحجمه ألف ورقة ، وكتابي «الانعام في تفسير أشعار هذيل» مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري - رحمه الله - وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وكتابي في «سر الصناعة» وهو ستمائة ورقة ، وكتابي في «تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني» وحجمه خمسمائة ورقة ، وكتابي في «شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها» ومقداره خمسمائة ورقة ، وكتابي في «شرح المقصور والمدود» عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة ، وكتابي في «تعاقب العربية» وأطرف به وحجمه مائتا ورقة ، وكتابي في

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٨ : ٤٤ - ٤٥ .

«تفسير ديوان المصنّف الكبير» وهو ألف ورقة وثيف، وكتاني في «تفسير معاني هذا الديوان» وحججه مائة ورقة وخمسون ورقة، وكتاني «اللّمع في العربية» وإن كان لطيفاً، وكذلك كتابي «مختصر التصريف على إجماعه»، وكتاني «مختصر العروص والقوافي»، وكتاب «الألفاظ المهموزة»، وكتاني في «اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إعرابه في معناه» وهو المقتضب، وما بدأت بعمله من كتاب «تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب» أيضاً - أعان الله - على إقامه، وكتاب «ما خرج عني من تأييد المذاكرة عن الشيخ أبي علي» - أدام الله عزه -، وكتاني في «المحاسن في العربية» وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شدّ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتاني «التوارد المستنعة في العربية» وحججه ألف ورقة وقد شدّ أيضاً أصله عني، فإن وقعا كلاهما أو شيء فهو لا حق بما أجرت روايته هنا، وكتاب «ما أحضرته الخاطر من المسائل المنشورة مما أملته أو حصلت في آخر تعاليمي عن نفسي» وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو - أدام الله عزه - ذلك عني أجمع إذا أصبح عنده وأنس بتشقيقه وتسديده، وما صبح عنده - أيده الله - من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخه - رحمهم الله - وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه منقوعاً به بإذن الله - وكتب عثمان بن جني يده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلثمائة^١.

ووقف القفطي على إجازة أملاها أبو العلاء المَعَرِّي على ظهر كتاب «ذكرى الحبيب» يقول القفطي:

«قصّد أبا العلاء المَعَرِّي من الطلبة رجل أعجمي يعرف بالكرداني، وكتب عنه فيما كتب «ذكرى حبيب». فتقدم أبو العلاء إلى بعض نُسبائه بما كتبه له على الكتاب المذكور وهو:

«قال أحمد بن عبدالله بن سليمان التتويحي، من أهل معرة النعمان: قرأ على هذا الجزء، وهو الجزء الثاني من الكتاب المعروف «بذكرى حبيب» الشيخ

^١ باقوت: معجم الأدباء ١٢: ١٠٩ - ١١١.

القاضل أبو الحسن يحيى بن محمد الرازي، أدام الله عزّه، من أول الجزء إلى آخره، ووقع الاجتهاد مني في تصحيح النسخة، وكان ابتدؤه بقراءته لسبع بقين من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة، وفرغ من قراءته لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وأجزت له أن يرويّه عنّي على حسب ما قرأها. ويشهد الله أنّي معتذر إلى هذا القاري من تقصيري فيما هو عليّ مفترض من حقوقه والاعتراف بالمعجزة تمنع من اللاتمة المنجزة. وكتب جابر بن زيد بن عبد الواحد بن عبدالله بن سليمان، بإذن أحمد بن عبدالله بن سليمان العمري، في المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة^١.

وشاهد حاجي خليفة نص قراءة ورواية عليّ أحمد تُسَخَّح «الصحاح» التي كتبها بخطه ياقوت الموصلي كاتب تُسَخَّح الصحاح، هذه صورته :

«يقول ياقوت : نقلت هذا الكتاب من خط الشيخ أبي سهل محمد بن عليّ الهروي النحوي رحمه الله تعالى، وذكر أنّه نقله من خط المصنف ورواه عن إسماعيل بن محمد بن عَبدوس عن المصنف. وشاهدت خط ابن عَبدوس على النسخة التي نقلت منها ما هذا حكايته :

قرأ عليّ الشيخ أبو سهل محمد بن عليّ بن محمد الهروي أكثر هذا الكتاب وسمع ما فيه من لفظي بقراءتي عليه فصيح له سماع جميعه منّي وروايته عنّي وذلك في شهر سنة ٤٣٩ وكتب إسماعيل بن محمد بن عَبدوس الدغان النسابوري.

ويقول ياقوت : «هذا الكتاب أرويه متصلاً إلى ابن عَبدوس عن المصنف فما صحّ في هذه النسخة فهو الرواية عن خطّ أو صواب، وما خالفها من زيادة أو تغيير، فهو من كلام غير المصنف، وقد استدرك أبو سهل وبين بعض ما صحّحه المصنف.

قال ياقوت : وقد أثبت ذلك في موضعه ولي أيضاً مواضع فذهبت من سهو المصنف ومن سهو وقع في خط أبي سهل على أن الكتب الكبار لا تخلوا من ذلك. انتهى»^٢.

^١ القطعي : إنباء الرواه ١ : ٥٥ - ٥٦.

^٢ حاجي خليفة : كشف الظنون ٤ : ٩٧.

وعن اهتمام القدماء باستخراج نسخة جيدة عن طريق معارضة النسخ الصحيحة بعضها ببعض يقول الأزهرى عن كتاب «المعاني في القرآن» لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي المتوفى سنة ٣١١هـ.

«حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب فالتفت عنده جماعة يسمعون منه».

«وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن فهو من كتابه . ولم أفرغ ببغداد لسماعه منه . ووجدت النسخ التي حُمِلت إلى خراسان غير صحيحة ، فجمعت منها عدة نسخ مختلفة المخرج وصرفت عنايتي إلى معارضة بعضها ببعض حتى حصلت منها نسخة جيدة»^١.

وكثيراً ما كانت تُقَيَّد على ظهور الكتب معلومات وفوائد لا علاقة لها بموضوع الكتاب استفاد من بعضها قديماً القفطي وجعلها موضوع كتابه «نُهْزَة الخاطر ونُزْهَة الناظر في أحسن ما نُقِل من على ظهور الكتب»^٢ ومن ذلك مثلاً أن ابن النديم وَجَدَ أسماء شُرَاح أرسطو مكتوبة «على ظهر جزء عتيق»^٣ ، كما أن ياقوت الحموي ذكر أن كتاب شرح الكافي في القوافي لابن جني «وَجَدَ على ظهر نسخة ذَكَرَ ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جني - رحمه الله - على ظهر نسخة من كتاب الْمُحْتَسِب في علل شواذ القراءات»^٤.

^١ الأزهرى : تهذيب اللغة : ١ : ٢٧ .

^٢ انظر فيما سبق من ٩٦ .

^٣ ابن النديم : الفهرست : ٣١٣ .

^٤ ياقوت : معجم الأدباء : ١٢ : ١١٣ .

الْوَرَّاقَةُ وَالْوَرَّاقُونَ

ظهرت صناعة «الوراقة» مع ازدهار حركة التأليف والترجمة، وبعد وجود الورق وانتشار صناعته في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة؛ فلفظ «الوراقة» مشتق من الورق. وأطلقت كتب الأدب العربي على الطائفة التي تولّت أمر هذه الصناعة اسم «الورّاقين».

وقد عرّف ابن خلدون في «مقدمته» الوراقة بأنها

«معاينة الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران»^١.

ويُعرف السمعاني الورّاق بأنه

«مَنْ يَكْتُبُ المصحف ويُنْثَب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الورّاق أيضاً»^٢.

ومارس مهنة الوراقة إلى جانب الورّاقين المحترفين عددٌ كبير من العلماء والأدباء والمُحدّثين والمُفسرين وعلماء اللغة. ويشمل كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي وكتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي بأخبار كثيرة عن الورّاقين وصناعة الوراقة تتعرّف من خلالها على كيفية ممارسة هذه المهنة والارتزاق منها.

يقول الخطيب البغدادي

«حدّث أبو القاسم بن بنت منيع [المُتوفى سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م] قال: كنت أوزّق فسألت جدي أحمد بن منيع أن يعضيّ معي إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي يسأله إن يعطيني الجزء الأول من «الغزالي» عن أبيه عن ابن إسحق

^١ ابن خلدون: المقدمة ٩٧٤.

^٢ السمعاني: الأنساب ورقة ٥٧٩ ط.

حتى أوزّقه عليه ، فجاء معي وسأله فأعطاني الجزء الأول فأخذته وطلّعت به فأول ما بدأت بأبي عبدالله بن مغلّس وأرسته الكتاب وأعلمته أنني أريد أن أقرأ «المغازي» على سعيد الأموي ، فدفع إليّ عشرين ديناراً وقال : اكتب لي منه نسخة . ثم طلّعت به بقية يومي فلم أزل أخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير فأكثر وأقل إلى أن حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نسخاً لأصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي»^١ .

ويضيف الخطيب البغدادي كذلك كيف أفاد قومٌ بالتوريق ثروة طائلة ،

يقول :

«حدّث عيسى بن أحمد الهمداني قال : قال لي أبو علي بن شهاب [المكبري المتوفى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م] يوماً : أرني عطفك فقد ذكر لي أنك سريع الكتابة ، فنظر فيه فلم يرُضه ثم قال لي : كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت أشتري كأخذاً بخمسة دراهم فأكتب فيه «ديوان المحتشّي» في ثلاث ليال وأبيّضه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهماً ، وكذلك كتب الأدب كانت مطلوبة . قال الأزهري : أخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره ألف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار»^٢ .

كذلك فقد كسب أبو علي الحسن بن شهاب المكبري من الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية ، وكان حسن الخط سريع القلم صحيح الثقل^٣ .

كما أن القاضي أبا عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي المتوفى سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م تّدّم على ترك الوراقة بعد تكليفه بالقضاء وكان يقول : «مالي وللقضاء ، لو اقتصررت على الوراقة ما كان حظي بالردى»^٤ .

مع أنه كان يتقاضى في الشهر مائة وعشرين ديناراً^٥ . كذلك فقد أئثرى أبو

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ : ١١٣ - ١١٤ حبيب زيات : الوراقة والوراقون في الإسلام ٣٠٦ .

^٢ نفسه ٧ : ٣٢٩ - ٣٣٠ حبيب زيات : المرجع السابق ٣٠٧ .

^٣ السمعاني : الأساب ٣٩٦ .

^٤ الكندي : الولاء والقضاء ٥٣١ .

^٥ عبدالستار الخلوجي : المرجع السابق ١٢٢ .

عبدالله محمد بن محمد العبدري الغرناطي النحوي المتوفى سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٣ م من التكتيب بالكتب^١.

ومع ذلك فقد تأفف واشتكى كثير من الوراقين من الوراقة «لكساد سوقها وخلو طريقتها»، ودعاها أبو حيان التوحيدي، وكان يعمل بالوراقة ونسخ الكتب، «حرقه الشؤم»^٢ رغم اعترافه بأن سوق الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ووصف حالته فقال:

«ولقد استولى على الحرف وتمكن مني تكذ الزمان إلى الحد الذي لا استرزق مع صحة ثقلي وتقيد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف يمثل ما يسترزق البلبد الذي ينسخ النسخ وينسخ الأصل والفرع، وقصدت ابن عباد بأمل فسيح وصدر رحيب، فقدم إلي رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له، فقلت: نسخ مثله يأتي على العمر والبصر. والوراقة كانت موجودة ببغداد - فأخذ في نفسه على من ذلك، وما قرئت بطائل من جهته»^٣.

«ثم أتى قلت لبعض الناس في الدار مسترسلا إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وراسمت متجهمي هذا الربيع لأتخلص من حرقه الشؤم، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة»^٤.

ولنا أن نعتبر موقف أبي حيان التوحيدي وشكوته من الوراقة موقفاً خاصاً به وليس دليلاً على تدني سوقها، فكما يقول هو فإن البلبد الذي ينسخ النسخ ويمسخ الأصل والفرع كان يسترزق منها وكما أن باعتراؤه هو شخصياً لم تكن الوراقة ببغداد كاسدة.

ويشير أبو حيان في كتاب «أخلاق الوزيرين» إلى كيفية تحقير بعض ولاة الأمور لمهنة الوراقة بقوله:

^١ السيرطي: بغية الوعاة ١٠٠.

^٢ ياقوت الحموي: معجم الأديباء ١٥ : ٢٨ ص ٦.

^٣ نقله ١٥ : ١٣.

^٤ نقله ١٥ : ٢٨.

«وطلّع عليّ [أي ابن عباد] يوماً في داره وأنا قاعدٌ في كسْر رواق أكتب له شيئاً قد كادني به، فلما أبصرته قمت قائماً، فصاح بعلق مشقوق: أقعد! فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا»^١.

وعليّنا أن نلاحظ أن الوراقة كحرفة لم تكن تُغري الناس، فلم يكن يُقبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلاباً، لذلك اعتمد كثير من الفقهاء والمُحدّثين على الوراقة في كُتُب عيشهم^٢ مثل أبي سعيد الحسن بن عبد الله السمرزباني السمرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨هـ / ٧٩٨م يقول الخطيب البغدادي:

«كان رحمه الله زاهداً ورعاً لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كُتُب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى يَسْخَ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشر دراهم تكون بقدر مؤنته ثم يخرج إلى مجلسه»^٣.

ومثل أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م أحد كبار علماء خراسان ومحدثيها الذي كان

«يؤزق ويأكل من كُتُب يده ويكره أن يأخذ شيئاً على التحديث»^٤.

ومثل أبي زكريا يحيى بن عدي بن حميد المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م أحد كبار فلاسفة هذا القرن الذي نَسَخ بخطه نسختين من «تفسير الطبري» وحملها إلى ملوك الأطراف وكان يقول:

«قد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يُخصى ولعهدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»^٥.

^١ أبو حيان: أخلاق الوزيرين ١٤١، باقوت: معجم الأدياء ١٥ : ٢٦.

^٢ عبد الستار الخلوجي: الخطوط العربية ١٢٣.

^٣ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧ : ١٣٤٢، باقوت: معجم الأدياء ٨ : ١٤٦ - ١٤٧، القفطي: إنباء الرواء : ٣١٣ - ٣١٤.

^٤ ابن الجوزي: المتظلم ٦ : ٣٨٦.

^٥ ابن النديم: الفهرست ٣٢٢.

ووقف ابن النديم على كتب كثيرة بخطه ومن بينها فهرست كتب
أرسطوطاليس^١.

ومثل السري الرفاء الموصلي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م
الذي قال عنه ياقوت :

«اشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان مغرّياً به، وكان
يُدسُّ فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه ويتفق
سوقه ويشتع بذلك على الخالدين لعداوة كانت بينه وبينهما»^٢.

ثم اضطر إلى الارتزاق من الوراقة عندما أصابه ضنك العيش، يقول
الخطيب البغدادي :

«عُدَّ القوت فضلاً عن غيره فجلس يُورِّق شعره ويبيعه، ثم نَسَخَ لغيره
بالأجرة وركبه الدُّنَّ ومات ببغداد على تلك الحال بُعِيدَ سنة ستين
وثلاثمائة»^٣.

ومن النُسخ أيضاً المعدمين شيخ الإسكندرية تاج الدين علي بن أحمد بن
عبدالمحسن الحسيني الغراف المتوفى سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م.

«كان يرتزق بالوراقة فإذا حَصَلَ قوته لا يتجاوز»^٤.

وككمال الدين أبو علي الحسن المعروف بالقمحدوة القرشي الكوفي الناسخ
«كُتِبَ الكثير لنفسه وتوريقاً للناس وقتل سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م. ونظير محمد
ابن علي أبو الغنائم الترسّي ويعرف بابن الكوفي «كان يُورِّق للناس بالأجرة»
وتوفى سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م^٥.

^١ ابن النديم : الفهرست ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.

^٢ ياقوت : معجم الأدباء ١١ : ١٨٤.

^٣ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤.

^٤ ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ١١.

^٥ حبيب زيات : المرجع السابق ٣٠٩ - ٣١٠.

واضطرب بعض الأدباء إلى الاشتغال بنسخ الكتب ليعول نفسه وأسرته مثل ما حكى عن أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور الدقاق المعروف بابن الخاضية المتوفى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م، قال:

«لما كان سنة الفَرَق [أي سنة ٤٦٦ هـ] وقَعْتُ داري على قماشٍ وكتبي،
وكان لي عائلة: الوالدة والزوجة والبنات فكنت أوزق الناس وأتق على
الأهل، فأعرف أنني كتبت "صحيح مُسلم" في تلك السنة سبع مرات».

وفيما يشير إليه أبو بكر ابن الدقاق بعد ذلك دليل على مشقة مهنة النسخ وعنائها يقول:

«فلما كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومنادي
ينادي ابن الخاضية فأُحضرت فقبل لي ادخل الجنة، فلما دخلت الباب
وصرت بالداخل استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى
وقلت: أه: استرح والله من النسخ»^١.

وعلى ذلك فقد أشار عدد من الشعراء إلى تأفف الوراقين وشكواهم من الوراق، فيقول أبي حاتم الوراق الكشمري نسبة إلى كشمَر إحدى قرى نيسابور:

إن الوراق حرفة مزمومة محبومة عيشي بها زمن
إن عشتُ، عشتُ وليس لي أكلٌ أو متُّ، متُّ وليس لي كفنٌ^٢

كما ردّد مثل هذا الصدى أبو محمد عبدالله بن محمد بن صارة الشنتريني أحد شعراء الأندلس قال:

أما الوراق فهي أنكدُ حرفة أوراقها وثمارها الحرمانُ
شبهتُ صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان^٣

^١ ياقوت: معجم الأدباء، ١٧: ٢٢٧ - ٢٢٨.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٧٨.

^٣ ابن خلكان: وفیات الأعيان ٣: ٩٣.

.

وكان الكثير من غزوة دور الكتب يشتغلون بالورقة وتُسَخ الكتب. فكان
 إعلان الشعبي
 «يُسَخ في بيت الحكمة للرشد والمأمون والبرامكة^١، كما كان له دكان يبيع
 فيه الكتب ويُسَخ بياب الشام، وكان يُورَق عنده فني يُعرف بالفيرزان»^٢.
 وكان أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد خازن دار الكتب
 القديمة ومن ساكني درب منصور بالكرك
 «خطه موجود بأيدي الناس كثير يُرَغَّب فيه ويُعتمد غالباً عليه (كما يقول
 ياقوت). وكان أبو السعادات ابن الشجري النحوي والتقييد حيدرة كثيراً ما
 يستكتبانه»^٣.

كما كان أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله البصري
 القرميسيني الملقب بالواجكا اللغوي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م^٤ يتولَّى ببغداد
 النظر في دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور وإليه حفظها والإشراف عليها،
 ووصفه الصفدي بأنه

«صاحب الخط الملبح والضبط الفصيح»^٥

وقد وقَّع ياقوت الحموي على عدد من الكتب بخطه منها كتاب «عقلاء
 المجانين» لأبي بكر محمد الأزهرى [ابن أبي الأزهرى]^٦، وكتاب «أشعار بني ربيعة
 الجحوج» لعلي بن إبراهيم الدهكي وقد قرأه عليه^٧، وذكر القفطي أن أبا عبد الله
 محمد بن محمد بن عباد النحوي استكتبه كتاب «الوقف والأبداء» له، قال

^١ ابن النديم: الفهرست ١١٨؛ ياقوت: معجم الأدياء ١٢ : ١٩١؛ الصفدي: الوافي ١٩ : ٥٥٨.

^٢ ياقوت: معجم الأدياء ١٢ : ١٩٢؛ عبد الستار الحلوجي: الخطوط العربي ١١٧.

^٣ نفسه ١٧ : ٢٦٧.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١ : ٥٧ - ٥٨؛ القفطي: إنباء الرواة ١ : ٥٠ و ٢ : ١٧٥ - ١٧٦.

^٥ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٨ : ٤١٩ - ٤٢٠.

^٦ الصفدي: الوافي ١٨ : ٤١٩.

^٧ ياقوت: معجم الأدياء ٣ : ١٨ و ٥٠ : ١١٦ و ٧ : ١٣٢.

^٨ نفسه ١٢ : ٢١٦ والنظر كذلك ٤ : ١٥٤.

عبد السلام البصري «فكتبت له منه نسخة وتركت المواضع المشككة فلم أشكلها فشكلها بخطه»^١.

ونسخة «إصلاح المنطق» لابن السكيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ والتي قرّخ من نسخها علي بن عبيد الله الشيرازي في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان سنة سبع وأربعين وأربعمائة نقلت عن نسخة عليها قراءة لعبد السلام بن الحسين البصري بخطه هذا نصها :

«قرأت هذه الكراسة وأصلحتها وأبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحنّاط الشيرازي ينظر في أصله الذي قرأته وصححته وسمعتها مع ما قبلها من لفظي فليرو عني عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح ، وقد أجاز له أبو بكر بن الجراح عن أبي بكر محمد بن القاسم الأتباري عن أبيه عن ابن رستم عن يعقوب . . . وأجزته أنا لأخيه أبي نصر عبد العزيز بن محمد بن علي الحنّاط الشيرازي الشافعي ولصهره أبي ذرّة عبد الواحد بن عبيد الله الأدمي . وكتب عبد السلام بن محمد البصري وذلك يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة».

«ويخطه أيضاً :

وقد قرأ أبو العباس هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وكان يرويه عن أبي بكر محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن بندار بن ثروة عن يعقوب ، وسمعت أنا بقراءة أبي علي الحسن بن بنّال من أوله إلى آخره على القاضي أبي سعيد ، فإن أحببنا أن يرويا عنّا هذه الرواية فليروياها إن شاء الله».

وأضاف القفطي أن المبارك بن الفاجر بن محمد بن يعقوب النحوي

^١ القفطي : إنباء الرواة ٣ : ٢١٣ .

^٢ هو النسخة التي كتب بمدينة تبريز في شهر رمضان سنة ٤٢٤ هـ نسخة «ديوان البحري» المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٥٢ مخزان كتب الأستاذ الجليل أبي المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث (بالقوت : معجم الأديباء ١ : ١١٦ الصفدي : الوافي ٥ : ٣١٠) .

«كانت له طريقة في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري [هذا] مُتَمَلِّمَةٌ
الحروف كثيرة الضبط، وخطه مرغوب فيه له قَدْرٌ عند العلماء بهذا الشأن»^١

أما أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ/
١١٧٩م خازن دار الكتب بالنظامية^٢ فيقول عنه القفطي:

«كان يكتب خطًا جيدًا، تولى الخزَن سنين كثيرة، ورأيت بخطه أجزاء
متعددة من كتاب [تهذيب اللغة] للأزهري وفيها وَهْمٌ وَغَلَطٌ ولا شك في
موته قبل إتمامه ومقابلته»^٣.

وكان لكبار المؤلفين في القرون الأولى للإسلام ورَاقُونَ يَتَوَلَّوْنَ نَسْخَ
مؤلفاتهم وتوزيعها وهو ما يعادل مهمة الناشرين في العصر الحديث، ويتولَّوْنَ
كذلك تحصيل ما يريدونه من كتب وأجزاء وتجليدها. فكان أبو محمد ثابت بن
أبي ثابت سعيد اللغوي يُوَرِّقُ لأبي عُبَيْدِ القاسم بن سَلام المتوفى سنة
٢٢٤هـ/٨٣٩م ويعرف بـ «ورَاقِ أبي عُبَيْد»^٤. كما كان أبو يحيى زكريا بن يحيى
ابن سليمان ورَاقًا للمجاحظ، يقول ابن النديم في ترجمة المجاحظ:

«ورأيت أنا هذين الكتاتين [يعني كتاب النساء وكتاب البغال للمجاحظ]
يخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكتب أبا يحيى ورَاقِ المجاحظ»^٥.

وذكر السَّمْعَانِي والخطيب البغدادي ورَاقًا آخر للمجاحظ هو أبو القاسم
عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حيدة المتوفى سنة ٣١٤هـ/
٩٢٦م. كما لزم أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم أبا العلاء المعرِّي
ونَسَخَ له كتبه بأسرها بدون أجر^٦.

^١ القفطي: إنباء الرواة ٣: ٢٥٧.

^٢ ياقوت: معجم الأدياب: ١٢: ٢٧٤.

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٢: ١٧٥.

^٤ نفسه ١: ٢٦١: ٥ ياقوت: معجم الأدياب ٧: ١٤٠ - ١٤١: الصفدي: الوافي ١٠: ٤٦٧ - ٤٦٨.

^٥ ابن النديم: الفهرست ٢٠٩: ياقوت: معجم الأدياب ١٦: ١٠٦ وقرآن أبا علي القالي: الأمانى ١: ٢٨٤.

^٦ السمعاني: الأنساب ورقة ٥٨٠ ط ١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٢٨.

^٧ تعريف القدماء بأبي العلاء ٣٢، ٣٨، ١٠٩، ٢٠١.

وكان أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحموكي يورق لحنين بن إسحاق المصنّف في منقولاته لعلوم الأوائل، وكان ناسخاً^١؛ حدّث المرزباني عن أبي عبد الله اليزيدي قال:

«كان أبو العباس الأحموكي يكتب لي مائة ورقة بعشرين درهماً»^٢.

وذكر ابن النديم من بين ورّاقه محمد بن يزيد المبرّد المشوفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م إسماعيل بن أحمد بن الزجاجي وإبراهيم بن محمد الشاشي^٣. كذلك فقد كان الحسين بن عبد الله بن شاذان السمرقندي المشوفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م يورق لداود الأصبهاني الظاهري^٤، كما كان أحمد بن أخى الشافعي ورّاقاً لابن عباد الجعفي صاحب كتاب «الوزراء والكتاب»^٥، ومحمد بن أبي حاتم النحوي ورّاقاً للإمام البخاري^٦، وسلمة بن عاصم وأبو نصر بن الجهم ورّاقين للقرّاء^٧.

وذكر القفطي أن إسحاق بن الجثّيد البرّاز البصري الورّاق اللغوي كان يورق لابن دريد ويأخذ عنه ويعرف بـ «ورّاق ابن دريد»^٨، كما كان له أيضاً ورّاق يدعى علي بن أحمد الدريدي صارت إليه كتب ابن دريد بعد موته^٩.

وكان الورّاقون يختزنون أحياناً مؤلفات كبار العلماء ويحتكرونها حباً بالربح كما بيّنه النص التالي الذي أورده الخطيب البغدادي عن القرّاء قال:

«إن القرّاء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلّف ما يجمع به أصول النحو وما

^١ ابن النديم: القهرست ٨٧؛ باقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٢٥ و ١٢٦.

^٢ باقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٢٦.

^٣ ابن النديم: القهرست: ٦٥.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨ : ٥٩.

^٥ باقوت: معجم الأدباء ٢ : ١٣٧، الصفدي: الوافي ٦ : ٢٢٩.

^٦ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢ : ٧، ١٤.

^٧ نفسه ١٤ : ١٥٠.

^٨ القفطي: إنباء الرواة ١ : ٢٢٠؛ اليزيدي: طبقات النحويين والفقهاء ١٨٥.

^٩ اليزيدي: طبقات النحويين ١٨٥؛ باقوت: معجم الأدباء ١٢ : ٢٢٣.

سمع من العربية وأمر أن يُقرّد بحجرة من حُجر الدار ووكل به جوارِي وخَدَمًا يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلّق قلبه ولا تَشْتَوِي نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤدّونه بأوقات الصلاة، وسَيَّر إليه الوراقين وألزمه الأمانة والمنفقين فكان يملّي والوراقون يكتبون حتى صُنّف «الحدود» في ستين، وأمر المأمون بكتبه بالخزائن.

فبعد أن قرّع من ذلك خرج إلى الناس وإبتدأ بكتاب «المعاني» [يعني معاني القرآن] قال الراوي: وأردنا أن نُعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب «المعاني» فلم نضبطهم فَمَدَدْنَا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً. فلم يزل عليه حتى أتمه. ولما قرّع من كتاب «المعاني» غرّته الوراقون عن الناس ليكتبوا به وقالوا لا نُخرجه إلا لمن أراد أن تُنسخه له على خمس أوراق بدرهم، فشكا الناس إلى القراء فدعى الوراقين وقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحتناك لتتبع بك وكل ما صُنّفته فليس بالناس إليه حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب فدعنا نعيش به، فقال: قاريوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه، فقال: سأريكم وقال للناس: إني مُملّ كتاب معان أتم شَرْحًا وأَبَسَطَ قولاً من الذي أملت، وجلس يملّي فأملّى «الحمد» في مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه وقالوا: نحن نُكَلِّم الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم^١.

سوق الوراقين

وكانت «سوق الوراقين» في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء» حتى امتلأت بغداد بأكثر من مائة حانوت للوراقة في زمن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي^٢ المتوفى سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م، فيذكر ابن النديم أن الجاحظ «كان يكثرى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر»^٣. كما كان العلماء يترددون عليها للاطلاع على نفائس الكتب ونوادرها ولذلك اتهم محمد النوبختي أبا الفرج الأصبهاني صاحب كتاب «الأغاني» بأنه

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ : ١٥١ + باقوت : معجم الأدياء ٢٠ : ١٢ - ١٣ + ابن خلكان :

وفيات ٦ : ١٧٧ - ١٧٨.

^٢ اليعقوبي: كتاب البلدان ١٣.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٣٠.

«أكذب الناس يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون كل رواياته منها»^١. ولا يخفى ما في هذا القول من الحسد وقلة الإنصاف. وكان المصنّف الشاعر يكثر زيارة سوق الوراقين ومطالعة ما يقع فيها من أحاسن المؤلفات، أخير ورّاق كان يجلس إليه قال:

«ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان (يقصد المصنّف) كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه، فأخذ ينظر فيه طويلاً: فقال الرجل: يا هذا أريد بيعة وقد قطعني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة فيعيد، فقال: إن كنت حفظته فمالي عليك؟ قال: أحب لك الكتاب. قال الورّاق: فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى آخره ثم استلبه فجعله في كفه وقام، فتلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال: ما إلى ذلك سبيل قد وهبته لي، فمتعتنا منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه»^٢.

وكان لعبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هانئ الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م دكان ببغداد يورّق فيه ويجتمع إليه عامة أهل الأدب ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة ما لا يحصل في غيره من أندية الأدب^٣. قال عنه ياقوت:

«حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»^٤. ومن المواضيع التي اشتهرت ببيع الكتب في بغداد «طاق الحرّاني»^٥، فعندما توفي أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي - أحد جماعى الكتب ومؤلفيها وأول

^١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٣٩٩.

^٢ نفسه ٤: ١٠٣.

^٣ نفسه ٢: ١٣٤.

^٤ ابن النديم: الفهرست ٨٨.

^٥ طاق الحرّاني: محلة ببغداد بالجانب الغربي من حد القطرة الجديدة وشارع طاق الحرّاني إلى شارع باب الكرخ، نسبة إلى إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحرّاني من موالي المنصور وزير الهادي موسى بن المهدي - (ياقوت: معجم البلدان ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).

من ألف في المسالك والممالك كتاباً ولم يتمه - بالأهواز

«حُمِلَتْ كُتُبُهُ إِلَى بَغْدَادَ وَبِعَتْ فِي طَاقِ الْخِرَاقِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ»^١.

كما أن أبا القاسم الحارث بن علي الوراق البغدادي أحد رؤوس المعتزلة^٢ الذي كانت له مع أبي علي الجبائي مناظرات واجتمعا بسوق الأهواز ذكره أبو القاسم البَلْخِي في كتاب «للحاسن» وقال:

«كَانَ وَرَاقًا يَبِيعُ الْكُتُبَ وَيُوزِقُ لِلنَّاسِ يَقْصُرُ وَضَاحُ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ»^٣.

وكان ينتشر بسوق الوراقين دلالون ينادون على الكتب ويقومونها من ذلك ما رواه الزبيدي عن خيران الوراق أنه لما مات أحمد بن يحيى ثعلب

«خَلَّفَ كُتُبًا جَلِيلَةً، فَأَوْصَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ - أَحَدِ أَعْيَانِ تَلَامِيذِهِ - وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي دَفْعِ كُتُبِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفُطَيْمِيُّ - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الزَّجَّاجُ لِلْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [الوزير]: هَذِهِ كُتُبٌ جَلِيلَةٌ فَلَا تَقْوَتْكَ، فَتَقَدَّمَ الْقَاسِمُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَأْسَ الْبَيْتِ أَنْ يَقُومَ الْكُتُبَ وَيَأْخُذَهَا لَهُ، فَأَحْضَرَ خَيْرَانَ الْوَرَّاقِ فَقَوْمًا مَا يَسَاوِي عَشْرَ دَنَانِيرَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ فَبَلَّغَتْ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا الْقَاسِمُ بِهَا»^٤.

ويضيف الزبيدي قائلا:

«فَلَمَّا رَأَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ - وَقَدْ أَحْضَرْنَا لِشِرَاءِ كُتُبٍ يَبِيعُهَا وَلَدُ الْقَاسِمِ - دِيْوَانَ مَسَائِلِ الْأَخْفَشِ» وعليه بخط ابن خيران أربعة دنانير، وعليه خط أحمد بن يحيى: كتبت إلى أبي حاتم السجستاني أن ينسخ لي مسائل الأخفش كلها في النحو، فوجه إلي بهذه النسخة وأعلمني أنه لم يبق له مسألة إلا وهي في هذا الكتاب، فبليت الأجزاء فأخذها بعض ولد القاسم ولم يمكنا من شرائها.

قال محمد بن أبان بن سَيد: وهي بخط ذي الرمة وراق أبي حاتم. وقد

^١ ابن النديم: الفهرست ١٦٦٧ باقوت: معجم الأدباء ٧: ١٦٥٦ - الصفدي: الروابي بالرقبات ١١: ٩٦.

^٢ القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٣٠٣.

^٣ ابن النديم: الفهرست ١٢١٨ - الصفدي: الروابي ١١: ٢٦٠.

^٤ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ١٤٩ - ١٦٥٠ باقوت: معجم الأدباء ٥: ١٢٧.

رأيت هذه النسخة بين يدي أمير المؤمنين المستنصر بالله [الأموي] قبل ولايته،
أنته من العراق»^١.

كما يروي ابن النديم عن يحيى بن عدي قوله :

«إن شرح الإسكندر [الأفروديسي] للسمع كله ولكتاب البرهان
[لأرسطو] رأيت في تركة إبراهيم بن عبدالله الثاقب النُصْراني وأن الشرحين
عُرضاً على مائة دينار وعشرين ديناراً، فمضيت لأحتال الدنانير ثم عدت
فأصبحت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة
آلاف دينار»^٢.

وذكر القفطي أنه كان يحضر بحضر حلق الكتب عند بيعها، قال :

«فلما قال المنادي كتاب كذا بخط [أبي يعقوب يوسف بن يعقوب]
التجيري رفعت نحوه الأعناق»

لأن خطه كان في غاية الصحة وكان للمصريين تنافس فيه إذا وقع لهم^٣.

كذلك كان يُنادى على الكتب في سوق الوراقين كالطُرف يقول أبو جعفر
محمد بن يحيى بن شيراز

«اتصل بي أن مُسَوِّدة كتاب الأغاني - وهي أصل أبي الفرج - لكتب أبو
الفرج الأغاني مرة واحدة في عمره وهي النسخة التي أهداها إلى سيف
الدولة»^٤ أخرجت إلى سوق الوراقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قُرَابة وسألته
إنقاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرفني أنها بيعت في النداء بأربعة
آلاف درهم، وأن أكثرها في طروس ويخط التعليق وأنها اشترت لأبي أحمد
بن محمد بن حَفْص، فراسلت أبا بكر أحمد فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا،
فبحثت كل البحث فما قُدِّرْتُ عليها»^٥.

^١ الزبيدي : المصدر السابق ١٥٠ .

^٢ ابن النديم : الفهرست ٣١٣ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ٤ : ٦٧ .

^٤ ياقوت : معجم الألباء ١٣ : ٩٨ .

^٥ نفسه ١٣ : ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر فيما يلي ص ٢٢٩ .

هذا في الوقت الذي يذكر فيه ياقوت أنه قرأ على ظهر جزء من نسخة لكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني:

«حدث ابن عرس الموصلية وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب ابن ناصر الدولة، وكان يخلف أبا تغلب بأمرتي بابتاع كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني فابتعت له بعشرة آلاف درهم من صرف ثمانية عشر درهماً بدینار، فلما حملته إليه ووقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم ورأفه المسكين وإنه ليساري عندي عشرة آلاف دينار، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك إلا بالرهائب، وأمر أن يكتب له نسخة أخرى ويخلد عليها اسمه فابتدأ بذلك، فما أدري أفتت النسخة أم لا؟»^١

وكان كثير من الوراقين ينسبون كتباً إلى أهل العلم ويذيعونها ليتكسبوا من ورائها، ومن ذلك كتاب «الأغاني الكبير» المنسوب إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلية، يقول ابن النديم:

«قرأت بخط أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسدي، حدثني فضل بن محمد البزدي قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلية فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد أعطني كتاب الأغاني، فقال أيا كتاب؟ الكتاب الذي صنفته أو الكتاب الذي صنف لي، يعني بالذي صنفه «كتاب أخبار المغنيين واحدًا واحدًا» والكتاب الذي صنف له «كتاب أخبار الأغاني الكبير» الذي في أيدي الناس.

حدثني أبو الفرج الأصفهاني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال: سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألف أبي هذا الكتاب قط - يعني كتاب الأغاني الكبير - ولا رآه. والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار وما غني فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة المغنيين خطأ، والذي ألفه أبي من دواوين غنائهم يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه ورأف كان لأبي بعد وفاته، سوى الرخصة التي هي أول

^١ ياقوت: معجم الأعيان ١٣: ١٢٥ - ١٢٦.

الكتاب فإن أبي الفها، إلا أن أخبارة كلها من روايتنا. وقال لي أبو الفرج:
هذا سمعته من أبي بكر وكيع حكاية فحفظته واللفظ يزيد وينقص.

وأخبرني جحظة أنه يعرف الوراق الذي وضعه وكان يسمى سندي بن
علي وحانوته في طاق الزبل وكان يورق لإسحاق، وأثقف هو وشريك له علي
وضعه؛ وهذا الكتاب يُعرف في القديم بكتاب السراة وهو أحد عشر جزءاً
ولكل جزء أول يُعرف به، فالجزء الأول من الكتاب «الرخصة» هو تأليف
إسحاق لا شك فيه ولا خلف^١.

ويروي ياقوت عن أبي حيان التوحيدي أن ابن الخراز الوراق ببغداد وأبا بكر
القنطري وأبا الحسين بن الخراساني - وهما ورّاقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة
- حدّثوه أن أبا سعيد السيرافي إذا أراد بيع كتاب - استكتبه بعض تلامذته حرصاً
على النفع منه، ونظراً في رق المعيشة - كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف
منه:

«قال الحسن بن عبدالله: «قد قرئ هذا الكتاب عليّ وصحّ» لِيُشْتَرَى بأكثر
من ثمنه».

وعلق ياقوت على ذلك بأنه يتعارض مع «ما وصفه به الخطيب [البغدادي]
من مشاة الدين وتأليه من أخذ رزق على القضاء وقناعته بما يُحصل من
نسخه»^٢.

وتؤكد لنا النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا من كتاب «المُقْتَضَب»
للمُبرّد، وهي واحدة من أقدم المخطوطات المؤرخة المعروفة ومحفوظة في مكتبة
كوبريلي باستامبول تحت رقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨ وهي أربعة أجزاء في مجلدين،
كلام أبي حيان. فقد كَتَب هذه النسخة أحد تلامذة أبي سعيد السيرافي هو

^١ ابن النديم: الفهرست ١٦٥٨؛ ياقوت: معجم الأدياء ٦: ٥٧ - ٥٨.

^٢ ياقوت: معجم الأدياء ٨: ١٩٠.

مُهَلِّكٌ بن أحمد كتبها ببغداد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة لشخص يدعى أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي، ووَصَفَه القفطي بأنه «صاحب خط منسوب»^١، فقد جاء على صفحة عنوان أجزاء الكتاب الأربعة :

«قرأت هذا الجزء من أوله إلى آخره وأصلحت ما فيه وصحته، فما كان فيه من إصلاح وتخريج يغير خط الكتاب فهو بخطي. وكتب الحسن بن عبدالله السيراقي».

وكتب بجوار ذلك بخط مخالف على غلاف الجزء الثاني :

«خط أبي سعيد أيده الله».

وهذا يعني أن هذه النسخة واحدة من النسخ التي أعطى عليها أبو سعيد السيراقي خطه كما ذكر الوراقون البغداديون. ولكن هل قرأ أبو سعيد السيراقي الكتاب حقاً وصوّبه؟

يقول الشيخ محمد عبدالحالقي عزيمة محقق هذه النسخة رحمه الله : إن تصحيح السيراقي كان أكثره موجهًا إلى ذكر ما سقط من ألفاظها مما يتوقف عليه استقامة الكلام، وقد بلغَ هذا السقط في بعض المواقع ثلاثة سطور. ولم يُعلّق شيئاً له صلة بالناحية الموضوعية ولو كان كلام المبرّد مناقضاً لما قدّمه، ويضيف الشيخ عزيمة أن أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقي صاحب «تفسير المسائل المشكّلة في أول المقتضب» يذكر أنه راجع نسخاً متعددة من المقتضب في بعض المسائل فوجد ألفاظها متفقة في هذه المسألة، ولذلك استبعد أن تكون نسخته قد وقع فيها غلط في ألفاظ هذه المسألة، قال :

«وقد كان بعضهم يذهب إلى أنه غلط وقع في النسخ وهذا عندي لا يصح، لبعد اتفاق مثله حتى تجتمع عليه النسخ كلها من غير أن يكون المُنْهَلِكُ قاله، ولو كان على ما قال لوجب أن يكون بعض النسخ قد جاء على خلاف

^١ القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٩٩٤ الصفدي : الوافي ٩ : ١١٢ .

هذا، ويكون بعضها على الخطأ وبعضها على الصواب، فلما اتفقت على هذا الوجه الواحد علمنا بطلان هذا القول وثبت أن صاحب الكتاب أملاها كذلك^١.

ولم يطلع الفارقي على نسختنا هذه لأن ألفاظها مخالفة لما ذكره من ألفاظ هذه المسألة^٢.

ومن نوادر ما كان يحدث في سوق الوراقين ما رواه ياقوت عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر بن الحشّاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م يقول:

«كان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع من ورقه، وقال: إنه مقطوع ليأخذه بمن بهن^٣».

وكان ذلك لغرابة في أخلاقه فيضيف ياقوت أيضاً أنه كان

«إذا استعار من أحد كتاب وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه^٤».

وكان أبو محمد يحيى بن محمد الأرزني النحوي المتوفى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م

«ملح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب يخدّاد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصيح» للمُلب ويبيعه بنصف دينار ويشترى نيذاً ولحمًا وفاكهة، ولا يبيت حتى يثّق ما معه منه^٥».

^١ الفارقي: تفسير المسائل المشكّلة في أول المقتضب، تحقيق سمير أحمد معلوف، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٣، ٣٢٧.

^٢ محمد عبدالخالق عفيفية: مقدمة المقتضب للمبرد ١: ٨٦ - ٨٧.

^٣ ياقوت: معجم الأدباء، ١٢: ٥١.

^٤ نفسه ١٢: ٥١.

^٥ نفسه ٢٠: ٣٤ - ٣٥.

..*

وفي العصور المتأخرة غلبَ على الوراقين المشتغلين بتجارة الكتب اسم «الكتّبي» وأصبح يقال لهم «الكتّبيون». ومن أشهر هؤلاء الكتّبيين جمال الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المعروف بالوطواط الكتّبي الورّاق المتوفى سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م صاحب كتاب «مباهج الفكر ومناهج العبر» الذي يعد أول موسوعة في سلسلة الموسوعات الضخمة التي ظهرت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. ويدلّ لقب الكتّبي الورّاق المصاحب لاسم الوطواط بوضوح تام على أنه كان من تجار الكتب ونسّاخها وهي أمور تجعله وثيق الصلة بموضوعات الأدب^١. وقد ملّك الصّفدي بخطه «الكامل في التاريخ» لابن الأثير وذكر أنه ناقش المصنف في حواشيه وغلّطه وواخذه^٢.

وكذلك صلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبدالرحمن الدمشقي المعروف بابن شاکر الكتّبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م، يقول ابن حجر العسقلاني:

«كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرزق منها مالا طائلاً»^٣.

وربما كان جنودته خطه ووضوحه وإتقانه في الوراقة جملة - كما يدل عليه نسخة كتابه «فوات الوفيات» التي وصلت إلينا بخطه وهي أربعة أجزاء منها ثلاثة (١، ٢، ٤) محفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢١ وجزؤها الثالث بمكتبة رفاة الطهطاوى بسوهاج، وكذلك أجزاء من «عيون التواريخ» بخطه أيضاً محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٣٧١ تاريخ - سبب

^١ الصّفدي: الرافعي ٢: ١٦ - ١٨ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٨٥ - ٣٨٦ أبو المحاسن: اللبيل الشافعي ٥٧٩.

^٢ الصّفدي: الرافعي ٢: ١٧ وقارن البخاري: الإعلان بالتاريخ ٦٧٣.

^٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ١٧١ ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ٢٠٣.

في إقبال الناس على ما ينسخه من كتب، كما أضاف له حُسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال، فقد وُصف بأنه ذا مروءة في معاملته للناس^١.

ومنذ هذا التاريخ أصبحت أسواق الوراقة تُعرَف بـ «سوق الكتّيبين»، وقد وُصف المقرئ في سوق الكتّيبين في القاهرة بقوله:

«هذا السوق فيما بين الصّاعَة والمدرسة الصّالحية أخذت فيما أظنّ بعد سنة سبعمئة، وهو جار في أوقاف المارستان الحَنُصُوري - وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في أول رُقاق القناديل بجوار دار عمرو - وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمئة وقد دُمّر الآن فلا يعرف موضعه. وكان قد نُقل سوق الكتّيبين من موضعه الآن بالقاهرة إلى قيسارية كانت فيما بين سوق الدّجّاجين المجاور للجامع الأفرع وبين سوق الحُصَريين المجاور للركن المُخَلَّق، وكان يعلو هذه القيسارية ربيع فيه عدة مساكن فتَضَرَّرت الكتب من نداوة أقبية البيوت وقسَدَ بعضها فعادوا إلى سوق الكتب الأول حيث هو الآن. وما برح هذا السوق مَجْمَعاً لأهل العلم يترددون إليه»^٢.

وظلّت تجارة الكتب والوراقة مزدهرة أيضاً في هذه الأسواق التي كانت مراكز للتّسّخ والتّجليد نتيجة للنشاط الثقافي الكبير الذي شهده العصر المملوكي. ولا شك أن المدارس المملوكية هيأت فرصة قيام تجارة نشطة في الكتب لم تكن لتزدهر في هذا العصر بدون هذه المدارس، فعلى سبيل المثال يذكر السّخاوي أن أحمد بن محمد الكتّبي كان يبيع الكتب تحت [المدرسة] الصّرعَتمَشيّة لطلاب المدرسة^٣، ولا شك أنه كان هناك كتّيبون آخرون يقومون بنفس المهمة بالقرب من المدارس الأخرى.

^١ مقدمة إحسان عباس لقوات الوفيات لابن شاكر ٣، وانظر كذلك حبيب زيات: المرجع السابق ٣٢٥.

^٢ المقرئ: الخطط ٢: ١٠٠٢، ١: ٣٧٤ من ٣٢ و ٣٧٥ من ٢٢.

^٣ السّخاوي: الضوء اللامع ٢: ٢٠٧.

الوراقون والعلماء المشهورون بجودة الخط

كانت جودة الخط وصحة النقل ودقة الضبط شروطاً أساسية للنجاح في صناعة الوراقة. وقد بدأت عملية تحسين الخطوط والتأنيق فيها منذ عصر المأمون يقول ابن النديم:

«لم يزل الناس يكتبون على مثال الخط القديم الذي ذكرناه إلى أول الدولة العباسية، فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط. وحدث خط يسمى العراقي وهو المحقق الذي يسمى ورّاق، ولم يزل يزيد ويحسن حتى انتهى الأمر إلى المأمون، فأخذ أصحابه وكتّابه بتجويد خطوطهم فتفاخر الناس في ذلك»^١.

فمنذ هذا العصر أخذت الخطوط تكتسب قيمةً جمالية جديدة على أيدي النساخين والورّاقين حتى أصبحت بغداد في القرن الرابع تباهي بمن فيها من الخطاطين والورّاقين^٢، يقول أبو القاسم البغدادى مفاخرًا أهل أصفهان:

«هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن مثل من أرى ببغداد من الورّاقين والخطاطين؟»^٣.

وكان للخط الكوفي الذي نشأ في العراق سلالتان إحداهما بها مسحة من الترييع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن تجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى الترييع والزوايا استخدمت في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، والأخرى أخف وأكثر تدويراً استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن، وهو ما عُرف بالمحقق الورّاقى أو خط التحرير الذي استخدمه الورّاقون في النسخ؛ وهذا النوع من الخطوط هو الذي نال تجويداً ظاهراً فيما بعد على يد كل من ابن مقلة وعلي بن هلال النّوّاب^٤.

^١ ابن النديم: الفهرست ١١، وانظر فيما سبق ص ٥٥.

^٢ عبد الستار الخلوji: المرجع السابق ١١٩.

^٣ حكاية أبي القاسم البغدادى ٢٤.

^٤ انظر فيما سبق ص ٥١.

وقد بدأت عملية تطوير خط كتابة الكتب مع نشأة حركة التأليف والترجمة ومع إنشاء خزائن الكتب الكبرى، والتي كانت تزود بالكتب عن طريق وحيد هو النسخ، فبدأت حرفة الوراقة لاستنساخ الكتب بالأجرة وهي حرفة كانت تفرض على صاحبها أن يكون مليح الخط صحيح الضبط واسع العلم. وقد طوّر هؤلاء الورّاقون الخط المعروف بالمُحَقَّق الورّاقِي والذي خُصَّص لنسخ الكتب في القرنين الثالث والرابع الهجري. وكان يلزم على الناسخ وهو ينسخ الكتب وخاصة ما يتعلّق منها باللغة والأدب مراعاة الدقة في قواعد الإملاء وأن يكون على إحاطة تامة بأمور التدوين والرواية في مختلف أدوارها^١. وقد تحقّقت هذه الصفات في الورّاقين والنّساخ الذين يمكن أن نُطلق عليهم «النّساخ العلماء»، وأغلبهم من علماء اللغة والأدب مثل: عبدالله بن محمد بن وداع الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، وأبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأخوَل النّاسخ الذي «كان ناسخاً غزير العلم واسع الفهم جيد الرواية حسن الدراية...» وكان يُورق لحنين بن إسحاق المتطّيب في منقولاته لعلوم الأوائل... وكان يكتب كل مائة ورقة بعشرين درهماً^٢، وأبو موسى سليمان بن محمد الحامض المتوفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبيد الأسدي المعروف بابن الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨هـ/٩٦٠م، وأبو الحسن علي بن محمد بن الخلال الأديب النّاسخ المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وأبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السّمسَمي [السّمسَماني] المتوفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م.

وكان من بين الذين ربطوا ابن مُقَلَّة بابن البواب مجموعة من النّساخ العلماء تفرّقوا في كتابة الخط الورّاقِي ونشأوا جميعهم في العراق مثل أبو الطيب أحمد ابن أحمد بن أخي الشافعي الذي وصلت إلينا نسخة بخطه من «ديوان الفرزدق»

^١ درمان: المرجع السابق ٢٢.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٢٥ و ١٢٦، الصلبي: الوافي بالوفيات ٢: ٣٤٤ و ٣٤٥.

نقلها عن نسخة بخط أبي سعيد السُّكْرِي وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٨٨٠٠، ومُهَلَّل بن أحمد أحد تلاميذ أبي سعيد السُّكْرِي الذي كَتَبَ في بغداد سنة ٣٤٧هـ نسخة كتاب «المُقْتَضَب» للمُبَرِّد المحفوظة الآن في مكتبة كوبريلي في استانبول برقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨. وقد اقترن اسم مُهَلَّل بابن مُقَلَّة وأصبح يضرب المثل بمن يكتبون الخط المنسوب بأنهم يكتبون مثل خط ابن مُقَلَّة ومُهَلَّل واليزيدي^١، وقد عَظَّم العلماء الكتب التي نَسَخَهَا هذا العالم الخطاط حيث أشار عبد القادر البغدادي إلى أن بحوزته شرحين على «ديوان زهير ابن أبي سلمى» أحدهما بخط مُهَلَّل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب^٢. أما أبو عبد الله محمد بن أسد البَزْكَاز شيخ ابن اليُوبَاء فقد وصلت إلينا بخطه نسخة من كتاب «الأمالي» لأبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م كتبها عام ٣٧٠هـ وهي محفوظة في مكتبة عائشة أفندي بالسليمانية باستانبول تحت رقم ٩٠٤؛ وقد ذكر المؤلف المجهول صاحب الرسالة في الكتابة المنسوبة أن محمد بن أسد كان «يُنَسِّخُ الدواوين ومجاميع الشعر بِنَسْخٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمُحَقَّقِ»^٣ وتُمَثِّلُ النَسْخَ التي كتبها بخطه علي بن شاذان الرازي ووَصَلَ إلينا منها مصحفٌ محفوظٌ في مكتبة جامعة استانبول برقم A6778 مؤرخ سنة ٣٦١هـ ونسخة من «طبقات اللغويين والنحويين» لأبي سعيد السُّكْرِي محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا بالسليمانية باستانبول تحت رقم ١٨٤٢ ومؤرخة سنة

^١ الثعالبي: بَيِّنَةُ الدَّهْرِ ٤ : ٤٠٦.

^٢ البغدادي: خَزَانَةُ الْأَدَب ٢ : ٣٣٤، وانظر مقال رمضان ششن الذي عرض فيه إلى خصائص كتابة أربع من المخطوطات المكتوبة في القرن الرابع الهجري هي: «المدخل في علم أحكام النجوم» لأبي مُشْتَرِ الْبَلْخِي نسخة مكتبة جلال الله رقم ١٥٠٨، و«المُقْتَضَب» للمُبَرِّد نسخة كوبريلي رقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨، ونسخة تحتوي على ثلاث رسائل في الفلك لثابت بن قُرَّة في مكتبة كوبريلي أيضا برقم ٩٤٨، ثم أقدم نسخ كتاب «الصناعتين» لأبي هلال السُّكْرِي وهي النسخة التي كتبها بخطه في مكتبة كوبريلي برقم ٣٣٥ Ramazan Sesen, «Les caractéristiques de l'écriture de quatre manuscrits du IV^e s H.J.» (X^e A.D.), dans *Les manuscrits du Moyen-Orient*, pp. 45-48.

^٣ خليل محمود عسائر: رسالة في الكتابة المنسوبة ١٢٦.

٣٧٦هـ، وكذلك نسخة كتاب «حَذَفَ من تَسَبُّبِ قريش» عن مُؤَرِّجِ السِّدُوسِي والتي كتبها أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله التَّجِيرَمِي المتوفى سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م نموذجاً للخط الذي اصطلح على تسميته بالخط شبيه الكوفي أو الخط الكوفي الشرقي، فقد تقطعت فيه الألفاظ وشكَّلت الحروف بالشكل الكامل بالطريقة المتبعة الآن. وهذه المخطوطات بخطها وشكلها ورسمها وعلاماتها الفارقة تعد وثيقة من الطراز الأول لدراسة علم تطور الخط العربي.

ومن التُّسَاخِ العلماء كذلك إسماعيل بن حَمَّاد الجَوْهَرِي المتوفى بعد سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م، قال عنه الثعالبي:

«وخطه يُقَسَّرُ به المثل في الحُسْنِ ويُذَكَّرُ في الخُطُوطِ المنسوبة كخط ابن

مُقَلَّة ومُهَلَّهَل واليزيدي»^١.

وقد تَعَلَّمَ الجَوْهَرِي الخط في بغداد ثم انتقل إلى نيسابور وأقام بها مدة، كما يقول الثعالبي، «على التدريس وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف والدفاتر اللطاف»^٢، فكان الجوهري أول من حَمَلَ إلى الشرق طريقة ابن مُقَلَّة ونَشَرَهَا هناك^٣، ولم يصل إلينا للأسف أي كتاب أو مصحف بخط الجَوْهَرِي.

أما مدرسة ابن اليَوَّاب فقد استمر تأثيرها أكثر من ثلاثة قرون حتى ظهور ياقوت المستعصمي وَصَلَّتْ إلينا نماذج كثيرة بالخط الذي طَوَّرَهُ ابن اليَوَّاب واستُخْدِمَ في نَسْخِ الكتب. ومن بين الذين حَاكُوا أسلوب ابن اليَوَّاب وحملوا خصائص مدرسته من التُّسَاخِ العلماء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق الديتوري المعروف بابن الخازن المتوفى سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، قال عنه ابن خَلِّكَان:

«كان فاضلاً نادرة في الخط أُوْحِدَ وقته فيه»^٤.

^١ الثعالبي: بَيْعَةُ الدُّعَا ٤ : ٤٠٦.

^٢ نفسه ٤ : ٤٠٧.

^٣ درمان: المَرْجِعُ السَّابِقُ ٢٢.

^٤ ابن خَلِّكَان: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١ : ١٤٩.

وأبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ١١٤٤هـ/ ١١٤٤م، قال عنه ياقوت:

«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمقالة به»^١.

ووصل إلينا نموذج بخطه هو مجموعة في اللغة كتبها سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م محفوظة الآن في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Esc. 1705، ونسخة من تفسير غريب القرآن لأبي بكر السجستاني كتبها أيضاً سنة ٤٩٩هـ محفوظة في مكتبة شيسبرتي برقم ٣٠٠٩، توضح لنا تطور خط نسخ الكتب بين القرن الرابع والقرن الخامس على طرية ابن البواب.

ومع نهاية القرن السابع الهجري أخذ أسلوب ياقوت المستعصمي محلّ طريقة ابن البواب وأسلوبه وعلى الأخص في كتابة الخط الوراقى وحكّت مصر محل بغداد والعراق في فنون الخط العربي، وعرفت العديد من النسخ العلماء يأتي في مقدمتهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب التويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م، صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»، قال عنه أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي:

«كان فقيهاً فاضلاً مؤرخاً بارعاً، وله مشاركة جيّدة في علوم كثيرة وكتب

الخط المنسوب. قبل إنه كتب «صحيح البخاري» ثماني مرات وكان يبيع كل

نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث

كراريس»^٢.

وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» الذي «كتب الخط المنسوب»^٣. ووصل إلينا من خطه نماذج كثيرة في شكل مسودات ومبعضات وتعلّكات وسماعات وقراءات وإجازات على أغلفة الكتب.

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٩ : ٣٠٥ : القفطي : إنباء الرواد ٣ : ٣٣٥.

^٢ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ : ٢٩٩.

^٣ أبو المحاسن : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٥ : ٢٤٢.

ويعُدُّ محمد بن إسحاق النديم وياقوت الحموي أشهر الورّاقين العرب الذين ذاعت شهرتهم واستمرت إلى وقتنا هذا.

فقد كان أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم الورّاق يتاجر في الكتب في بغداد مما أتاح له التعامل مع العديد من النسخ العتيقة والاطلاع على الكثير من المؤلفات التي يسّرت له تأليف كتابه «الفهرست» - الذي بدأ في تأليفه عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م - ويعتد أول محاولة من نوعها لعرض تاريخ الأدب العربي، وأصبح منذ ذلك الوقت المصدر الرئيسي لمعرفة مصادر الأدب والعلم في القرون الأربعة الأولى للإسلام^١.

أما ياقوت الحموي (٥٧٥ - ٦٢٦هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٩م) فقد كان في الأصل عبداً رقيقاً ولم يبدأ اشتغاله في الكتب وتجارتها إلا في عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩م بعد وفاة سيده وإعتاقه له. ومنذ تلك اللحظة استقر في بغداد واحترف مهنة نسخ الكتب بالأجرة والاتجار فيها، مما ساعده على تحصيل فوائد كثيرة ضمنتها في كتابيه «معجم الأدياء» و«معجم البلدان»^٢.

ويُبلّغ من معرفة ياقوت الحموي بخطوط القدماء وإلفه بها أنه كان يتعرّف عليها حتى ولو لم يذكر ذلك يقول:

«وقرأت بخط [الحسن بن علي] ابن أبي سالم الذي لا أرتاب فيه»^٣.

وفي موضع آخر:

«قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب فيه»^٤.

وفي موضع ثالث:

«قال أبو حيان [النوحدي] في كتاب «تقريب الجاحظ» ومن خطه الذي لا

أرتاب فيه نقلت»^٥.

^١ انظر فيما تقدم ص ٩٨ - ٩٩.

^٢ انظر فيما تقدم ص ١٠٠.

^٣ ياقوت: معجم الأدياء: ٩، ٧٧: ٥، ١٠٨.

^٤ نفسه: ٧: ٢٥٣.

^٥ نفسه: ٣: ٨، ٢٧: ٨، ١٥٠: ١٦، ٧٨: ٩٥، ١٠١.

كذلك فقد ذكر ياقوت أنه شاهد على نسخة الحاكم أبي سعيد بن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي سماعات بخطوط عدد من العلماء ثم قال :

«ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشك فيه»^١.

وقد حفظ لنا كل من ابن التديم وياقوت الحموي والقفطي وابن أبي أصيبعة والصفدي أخبار الوراقين الذين اشتهروا بحسن الخط وضبطه ورغبة الناس في اقتنائه حتى قرب نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، فمنهم :

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن توزون [توزون] الطبري النحوي المتوفى سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦ م. قال ياقوت :

«سكن بغداد وصحب أبا عمر الزاهد وكتب عنه كتاب الياقوتة

وكان صحيح النقل جيد الخط والضبط».

وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمر الزاهد^٢.

وقال القفطي :

«كان يكتب خطاً حسناً صحيحاً يتنافس في تحصيله الرغبة في الأدب»^٣

وقد ملك القفطي كتاباً لابن درستويه في الكلام على نسبة كتاب «العَيْن»

للخليل بن أحمد بخط توزون هذا^٤.

أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن حيش التَّجَرُّمِي [قال السمعاني نسبة إلى تَجَرَّم

محلة بالبصرة وقال ياقوت : تَجَرَّم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس والتجار وأهلها يقولون نريم فيسقطون

الجيم تخفيفاً] البغدادي النحوي الكاتب المتوفى سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤ م^٥.

^١ ياقوت : معجم الأديباء ٦ : ٦٤ .

^٢ نفسه ٦ : ١١٠ + الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ٣٠٧ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٥٩ .

^٤ نفسه ١ : ٣٤٣ .

^٥ ياقوت : معجم الأديباء ١ : ١٩٨ + القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٧٠ + الصفدي : الوافي ٦ : ٣٤٤ + المقرئ : الملقى الكبير ١ : ٢٣٩ + السيوطي : بغية الوعاة ١ : ١٨١ .

كان من أصحاب الزّجاج النحوي وروى عن أبي خليفة وغيره، وروى عنه أبو عمران موسى بن عيسى، ورُحِّلَ من بغداد إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي واتَّصَلَ به وكان يحترمه.

وألَّفَ النّجّيرمي تواليف عدة منها كتاب «الفوائد» الذي نقل عنه السيوطي في «المزهر» عن نسخة بخط النّجّيرمي نفسه^١.

وقد وصّل إلينا من خط النّجّيرمي النسخة الوحيدة من كتاب «حذف من نسب قريش» عن مؤرّج بن عمرو السّدوسي.

وكانت هذه النسخة من بين كتب خزانة الفاطميين في مصر، فنجد في رأس صفحة العنوان.

«للخزانة السعيدة الظافرية عمرها الله بدائم العز والبقاء».

والخزانة الظافرية نسبة إلى الظافر بأمر الله أحد الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ). ثم انتقلت هذه النسخة في تاريخ مجهول إلى المغرب الأقصى فأوقفت على زاوية الناصري بتامكروود في جنوب المغرب ثم انتقلت إلى الخزانة العامة بالرباط واستقرت بها الآن. وجاء في ختام هذه النسخة:

«تم الكتاب، وكتب إبراهيم بن عبدالله بن محمد النّجّيرمي الورّاق».

ووصف الدكتور صلاح الدين المنجد، الذي قام بنشر الكتاب، النسخة وخطها بقوله:

«كتبت النسخة بالخط الكوفي اللّين، على الشكل الذي ظهر في القرن الثالث فكان مرحلة تطوّر نحو النسخ. وتقطعت الألفاظ وشكلت الحروف بالشكل الكامل. وخشية وقوع التباس في الحروف فقد ميّز الكاتب بعض الحروف من بعض بعلامات صغيرة فارقة، وأكثر من وضع حرف صاد صغير فوق الكلمات دلالة على أنها صحيحة. والنسخة بخطها وشكلها ورسمها

^١ السيوطي: المزهر ٢: ٣٠٤، ٣١٩، ٣٢٧.

وعلاقتها الفارقة تعتبر وثيقة من الطراز الأول للدراسة علم تطور الخط العربي (اليوغرافيا)^١.

إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك، قال ابن التديم :

«كان جماعة للكتب صحيح الخط صادق الرواية»^٢.

ورأى ابن التديم بخطه كتاب «النوادر» لأبي اليقظان سحيم بن حنص السبابة^٣.

أبو الحسن أحمد بن إبراهيم اللغوي أستاذ أبي العباس ثعلب، قال ابن التديم :

«وخطه يرغب فيه ولا مصنف له»^٤.

أبو العلي أحمد بن أحمد بن أخى الشافعي المتوفى بعد سنة ٣٣١هـ / ٩٤٣م قال ياقوت :

«رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ورأيت خطه وليس بجيد المنظر ولكنه شقن الضبط، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، ولكنني وجدت خطه في آخر كتاب وقد قال فيه :

«كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخى الشافعي ورافق ابن عيّدوس الجهمياري»^٥.

(ووصل إلينا نموذج خطه كتيبه سنة ٣٣١هـ شرح ديوان الفرزدق) محفوظ في المكتبة الظاهرية برقم ٨٨٠٠ ونشره بطريقة الفاكسميلي شاكركم القحّام، دمشق - مجمع اللغة العربية (١٩٦٥).

^١ صلاح الدين الشجد : مقدمة حذف من نسب قريش لمؤرخ السدوسي ١٢ - ١٣ .

^٢ ابن التديم : القهرست ٨٧، القفطي : إنباء الرواة ١ : ١٨٥ .

^٣ نفسه ٩٦ ، ١٠٧ .

^٤ نفسه ٨٨ .

^٥ ياقوت : معجم الأدياء ٢ : ١٣٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٦ : ٢٢٩ .

جاء في آخره

«وكتب أحمد بن أحمد وراق أبي عبدالله بن عبدوس»

وعلى يساره

«نسخته من خط السكري»

وعلى يمينه

«قابلت أحمد بن أحمد وكتب علي بن عيسى التحوي بخطه

في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة»

وعلى نفس الصفحة

«قابلت به نسختي وكتب نصر الله بن حمزة

قابلت به نسختي وكتب إبراهيم بن بشاذ»

ووقف ابن النديم على كتاب «أخبار علماء الكوفة» بخطه ونقل عنه بقوله :

«قرأت بخط أبي الطيب [بن] أخي الشافعي»^١.

كما رأى عدة أجزاء من كتاب في السمر لا بن عبدوس الجهشياري يحوي
أربعمائة ليلة وثمانون ليلة بخط أبي الطيب [بن] أخي الشافعي^٢.

أبو العباس أحمد بن مختار بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الواسطي المعروف
بـابن التناهي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م، قال الصفدي :

«وكي الإعادة بالنظامية، وكتب بخطه الكتب المطبوعة من الفقه والحديث
والتاريخ، وكان يكتب خطاً حسناً صحيحاً . . . وله اليد البسيطة في كتب
السجلات والكتب الحكمية»^٣.

^١ ابن النديم : الفهرست، ٧١، ٧٢، ٧٨، ١٠٤، القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٠٠، ١٠٤.

^٢ نفسه ٣٦٤، الصفدي : الوافي ٣ : ٢٠٥.

^٣ الصفدي : الوافي ٦ : ٢٦٢ وقارن باقرت : معجم الأدباء ٢ : ٢٢٢.

ووصل إلينا من خط ابن بختيار نسخة من كتاب «جُمهُرَة نَسَب قُرَيش وأخبارها» للزبير بن بكار كانت في الأصل في ثلاثة وعشرين جزءاً الموجود منها من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين كل جزء منها في كراسة أي في عشرين ورقة إلا الجزأين الحادي والعشرين والثاني والعشرين فعدد أوراق كل جزء منها ١٨ ورقة، وأما الجزء الثالث والعشرون فهو عشر ورقات. والنسخة محفوظة في مكتبة أكسفورد تحت رقم March 384 وجاء بآخرها:

«فرغ من كتابه أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن المندائي الواسطي في سابع شعبان من سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمدينة السلام حماها الله».

وكتب ابن بختيار هذه النسخة قبل وفاته بأقل من خمس سنوات وهو في نحو الثانية والسبعين من عمره فموالده كان في سنة ٤٧٦ هـ نسخها من نسخة أبي الفضل ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي وقرأها عليه ثم عارضها بالأصل، ونسخة أبي الفضل نسخة مؤثقة مسندة فيها سماع شيوخه وسماعه عنهم^١.

أحمد بن بشر بن علي التميمي يعرف بابن الأقبس المتوفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٨ م، قال ياقوت:

«كان حافظاً للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والخطيب للكتب»^٢.

أبو بكر أحمد بن جابر كان شيخاً فاضلاً في الطب . . . وخدم المستنصر بالله بالطب وأدرك صدرًا من دولة المؤيد، وكان أولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان أدبياً فهماً وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب والمجامع والفلسفة وعمر زماناً طويلاً»^٣.

^١ مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب الجُمهُرَة ٢٠ - ٢٣.

^٢ ياقوت: معجم الأدياء ٢ : ٢٣٥، الصقدي: الوافي ٦ : ٢٦٥.

^٣ ابن أبي أصيبعة: حبر الأقباء ١ : ٥٦.

أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الغفاري. قال
ياقوت:

«له خط يزري بخط ابن مقله على طريقته»^١.

أبو الحسين أحمد بن سليمان الأسدي المَعْبُدي أحد العلماء المشاهير الثقات، قال
ابن النديم:

«وخطه يُرَقَّب فيه»^٢.

تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن محمد بن سليم القيسي النحوي
المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م في طاعون مصر، قال الصفدي:
«نقلت هذه النسبة من خطه»^٣.

وقال ابن حجر العسقلاني:

«جمع كتاباً حافلاً سمّاه «الجَمْعُ المتناه» في أخبار النحاة» رأيت منه الكثير
بخطه من ذلك مجلدة في الحمدتين خاصة. وقلّ ما وقفت على كتاب من
الكتب الأدبية من شعر وتاريخ ونحو ذلك إلا وعليه ترجمة مصنف ذلك
الكتاب بخط ابن مكتوم»^٤.

مثل ما ورد بأول نسخة «النخبة من مشبه النسبة» لإسماعيل بن هبة الله بن محمد
الموصللي الشاطبي المعروف بابن باطيش المتوفى سنة ٦٥٥هـ المحفوظة في خزانة جامع القرويين
بفاس بالمغرب تحت رقم ١٧٣ / ٨٠ حيث سجل ابن مكتوم ترجمة بخطه لابن باطيش.
وجاء في آخر نسخة «إنباء الرواة» للقفطي المحفوظة في مكتبة فيض الله
بإستامبول تحت رقم ١٣٨٢ (مصورة في دار الكتب المصرية برقم ١١٦٠٤ ح) والموجود منها
فقط الجزأين الرابع والخامس وهي بخط محمود بن علي بن محمد المعروف بابن
اليمني المعلم كتبها سنة ٦٤٦هـ:

«لخص هذا المجلد لنفسه أحمد بن مكتوم القيسي».

^١ ياقوت: معجم الأدباء ٢: ٢٠٢.

^٢ ابن النديم: الفهرست ٨٧.

^٣ الصفدي: الوافي ٧: ٧٤.

^٤ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ١٨٧.

وتوجد نسخة من هذا الملخص بخط ابن مكتوم نفسه محفوظة في المكتبة التيمورية برقم ٢٠٦٩ تاريخ (ومصورة يدار الكتب المصرية برقم ١٩٥٨ ح).

كذلك فإن نسخة كتاب «الإيناس في علم الأنساب» للوزير المغربي المحفوظة في المكتبة التيمورية رقم ٢٢٥٧ تاريخ كتبها أحمد بن عبد القادر بن مكتوم نقلا عن أصل بخط الحافظ زكي الدين المنذري، وجاء في آخرها: «كتبه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد القادر بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي عفى الله عنه وغفر له ولوالديه وجميع المسلمين».

ووصل إلينا بخطه أيضا نسخة من كتاب «الاشتقاق» لابن دريد محفوظة في الخزنة العامة بالرباط برقم ١٧٣ ق. ووقف له الصفدي على كتاب «الدّر اللقيط من البحر المحيط» في تفسير القرآن، قال:

«وهو كتاب ملكته بخطه في مجلدين النقط فيه «إعراب المحيط» تصنيف شيخنا أمير الدين، فجاء في غاية الحسن وقد اشتهر هذا الكتاب»^١.

أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هشام بن الخطّبة اللّخمي القاسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م. قال القفطي:

«كان خطه صحيحا كتب جملة من كتب الآداب والفقه والحديث، وخطه مرغوب فيه من أئمة العلم بمصر لصحته وتحقيق»^٢. وقال الصفدي:

«نسخ الكثير بالأجرة وكان جيّد الضبط وليس خطه بالطائل... وعلم زوجته وأبنته الكتابة فكانتا تكتبان مثل خطه سواء، فإذا شرعوا في نسخ كتاب أخذ كل واحد جزءا وكتبوه فلا يُفرق بين خطهم إلا الحاذق، وخطه معروف»^٣.

^١ الصفدي: الوافي بالرفعات ٧: ٧٤ - ٧٥.

^٢ القفطي: إنباء الرواه ١: ٣٩.

^٣ الصفدي: الوافي ٧: ١٢١ - ١٢٢، ابن الجزري: غاية النهاية ١: ٧١.

مرغوب فيه لصحته . وقد رأيت بخطه كثيراً من كتب الأدب^١ .

أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقاني القرني توفي في الثاني والعشرين من صفر سنة ستين وأربعمائة بأصبهان / ١٠٦٧ م . .

قال السمعاني :

«كتب بنفسه الكثير وكان حسن الخط دقيقه»^٢ .

أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة المعروف بابن شرّام القسّاني المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م .

أحد النحاة المشهورين بالشام صاحب أبا القاسم الرّجّاجي وأخذ عنه وكتب تصانيفه . قال ياقوت :

« وكان جيّد الخط والقُصْبُ صحيح الكتابة وَجَدْتُ خَطَهُ فِي كِتَابِ أَمَالِي الرّجّاجي وقد قرع من كتابتها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة »^٣ .

وقال القفطي :

« كتب بخطه الكتب الأدبية ، وكان خطاً حسناً صحيحاً . . . ورأيت منه من «أمالى أبي القاسم الرّجّاجي» وتصفحته فكان محكم الصحة »^٤ .

أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن دُلُوْه الامتواني مات فيما ذكره الخطيب سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٣ م + قال ياقوت :

« كان الدّلُوْي أدبياً قاضلاً وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه وكان صحيح النقل جيد القُصْبُ معتبر الخط في الغالب »^١ .

أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي غَمِيصَة الحرّمي المكي المعروف بابن أبي الملاء ، قال ابن النديم :

^١ ياقوت : معجم الأدياء ٤ : ١٠٠ - ١٠١ + الصفدي : الوافي ٧ : ٢٨٨ .

^٢ نفسه ٤ : ٢٦٣ + نفسه ٧ : ٣٢٨ .

^٣ القفطي : إنباء ١ : ١٠٤ .

^٤ ياقوت : معجم الأدياء ٣ : ٣٩ + الصفدي : الوافي ٣ : ٣٥١ .

«أحد العلماء ويرغب في خطه لضبطه وكان أخبارياً»^١.

وقال القفطي:

«له خط حسن يرغب فيه لجودة ضبطه . وكان أخبارياً ورأيت من
«المؤلفيات» للزبير بن بكار جزءاً بخطه وهو على نهاية الصحة وحسن
الترصيع»^٢.

أحمد بن محمد بن بنت الشافعي. قال ياقوت:

«صحيح الخط متقن الضبط من أهل الأدب يُعتمد على خطه وضبطه . لا
أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه بكتاب «تفسير القرآن» لابن جرير الطبري
وقد ذكر عند خاتمه

وكتبه أحمد بن محمد بن بنت الشافعي وراق الجهنشيري»^٣.

أحمد بن محمد بن الحسن الخلال الوراق الأديب. قال ياقوت:

«صاحب الخط المليح الراق والضبط المتقن الفائق أظنه ابن أبي الغنائم
الأديب . وجدت خطه على كتاب من كتبه سنة خمس وستين وثلاثمائة»^٤.

أبو بكر أحمد بن محمد بن سعيد بن هبيل الله بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم الوراق
القرشي وراق الخافظ أبي الحسن أحمد بن عمير المعروف بابن قُطَيْس توفي في
شوال سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م . قال ابن عساكر:

«هو صاحب الخط الحسن المشهور».

^١ ابن التميمي : الفهرست، ٨٩.

^٢ القفطي : إنباء الرواة ١ : ٣٣٨.

^٣ الصقلي : الوراق ٧ : ٣٥١.

^٤ ياقوت : معجم الأديباء ٤ : ٢٦٤ ، ونظر ١٤ : ٢٤٥ .

وقد ذكره عبد العزيز الكتاني وقال :

«كان ثقة مأموناً يورق للناس بدمشق له خطٌ حسن».

وقال ياقوت :

«... فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط أما أنا فلم أر من

خطه شيئاً»^١.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي الطليطلي المعروف بابن ميمون

المتوفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، قال ابن بشكوال :

«جَمَعَ من الكتب كثيراً في كل فن وكانت جلها بخط يده، وكانت متنتجة مضبوطة صحاحاً أمهات لا يدع فيها شبهة مهمة وقل ما يجوز عليه فيها خطأ ولا وهم، وكان لا يزال ينتسخ ما يجده في كتبه من السقط والحلل بزيادة في اللفظ أو نقصان منه فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب. وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصبح كتب بطليلة»^٢.

أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن تيهان الدمشقي المعروف بابن الجوهري

المتوفى سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، قال الذهبي في "العبر" :

«رحل إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين [وستمائة] وكتب الكثير واستنسخ وحصل، وكان زكياً متقناً رئيساً ثقة»^٣.

وأضاف في "تذكرة الحفاظ" :

«وكتب ما لا يُوصف كثرة واستنسخ وأنفق ميراثه في طلب هذا الشأن... وكان قليل الضبط»^٤.

^١ ياقوت : معجم الأدياء ٤ : ٢٣٨، ٢٣٩، الصفدي : قراني ٧ : ٤٠٣.

^٢ ابن بشكوال : الفصلة ٢٧.

^٣ الذهبي : العبر في خبر من خبر ٥ : ١٧٥.

^٤ الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٥٩.

وقال الصفدي :

«رَحَّلَ وَسَهَرَ وَكَتَبَ الكثير وَحَصَّلَ ما لم يحصله غيره»^١.

شهناز الدين أبو الحسن أحمد بن منير بن مُفلح الرِّفَاء الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م.

شاعرٌ مشهورٌ كان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان^٢.

وَصَلَّ إلينا بخطه نسخة كتاب الشعر (أو إيضاح الشعر) لأبي علي الفارسي المحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٣١٨٠، وهي بخط نسخي متقن مضبوط بالشكل الكامل، وجاء بأخرها :

«هذا آخر ما عمله أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه

الله .

نسخته من نسخة مقابلة على أصل المصنف، ووافق الفراغ من نقله يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وكتب أحمد بن منير بن أحمد بن مُفلح الطرابلسي حامداً لله تعالى ومصلياً على سيد الأولين والآخرين محمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا».

(ومن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناسي الكتاب في القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٨٨)

متحجب الدين أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد العجلي المتوفى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، قال ابن خلكان :

«كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة لا يأكل إلا من كَسَبَ يده وكان يُورَق ويبيع ما يتقوت به»^٣.

^١ الصفدي : الوافي بالوفيات ٨ : ١٦٧ .

^٢ العماد الكاتب : غريدة القصر (قسم الشام) ١ : ٧٦ ، ٩٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ١٥٦ -

١٦٠ ؛ الصفدي : الوافي ٨ : ١٩٣ - ١٩٧ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ١ : ٦٩٢ - ٦٩٣ .

^٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٨ .

أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبد الله الكاتب المتوفى بعد سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م. لم يترجمه أحد من المتقدمين.

وصل إلينا بخطه نسخة «أمالى ابن الشجرى» المحفوظة بمكتبة راغب باشا باستانبول تحت رقم ١٠٧١، ١٠٧٢. وهي مكتوبة بخط نسخي نفيس جداً وضبطت بالشكل الكامل ضبطاً صحيحاً متقناً. وجاء بأخرها:

«تحت الأمالى التى أملاها الشريف النقيب ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي الشجرى البغدادي رحمه الله.

وكتب أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبد الله في شهر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حامداً الله تعالى على نعمه ومصلياً على خيرته من خلفه محمد النبي وعلى آله وصحبه ومسلميها وحسينا الله ونعم الوكيل. بَلَّغَ العرض على أصله المنقول منه فصيحاً والله الموفق».

(وعن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناحي الكتاب في القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٩٢)

وكذلك نسخة «شرح ديوان هذيل» المسمى «التمام في تفسير أشعار هذيل» مما أغفله السُّكَّرِي، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢هـ. المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد برقم ٥٦٥٧، وهي مكتوبة بقلم نسخي جيد مشكول وفرغ من كتابتها سنة ٥٨٠هـ.

(وعن هذه النسخة نشر أحمد مقلوب وخديجة الحديدي وأحمد ناجي القيسي الكتاب في بغداد - مطبعة

العامي ١٩٦٢)

أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري صاحب كتاب «الصَّحاح في اللغة» الذي يُضْرَبُ به المثل في حفظ اللغة وحسن الكتابة المتوفى بعد سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م. قال الثعالبي:

«إمام في علم اللغة، وَخَطُّهُ يُضْرَبُ به المثل في الحسن ويُذكَر في المخطوط المنسوبة كخط ابن مقلة ومُهَلَّهْل واليزيدي»^١.

^١ الثعالبي: نتيحة الدرر ٤: ٤٠٦، القطعي: إنباء الرواة ١: ١٩٤، الصفي: الوافي ٩: ١١٢.

وقال ياقوت :

«إمام في علم اللغة والأدب له عَظْمٌ يضرب به المثل في الجودة لا يكاد يُفَرَّقُ بينه وبين خط أبي عبد الله بن مُقَلَّة»^١.
و«أقام بنيسابور على التدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر»^٢.

وقال الصفدي :

«يُذَكَّرُ خطه مع خط ابن مقلة ومُهلَّك واليزيدي وهو ابن أخت إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب»^٣.

أبو محمد إسماعيل بن مَوْهوب بن أحمد بن الجَوَالِيقِي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ /

١١٧٩ م، قال ياقوت :

«كان مليح الخط جَيِّد الضَّبْط يشبه خطه خط والده»^٤.

وملك الصفدي «شَرْحُ اللَّمَعِ» لِلثَّعَالِبِيِّ بخطه قال :

«وهو مجلدة واحدة في غاية الحسن وصحة الضبط قُلَّ أَنْ رَأَيْتُ مثله»^٥.

ونسخة كتاب «شرح اللَّمَعِ في النحو» لابن جنِّي المخرطة في مكتبة تيره بحبيب باشا باستنبول تحت رقم ٥١٦ كتبها إسماعيل بن مَوْهوب الجَوَالِيقِي سنة تسع وستين وخمسمائة .

البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى المَهَلْبِي المكي ثم القوسي المصري الشاعر

المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، قال الصفدي :

«وكتابه جيدة قوية مصقولة مليحة منسوبة، رأيت بخطه نسختين من

الأمثال للمَيْدَانِي . وخطه عندي على بعض مجلداته»^٦.

١ ياقوت : معجم الأدياء ٦ : ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ نفسه ٦ : ١٥٣ : الثعالي : بنية الدهر ٤ : ٤٠٧ .

٣ الصفدي : الوافي ٩ : ١١٢ .

٤ ياقوت : معجم الأدياء ٧ : ٤٥ .

٥ الصفدي : الوافي ٩ : ٢٣٠ .

٦ نفسه ٤ : ٣٣٧ .

أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م،
قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا من خطوط الأوائل، وهو أقرب خط إلى الصحة.
وكتب الكثير»^١.

وقال ياقوت:

«وجدت خطه على كتاب «تبيين» قدامة بن جعفر وفي «نقد الشعر» وقد
آلفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وقد قرأه عليه وكتب خطه في
سنة خمس وستين وثلاثمائة»^٢.

أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن بن العلاء السُّكْرِي النحوي
المتوفى سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، قال ابن النديم:

«كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام مرغوبًا في خطه لصحته . . .
وعمل أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل»^٣.

وقال ياقوت:

«كان أبو سعيد السُّكْرِي كثير الكتُب جدًا، فكتب بيده مالم يكتبه أحد»^٤.

وقد وقَّع ابن النديم على العديد من الكتب التي كتبها بخطه منها: «غريب
الحديث» للأصمعي في نحو مائتي ورقة و«كتاب الذباب» لابن الأعرابي وكتاب
«الأثواء» لأبي الهيثم الرازي في نحو عشرين ورقة وكتاب «النساء» لأبي عمر
العمري وكتاب «النحل» للزبير بن بكار»^٥.

١. القفطي: إنباء الرواة ١: ١٨٧.

٢. ياقوت: معجم الأدباء ٨: ٧٧.

٣. ابن النديم: الفهرست ١٨٦ القفطي: إنباء الرواة ١: ٢٩٢.

٤. ياقوت: معجم الأدباء ٥: ١٠٧.

٥. ابن النديم: الفهرست ٦١، ٧٦، ٨٦، ٩١٣.

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الجبوتي الكاتب المعروف بـ ابن المنيّة - تصغير
لُعْبَة - المتوفى بمصر سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م، قال ياقوت:

«صاحب الخط المنسوب كان مقيمًا ببغداد لم يكتب أحدٌ بعد أبي الحسن
علي بن هلال بن البواب أجود من الجبوتي وكان استأذه في الكتابة يعقوب
الغزنوي»

وكان من شيمه الجبوتي أنه ما كتب شيئاً قطّ يخطه كثر أو قلّ دقّ أو جلّ إلا
ويكتب في آخره: «كتبه الحسن بن علي الجبوتي»^١.

وقال العماد الكاتب: «وليس بمصر الآن من يكتب مثله»

وقال الصفدي:

«يقال إنه كتب مائتين وستة وثلاثين خُتْمَةً ورُبْعَةً . . . وخطّه مليحٌ
مرغوبٌ فيه»^٢.

وقال ابن خلكان:

«الكاتب المشهور، كُتِبَ كثيرًا ونُسَخَ كتبًا توجد في أيدي الناس بأوفر
الأمان بقوّة خطها ورغبتهم فيه»^٣.

أبو علي الحسن بن علي بن عبدالله بن محمد بن أبي جرّاعة المتوفى بمصر سنة
٥٥١هـ / ١١٥٦م، قال ياقوت:

«كان فاضلاً كاتباً شاعراً أدبياً يكتب الشّخ على طريقة أبي عبدالله بن
مُثَنَّى والرّفاع على طريقة علي بن هلال، وخطّه خلوصٌ جيّدٌ خال من التكلّف
والنّصف»^٤.

١ ياقوت: معجم الأديباء ٩: ٤٣ - ٤٤.

٢ الصفدي: الرافعي ١٣: ١٢٨.

٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ١٣١.

٤ ياقوت: معجم الأديباء ١٦: ١٢٢ - الصفدي: الرافعي ١٢: ١٧٣ - ١٧٤.

أبو محمد الحسن بن موسى التَّوَيْهَتِي، ابن أخت أبي سَهْل بن تَوَيْهَتِ الفيلسوف المتكلم، قال ابن التديم:

«كان جَمَاعَةً للكتب قد نَسَخَ بخطه شيئًا كثيرًا، وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها»^١.

أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بـ ابن الحنازن الكندي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م، قال ابن خلكان:

«كان فريد عصره في الكتابة وكتب ما لم يكتبه أحد، فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين رُبْعَةٍ وجامع»^٢.

وقال الصفدي:

«كان فريد عصره في الكتابة، كتب خمسمائة مصحف ما بين رُبْعَةٍ وجامع، خلا ما كتبه من كتب الأدب، وخطه مشهور. وكتب من «الأغاني» ثلاث نُسَخ»^٣.

أبو علي الحسين بن يوسف بن الحسن بن عبدالحق الصنهاجي الشَّاطِئِي الإسكندراني الكندي الناسخ الملقب بـ النظام المتوفى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م، سمع من السَّكْفِي وأبي الطاهر بن عَرُوف وحدث بالإسكندرية ومصر، قال الصفدي:

«كتب الكثير بخطه»^٤.

أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن القُفَيْلِ التاجر الحركاني المتوفى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م، قال الصفدي:

^١ ابن التديم: الفهرست ٢٢٥، الصفدي: الروابي ١٢: ٢٨٠.

^٢ ابن خلكان: وفیات الأعيان ٢: ١٩١.

^٣ الصفدي: الروابي ١٢: ٤٤.

^٤ نفسه ١٣: ٥٨١.

«رَحَّلَ وَسَمَّحَ الْكَثِيرَ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَغَرَاسَانَ . وَكَتَبَ بِخَطِّهِ وَحَصَلَ الشُّعْ»^١

أبو الفتح حيدر بن المَعْمَر بن محمد بن المَعْمَر بن أحمد الحسيني الملقب بـ الرُّمَيْي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م، قال الصفدي:

«حفظ القرآن في صباه وقرأ الأدب . . . وكتب بخطه كثيراً من كتب التفاسير والأحاديث والسِّيَر والأنساب والأدب، وكان خطه مليحاً ونقله صحيحاً»^٢.

أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسن الخوْزِي من أهل واسط، قال القفطي:

«سمع الكثير ونقل بخطه»^٣.

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المُرَادِي صاحب الشافعي وراوى كتبه المتوفى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م وهو آخر من روى عن الشافعي قال عنه الشافعي، «ما في القوم أَتَمُّ لِي منه ولوددت لو حشوته العلم حشواً»^٤. وهو الذي كتب نسخة «الرَّسَالَة» في أصول الفقه للشافعي أقدم مخطوط وصل إلينا على الكاغد.

الرُّمَيا بنت الفتح الكاتبة المعروفة بـ بنت يَظْطِين قال محب الدين بن النجار:

«رأيت بخطها : ولدت سنة أربعين وخمس مائة»

وذكر الصفدي نقلاً عن الصاحب كمال الدين بن العديم:

«أنها كانت من الكاتبات المشهورات ببغداد وقد كتبت كثيراً، ورأيت بخطها نسخة من ديوان ابن حجاج، وقد كتبت عدة شُعْ . وكانت تكتب خطاً جيداً»^٥.

^١ الصفدي: الرافعي ١٣ : ١٥٤ .

^٢ نفسه ١٣ : ٢٢٨ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ١ : ٣٥٨ .

^٤ الصفدي : الرافعي ١١ : ٨٢ .

^٥ نفسه ١١ : ١٢٨ .

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي ثم البغدادي المعروف
بـالوزّاق دلال الكتب المتوفى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م^١.

أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحوي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ /
١١٧٣ م بالموصل .

كتب الكثير من كتب الأدب بخطه وله مصنفات منها كتاب التذكرة وسمّاه
«زهر الرياض» في سبعة مجلدات ، قال القفطي :

«رأيتها وملكتها بخطه»^٢.

أبو الخير سلامة بن غياض بن أحمد النحوي الشامي الكفرطايي المتوفى سنة ٥٣٤ هـ /
١١٣٩ م.

كان حسن الضبط والخط كثير التنقيب والتحقيق وله رسالة في فضل العربية
والحث على تعليمها ، قال القفطي :

«وقعت إلى بخطه وهي في غاية الجودة والصحة وحسن النقية»^٣.

أبو موسى سليمان بن محمد الحامض المتوفى سنة ٣٠٥ / ٩١٧ م ، أحد أصحاب
ثعلب وكان مختصاً به . قال ابن التديم :

«يوصف بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط وكان يُوزَّق»^٤.

وقال القفطي :

«كان حسن الوراقة في الضبط»^٥.

^١ ياقوت : معجم الأديب ١١ : ١٩٥ ، الصفدي : الرافعي ١٥ : ١٦٩ وانظر مجلة معهد المخطوطات العربية

٣٣ (يناير ١٩٨٩) ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ .

^٢ القفطي : إتياء الرواة ٤٧٢ ، ٥٠ وانظر الصفدي : الرافعي ١٥ : ٢٥٠ - ٢٥١ .

^٣ نفسه ٢ : ٦٨ .

^٤ ابن التديم : الفهرست ٨٧ .

^٥ القفطي : إتياء الرواة ٢ : ٢٢ .

أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين بن فارس بن الحسين الثعلبي الشهرزوري،
المتوفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م، قال الصفدي :

«نسخ بخطه من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحد من الوراقين .
كتب بخطه ديوان ابن حجاج سبع مرات . قال عبد الوهاب الأنطاقي : وقلما
يوجد بلد من بلاد الإسلام إلا وفيه شيء بخط شجاع الثعلبي»^١ .

قال السمعاني :

« لما رجعت إلى خراسان حصل لي تاريخ الخطيب بخط شجاع بن فارس
الثعلبي الأصل الذي كتبه بخطه لأبي غالب محمد بن عبد الوهاب القزويني
وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوب اسماع لأبي غالب ولابنه أبي
منصور عبد الرحمن ولأخيه عبد المحسن»^٢ .

أبو إسحاق صالح الوراق التيسابوري، تلميذ الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد
الجوهري . قال القفطي :

« كان أديباً فاضلاً وصاحب عطف جيد صحيح . لازم الجوهري وأخذ عنه
كتابه في اللغة المسمى والصحاح وغيره»^٣ .

أبو سعد عالي بن عثمان بن جني بن أبي الفتح النحوي، قال القفطي :

« كتب بخطه كثيراً وكان محققاً لما يكتبه»^٤ .

وقال الصفدي :

« كان مثل أبيه أبي الفتح نحوياً أديباً حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه
كثيراً من تصانيف أبيه ورواها عنه»^٥ .

^١ الصفدي : الرافعي ١٦ : ١١٣ .

^٢ ياقوت : معجم الأديباء ٤ : ٢٨ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٩٠ .

^٤ نفسه ٢ : ٣٨٥ .

^٥ الصفدي : الرافعي ١٦ : ٥٧٤ ، السيوطي : بغية الرعاة ١٧٤ .

وقال ياقوت في ترجمة أبي الفتح عثمان بن جني :

«وكان لابن جني من الولد علي وعيال وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد غرّبتهم والدهم وسمّهم وحسن خطوطهم ، وهم معدودون في الصحيحين الضيّق وحسن الخط»^١.

وشاهد القفطي في الشركة المخلّقة عن خطيب حلب هاشم بن أحمد بن عبد الواحد كتاب سيبويه وقال :

«يُشبه أن يكون بخط أحد ولدي عثمان بن جني وعليه خط أبي علي الفارسي في عدة مجلدات قد فقد أحدها»^٢.

أبو الفضل العباس بن أحمد بن موسى بن أبي مَوَاسٍ النحوي اللغوي أحد أصحاب أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي في طبقة أبي الفتح بن جني المتوفى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م^٣.

وصل إلينا بخطه نسخة من كتاب [أدب] الكتاب لابن قُتَيْبَةَ محفوظة في مكتبة لاله لي باستانبول تحت رقم ١٩٠٥ جاء بأخرها :

«وكتب العباس بن أحمد بن موسى بن أبي مَوَاسٍ الكاتب في جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثلثمائة وحسبنا والله ونعم الوكيل».

بهاء الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، قال الصفدي :

«كان فقيهاً منظرًا وكتب الكثير بخطه»^٤.

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، قال محب الدين بن التتار

^١ ياقوت : معجم الأدياء ١٢ : ٩٩١ الصفدي : الرافعي ١٩ : ٤٧٣ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ٣ : ٣٥٥ .

^٣ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ الصفدي : الرافعي ياقوتات ١٦ : ٦٥١ - ٦٥٢ السيوطي : بغية الرعاة ٢٧٥ .

^٤ الصفدي : الرافعي ١٨ : ٩٦ .

«هكذا كان يكتب نسيه بخطه، وهكذا رأيت بخط شيخه ابن ناصر»^١.

قال سبطه شمس الدين أبو المظفر:

«سمعت يقول علي المنير في آخر عمره: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد، وثاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني. ومثل عن عدد تصانيفه فقال: تزيد على ثلاث مائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد»^٢.

وتحتفظ مكتبة حسين چلبی بتركيا تحت رقم ٤٣٥ بنسخة من كتاب «الخواتيم» لابن الجوزي بخطه فرغ من كتابتها في يوم الخميس ١٩ ذي الحجة سنة ٥٨١هـ بالمدرسة الشاطبية بباب الأزج^٣. وفي مكتبة لاله لي باستانبول تحت رقم ٤٦٣ نسخة من «الجامع الصحيح» للترمذي كتبها ابن الجوزي بخطه سنة ٥٣٦هـ. وتحتفظ مكتبة شستر بيتي تحت رقم 3370 بنسخة من كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة كتبها ابن الجوزي سنة ٥٤٣هـ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. كما يوجد خط ابن الجوزي بصحة سماع علي غلاف نسخة كتاب «أعمار الأعيان» له كانت بين كتب العلامة خير الدين الزركلي ثم آلت الآن إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. (وهذه النسخة رأها الحافظ بن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ وقال عنها، فيما نقله الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي من كتابه «التوضيح لكتاب المشبه في الرجال»: «وهكذا وجدت أيضاً مقيداً بالخط في كتاب «أعمار الأعيان» لأبي الفرج بن الجوزي في نسخة قرئت عليه وعليها خطه»).

أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عياش بن جوثن بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن الحصار الطائلي المتوفى سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م، قال ابن بشكوال:

«كان حسن الخط جيد القبط وكانت أكثر كتبه بخطه، وكان صبوراً على الشخ. ذكر عنه أنه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه في يوم واحد، وأنه كتب بقية واحدة خمسة عشر سطراً»^٤.

^١ الصفدي: الوافي ١٨ : ١٨٦.

^٢ نقه ١٨ : ١٩٠.

^٣ Hartmann, A., «Codicologie comme source biographique: à propos d'un autographe inédit d'Ibn al-Gawzi (m. 597/1201)», *Les manuscrits du Moyen Orient*, pp. 23 - 30.

^٤ ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأئمة ٣٦٦ - ٣١٧ الصفدي: الوافي ١٨ : ٢٥٦.

أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فليس بن أصبغ قاضي الجماعة
بقرطبة المتوفى سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م قال ابن بشكوال:

«كان حسن الخط جيد الضبط جمع من الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس مع سعة الرواية والحفظ والدراسة. وكان يُملئ الحديث من حفظه في مسجده ومستعمل بين يده على ما يقوله كبار الحديثين بالمشرق والناس يكتبون عنه.

وكان له ستة وراثة ينسخون له دائماً، وكان قد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للاشتياق منه، وبالغ في ثمنه. فإن قدر على ابتاعه وإلا انتسخه منه ورده إليه.

أخبرني حفيده أبو سليمان أنه سمع عمه وغير واحد من سلفه يحكون أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب جده هذا مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية.

وأخبرنا أيضاً أن القاضي جده كان لا يغير كتاباً من أصوله البتة، وكان إذا سأله أحد ذلك والمثقف عليه أعطاه للناسخ فتسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده.

وجمع كتباً حسناً... نقلت تسميتها من خط يده وكانت كتبه في مجلس جدراته بالخضرة، وسنمكه وسطحه والبرطل أمامه والبسط التي فيه والتمارق كلها خضرة»^١.

عبد الرحمن بن موسى بن عمر الناسخ بن المتاديلي المتوفى سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م قال
ابن حجر العسقلاني:

«كان دلالاً في الكتب ونسخ كثيراً من الدواوين الشعرية وكان خطه حسناً»^٢.

أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الأخوة العطار
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م بشيراز، قال الصفدي:

«سافر إلى خراسان في طلب الحديث، وسمع بتيسابور وبألري وبطبرستان وبأصبهان وقرأ بنفسه، ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت الحد، وكان يكتب خطاً مليحاً وكان سريع القراءة والكتابة.

^١ ابن بشكوال: الفصة في تاريخ أئمة الأندلس ٢٩٨ - ٢٩٩ الصفدي: الروافي ١٨ : ٢٥٦ - ٢٥٧.

^٢ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢ : ٤٥٨.

قال محب الدين بن التجار: رأيت بخطه كتاب "التنبيه" في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد... وكان يقول: كتبت بخطي ألف مجلدة^١.

أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وغيان بن رومي السلمي الحنفي المتوفى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م، قال الصفدي:

"وكتب بخطه الكثير، وكان مليح الخط سريع النقل فاضلا حافظا متقنا صدوقا، له يد في النظم والنثر، وكان من أكمل الناس طرقا ولطفا"^٢.

أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر القارسي مصنف "السياق لتاريخ نيسابور" المتوفى سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م، كان جيد الخط حسنه، قال ياقوت:

"تقلت من خطه الذي يفوق أصداغ الملاح قصائد تفوق سلاف الراح"^٣.

صفي الدين أبو طالب عبد الكريم بن حسن بن جعفر بن خليفة اللغوي البعلبي المتوفى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، قال الصفدي:

"كتب بخطه سبعمئة مجلدة"^٤.

وصلت إلينا منها نسخة "غريب الحديث" للخطابي المحفوظة في المكتبة السلিমانيّة باستامبول. فقد جاء في آخر الجزء الثاني منها:

"كتبه لنفسه عبد الكريم بن الحسن بن جعفر بن خليفة البعلبي ببعلبك ووافق الفراغ منه في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين وخمسائة".

وعبد الكريم البعلبي هذا، كتب بخطه كذلك نسخة كتاب "الإكمال" لابن مأكولا، وهي في مجلدين محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٨ مصطلح حديث فقد جاء في آخرها

^١ الصفدي: الوافي ١٨: ٣٢٢.

^٢ نفسه ١٨: ٣٩٨.

^٣ نفسه ١٩: ١٨.

^٤ نفسه ١٩: ٢٧٥.

«كتبه لنفسه عبدالله الحفيظ عبد الكريم بن الحسن بن جعفر بن خليفة
البلخكي يوم الخميس غرة شهر شوال سنة إحدى وتسعين وخمسمائة».

وهي منقولة من نسخة الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
الشافعي وهي بخط محمد بن عبد الملك بن علي بن نصير الغافقي التدميري
وتاريخ نسخها سنة ٤٩٦ هـ.

**موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي المتوفى سنة
٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م**، قال ابن أبي أصيبعة :

«كان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من
أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدته من خطه أشياء
كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً
كثيرة من تصانيف القدماء»^١.

ووقف ابن أبي أصيبعة على سيرة عبد اللطيف بخطه يقول :

«نقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله»^٢.

وهي غير كتاب الإفادة والاعتبار .

**أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الحنبلري المعلم المتوفى سنة
٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م**، قال ياقوت :

«كان متمكناً من علم اللغة ويكتب الخط الحسن»^٣.

وقال القفطي :

«كان يكتب خطاً حسناً صحيحاً»^٤.

وقال الصفدي :

^١ ابن أبي أصيبعة : غير الأبياد ٢ : ٢٠٢ .

^٢ نفسه ٢ : ٢٠٢ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء ١٢ : ٤٦ .

^٤ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٩٨ .

«كان متمكناً في علم العربية، ويكتب خطاً مليحاً ويضبط خطاً صحيحاً
... وكتب بخطه كثيراً»^١.

**أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر الحشّاب بن أبي الكرم
النحوي** المتوفى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م. قال الصّفيدي:

«كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال إنه كان في درجة أبي علي
الفارسي. وكان له معرفة بالحديث واللغة والفلسفة والحساب والهندسة، ما
من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يدٌ حسنة.
وكان يكتب مليحاً ويضبط صحيحاً، وحصل من الأصول وغيرها ما لا
يدخل تحت خصر، ومن خطوط الفضلاء، وأجزاء الحديث شيئاً كثيراً، ولم
يمت أحد من أهل العلم إلا واشترى كتبه»^٢.

ووقف ياقوت على شيء من خطه ونقل منه بقوله:

«قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الحشّاب»^٣.

عبدالله بن رستم اللّغوي، قال القفطي:

«مُتَمَلِّعٌ بِعُقُوبِ بْنِ السَّكَيْتِ. كان قد استفاد من يعقوب وطبقته وكتب
بخطه الكثير، وأفاد الطالبين»^٤.

**أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي الجوع الأديب الورّاق المشهور من أهل مصر
المتوفى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م**، كان شاعراً أديباً... قال ابن خلكان:

«كان نسخه في غاية الجودة وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه
موجود بأيدي الناس ومرغوب فيه»^٥.

وقال الصّفيدي:

^١ الصّفيدي: الوراق ١٧ : ٥.

^٢ نفسه ١٧ : ١٤ ، ١٥.

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ٧ : ٢٥٣ ، ١٤ : ٦١ ، ٨٤.

^٤ القفطي : إثبات الرواة ٢ : ١٢٠.

^٥ ابن خلكان : وفيات ٤ : ٣٧٩.

«كان مليح الخط جَيِّد الشَّبَط وخطه مرغوبٌ فيه . . . وصل إليه من العزيز وابنه الحاكم جملة كبيرة على الوراقة»^١.

أبو الحسين عبدالله بن محمد بن سفيان الخزاز النحوي التوفي سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م.
كان مليح الخط صحيحه قال القفطي :

«رأيت بخطه * شعر أبي تمام * وهو في غاية الإتقان والجودة»^٢.

كما نُقِلَ ابن النديم من كتب رآها بخطه ولم يسمها بلفظ
«قرأت بخط أبي الحسين الخزاز»^٣.

عبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هاني الأزدي المتوفي نحو سنة ٢٣٠هـ /
٨٤٤م . قال ابن النديم :

«حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»^٤.

وقال القفطي :

«حسن المعرفة بالأدب صحيح الخط يرغب فيه الناس ويتغالبون في ثمنه
لإتقانه ، من زمانه في حدود سنة ثلاثين ومائتين وإلى يومنا هذا وهو حدود
سنة ثلاثين وستمائة . ولقد اقتنيت بخطه كتاب «الأمثال» لأبي عبيد فرأيت
من الإتقان والتحقيق ما لا شاهدته لغيره . واقتنيت بعد ذلك غيره من الكتب
الأدبية بخطه . وقيل إن خطه في زمانه كان يباع بالثمن العالي وكذلك اليوم
عند من يعرفه»^٥.

كما شاهد بقفط في شهور سنة تسع وثمانين وخسمائة جزءاً من «ديوان
الأعشى» بخط ابن وداع وحواشيه بخط أبي عبدالله بن مقلّة * ، وقال الصّفي :

«كان ورثاً حسن المعرفة صحيح الخط يرغب الناس في خطه ، وكان خطه
نقّاقاً وثمنٌ ونفاً»^٦.

^١ الصّفي : الرافعي ١٧ : ٥٢٧ .

^٢ القفطي : إنباه ٢ : ١٣٥ وانظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ : ١٢٣ : الصّفي : الرافعي ١٧ : ٥٢٨ .

^٣ ابن النديم : الفهرست ٤٧ ، ٦٢ ، ٩٠ .

^٤ نفسه ٨٨ .

^٥ القفطي : إنباه الرواه ٢ : ١٠١٣٤ : ٥٣ .

^٦ الصّفي : الرافعي ١٧ : ٥٦٦ .

أبو محمد عبدالله بن يس التميمي النحوي الأديب قال القفطي :

«كان يكتب خطًا حسنًا ويذهب المصاحف»^١.

صفي الدين عبدالمؤمن بن فاضل الأرموي المتوفى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م ، كان يعرف علومًا كثيرة منها العربية ونظم الشعر وعلم الإنشاء وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ، قال العزّ الأربلي الطيب :

«لم يكن في زمانه من يكتب الخط المنسوب سوى الشيخ زكي الدين لا غير وهو بعده ، وفاق في فنه الأوائل والأواخر ، وبه تقدّم عند خليفة زمانه»

وأضاف على لسان صفي الدين عبدالمؤمن أنه قال :

«وردت بغداد صبيًا وأثبت فقيهاً بالمستنصرية شافعياً أيام المستنصر ، واشتغلت بالحاضرات والأدب والعربية وتجويد الخط ، قبلت فيه غاية ليس فوقها غاية . ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتي فيه أعظم من الخط لكني اشتهرت بالخط ولم أعرف بغيره في ذلك الوقت»^٢.

أبو الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد المعروف بـ جَمْعِيخ النحوي ، قال الصفدي :

«سَمِعَ النّحْوِيَّ وطبقته وابن دُرَيْدٍ . وكان ثقةً صحيح الكتابة كتب بخطه حتى قال الناس : إن يده من حديد»^٣.

وهو الذي كتب النسخة الصحيحة من «الجمهرة في علم اللغة» لابن دُرَيْدٍ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها على ابن دُرَيْدٍ^٤.

أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبدالله بن يزيد اللّغّاق المعروف بـ ابن السماك المتوفى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، قال ابن الجوزي :

^١ القفطي : إنباء الرواه ٢ : ١٥ .

^٢ الصفدي : الرافعي ١٩ : ٢٤٢ .

^٣ نفسه ١٩ : ٣٤٧ .

^٤ ابن النديم : الفهرست ٦٧ .

«كتب المصنفات الكبار بخطه ، وكان كل ما عنده بخطه»^١ .

أبو عمرو عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد الطرطوشي الكاتب القاهري كان من الأدباء الفضلاء ، قال ياقوت :

«رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر . . . وكان متقن الخط سريع

الكتابة»^٢ .

موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور بن العين زوي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م . أقام ببغداد مدة ثم انتقل منها إلى الديار المصرية في عهد الدولة الفاطمية وكان مشغلاً بصناعة الطب والعلوم الحكومية ويرع في علم النحو ، قال ابن أبي أصيبعة :

«كان ابن العين زوي خبيراً بالعربية جيد الدراية لها حسن الخط ، وقد رأيت كتاباً عدة في الطب وفي غيره بخطه وهي في نهاية الحسن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة»^٣ .

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي التبريزي المعروف بابن الحافظ ، قال القفطي : «كان من أعلم الناس بالأدب واللغات حسن الخط عالماً بفنون العربية ثقة فيما يرويه»^٤ .

أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي دُجَانَة المصري الكاتب الوراق ، قال ياقوت : «جيد الخط كثير الضبط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وإن قل ، وهو من أهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير»^٥ .

أبو الحسن علي بن كروان بن زيد بن الحسن الكندي المتوفى بدمشق سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ، قال القفطي :

^١ ابن الجوزي : المتظم ٦ : ٣٧٨ .

^٢ ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ١٢٠ .

^٣ ابن أبي أصيبعة : حيون الأبناء ٢ : ١٠٨ .

^٤ القفطي : إنباء الرواد ٢ : ٢٢١ .

^٥ ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٢٢٣ .

«كان يكتب خطًا صحيحًا يشبه خط أبي منصور الجواليقي في الجودة والصحة. رأيت بخطه كتاب "الحماسة" وهو في غاية الحسن والاتقان»^١.

أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بـ **كُراع الثعلب** المتوفى بعد سنة ٩٣٠ هـ / ٩٢١ م؛ قال القفطي:

«كان خطه حسنًا صحيحًا قليل الخطأ، وكان يُوزَّق تصانيفه ولم أر له خطًا في غيرها. ورأيت جزءًا من كتابه «المُتَّصِد» من خطه وقد كتب في آخره أنه كَمَلَ وراقة وتصنيفًا في سنة سبع وثلاثمائة»^٢.

وقال ياقوت:

«وَجَدْتُ خطه على «المُتَّصِد» من تصنيفه وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة»^٣.

واستفاد من هذه النسخة في معجم البلدان^٤.

وهي النسخة نفسها التي رآها القفطي وتَمَلَّكها يقول:

«فمن تصانيفه كتاب «المُتَّصِد» في اللغة كبيرٌ على الحروف ملكته»^٥.

أبو الحسن علي بن الحسين الأمدي النحوي، قال ياقوت:

«خرج إلى مصر فأقام بها منقطعًا إلى أبي الفضل بن حنّزابة الوزير. وخطه صحيح مليح، وهو من مشايخ عبدالسلام بن الحسين البصري»^٦.

= أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الأمدي.

علي بن الحسين بن علي التّيسي المعروف بـ **ابن كَوَاجِك الوَرَّاق** كان حيًّا سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م، قال ياقوت:

^١ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٢٣٤.

^٢ نفسه ٢: ٢٤٠.

^٣ ياقوت: معجم الأديباء ١٣: ١٢.

^٤ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٣٠، ٤: ٦٠٨.

^٥ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٢٤٠.

^٦ ياقوت: معجم الأديباء ٣: ١٦٢.

«كان أديباً فاضلاً يُورِّق بمصر سمع من أبي مُسلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنّزابة الوزير»^١.

وهو شقيق أبي القاسم المُحمَّد بن الحسين بن علي بن كُوجك المتوفى سنة ٤١٦ هـ الآتي ذكره.

علم الدين أبو الحسن علي بن حمزة بن علي بن طلحة الرازي الأصل البغدادي المولد المتوفى بمصر سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م، قال ياقوت:

«وهو صاحب الحفظ المليح على طريقة ابن البواب خصوصاً قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحد مثله من تقدّمه»^٢.

أبو الحسن علي بن زيد القاشاني النحوي أحد أصحاب ابن جني، قال ياقوت:

«وجدت بخطه ما كتبه سنة إحدى عشرة وأربع مائة. وهو صاحب الخط الكثير الضبط المُعَدَّ سلك فيه طريق شيخه أبي الفتح»^٣.

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن القاسمي الجرجاني صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبّي وأبي تمام المتوفى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م، قال ياقوت:

«كان جيّد الخط مليحاً يُشَبِّه بخط ابن مُقلّة»^٤.

وقال الثعالبي:

«يجمع خط ابن مُقلّة إلى نثر الجاحظ وتُظَم البُحْتري»^٥.

أبو القاسم علي بن عبدالله بن علي بن الحسين العلوي المعروف بـ الثَّيْبِي صاحب كتاب «المبسوط» المتوفى سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، قال ياقوت نقلاً عن علي بن أحمد الحافظ:

^١ ياقوت: معجم الأدياء ١٣ : ١٥٥؛ الصفدي: الوافي ٢١ : ٢٧.

^٢ نفسه ١٣ : ٢١١؛ نفسه ٢١ : ٧٥.

^٣ نفسه ١٣ : ٢١٨؛ نفسه ٢١ : ١٢٢؛ السيوطي: بغية الوعاة ٢٣٨.

^٤ ياقوت: معجم الأدياء ١٤ : ١٦، ٢٢؛ الصفدي: الوافي ٢١ : ٢٣٩.

^٥ الثعالبي: بتيمة الدهر ٤ : ٣.

«كان ديتا حسن الاعتقاد يورقي بأجرة ويأكل من كسب يده»^١.

وأضاف ياقوت :

«وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشبّيه وكان الديوان كله بخطه...»^٢.

وفي موضع آخر :

«وجدت بخط ابن الشبّيه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطّمّحان الفتي بخطه ما صورته :

«وكتب في صفر في سنة عشرين وأربعمائة بخط أبي الحسن علي بن هلال السّري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي...»^٣.

وقال الصّفي :

«وكان خطه مليحاً، وقد رأيت بخطه ربعة مليحة بقلم النّسخ»^٤.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة المَقْبِلِي الأتطاكي المتوفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، قال ياقوت :

«صدّر زمانه وفرد آوانه ذو فنون من العلوم . وخطه مليح جداً على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة... ورتّب «غريب الحديث» لأبي عبيد على حروف المعجم رأيت بخطه، وشرّح في شرح أبياته شروعا لم يقصّر فيه، ظفرت منه بكراريس من سُوداته لأنه لم يتم»^٥.

^١ ياقوت : معجم الأدباء ١٣ : ٢٧١ الصّفي : الوافي ٢١ : ٢٠٧.

^٢ نفسه ١٣ : ٢٧٢.

^٣ نفسه ١٥ : ١٢١.

^٤ الصّفي : الوافي ٢١ : ٢٠٧.

^٥ ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ١٠٠.

«حدثني كمال الدين [ابن العديم] قال : سمعت والدي - رحمه الله - يقول : كتب الشيخ أبو الحسن بن أبي جُرَادة بخطه ثلاث خزانين من الكتب لنفسه ، وخزانة لابنه أبي البركات ، وخزانة لابن أبي عبد الله^١ .

وقال القفطي :

«له خط حسن ويد في الحساب والهندسة على ما شاهدته بخطه»^٢ .

أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السَّمَنِي (ويقال السَّمَناني) اللغوي
التحوي المتوفى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، قال ياقوت :

«كان جَيِّدَ المعرفة بفنون علم العربية ، صحيح الخط غاية في إتقان الضبط ، قرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي . وكان ثقة في روايته»^٣ .

وأضاف :

«وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجة فيما يكتبه ، ومن هذا البيت جماعة كتّاب مجيدون»^٤ .

وقال ابن خلكان :

«وكتَّب الأديب الذي عليها خطه مرغوب فيها . . . وكان صدوقاً وكتَّاب الكثير وخطه في غاية الاتقان والصحة . . . وأكثر كتبه بخطه ، وحصلت بعده عند ابن دينار الواسطي الأديب وأدركها الغرق ففقد أكثرها»^٥ .

وقال الصَّقدي :

«كان يكتب خطاً صحيحاً مليحاً ، كتب بخطه كثيراً من كتب الأدب وخطه مرغوب فيه»^٦ .

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٦ : ١١ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٢٨٥ ، الصَّقدي : الرافعي ٢١ : ٢١٠ .

^٣ ياقوت : معجم الأديباء ١٤ : ٥٨ ، الصَّقدي : الرافعي ٢١ : ٢٩٥ .

^٤ نفسه ١٤ : ٥٩ ، نفسه ٢١ : ٢٩٥ ، وانظر فيما يلي محمد بن علي السَّمَناني .

^٥ ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣١٢ .

^٦ الصَّقدي : الرافعي ٤ : ١٣٨ ، ٢١ : ٢٩٥ .

وَوَقَّفَ ياقوت على كتاب في العروض بخطه يقول :
 «نقلت من كتاب آله أبو القاسم عبيد الله بن جرّو الأسدي في العروض»
 وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمساني^١.
 ووَجَدَ كذلك خطه على ظهر كتاب للمزني صاحب الشافعي^٢.
 كما رأى القفطي نسخة من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفتح محمد بن
 محمد بن أحمد بن الأثرس النحوي النيسابوري بخط السمساني قال :
 «ملكتها ولله المنة»^٣.

ولم يصل إلينا خط السمساني ولكن وصلت إلينا نسخة من شرح «أشعار
 الهذليين» كتبها محمد بن علي العتايي المتوفي سنة ٦٥٦ نقلا عن نسخة بخط
 السمساني (السمسماني) وقرأها العتايي أيضا على شيخه موهوب بن أحمد بن
 الجواليقي المتوفي سنة ٥٣٩ وقابل بعضها بنسخة شيخه ابن الجواليقي التي بخط
 يده وقابل كذلك بنسخة محمد بن فتوح الحميدي المتوفي سنة ٤٨٨ ، وهذه
 النسخة محفوظة في مكتبة ليدن .

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن بكري البغدادي المتوفي سنة
 ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، خازن دار الكتب بالنظامية . له معرفة جيدة بالأدب قرأ
 النحو على أبي منصور الجواليقي وغيره ، قال ياقوت :

«وكان فاضلا عارفا حسن الأمر مليح الخط جيد الضبط قد كتب من كتب
 الأدب الكثير الذي يفوق الحصر»^٤.

قال القفطي :

«كان يكتب خطا جيدا ، تولى الخزن سنين كثيرة ورأيت بخطه أجزاء

^١ ياقوت : معجم الأديباء ٤ : ٢٢٣ ، الصفدي : الوافي ٧ : ٣٢٨ - ٣٣٠ .

^٢ نفسه ١٤ : ٦٠ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٥٠ .

^٤ ياقوت : معجم الأديباء ١٢ : ٢٧٤ ، الصفدي : الوافي ٢١ : ٣٤٨ .

متعددة من كتاب الأزهرى [يعنى تهذيب اللغة] وفيها وَهْمٌ وَغَلَطٌ، ولا شك في موته قبل إتمام مقابله^١.

أبو الحسن علي بن محمد بن الحلال الأديب الناسخ المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م، قال ياقوت:

«صاحب الخط الملبح والضبط الصحيح معروف بذلك مشهور»^٢.

أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب البصري الواسطي المتوفى سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م، قال ياقوت:

«كان حسن الخط يقال إنه على طريقة ابن مقلة»^٣.

وقرأ على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي النحوي اللغوي المعروف بابن الكوفي المتوفى في ذي القعدة ٣٤٨هـ / ٩٦٠م^٤.

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أبي زيد النحوي المعروف بالقصيمي الاسترأبادي المتوفى سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م. قال القفطي:

«كان يكتب خطاً صحيحاً، رأيت بخطه «شرح الحماسة» لليباري وهي في غاية الجودة والصحة»^٥.

ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، قال الصفدي:

«ملكت ديوانه (أي عبدالصمد بن منصور بن بابك الشاعر) وهو في

^١ القفطي: إتياء الرواد ٢: ٢٩٣.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٤: ٢٤٥.

^٣ نفسه.

^٤ انظر فيما تقدم ص ٩٦-٩٨.

^٥ القفطي: إتياء ٢: ٣٠٧.

مجلدة بخط ضياء الدين أبي الحسن علي بن خروف النحوي المغربي
وكتابتها طريقة فيها مغربية ما في غاية الصحة والفاء بواحدة والقاف بالثنتين
على عادة المشاركة^١.

ووصل إلينا بخط ابن خروف النحوي نسخة من «الكتاب» لسيبويه أتم
كتابتها سنة ٥٦٢ هـ تنقص للأسف نحو ثلث أبواب الكتاب، وهي محفوظة في
المكتبة الوطنية ببغداد تحت رقم 6499. وهي نسخة عارضها ابن خروف
بأصلين لكتاب سيبويه أحدهما لأبي نصر هارون بن موسى النحوي، وهو أصل
معروف في الأندلس تلقاه أبو نصر عن طريق أبي عبد الله محمد بن يحيى
الرباعي، وعن طريق أبي علي القسالي صاحب «الأمالي»، والأصل الثاني
«نسخة عتيقة شرقية عليها خط أبي علي الفارسي نقلت من نسخة أبي بكر بن
السراج»^٢.

أبو الحسن علي بن نصر بن سليمان التبرتي النحوي اللغوي نزيل مصر المتوفى بعد
سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م. قال القفطي:

«كتب بخطه الكثير وكان الناس يتنافسون في خطه ومحبته وذلك مستمر
إلى زماننا هذا».

«وكان خطه خطاً قاعداً عاقلاً بين الخطوط كثير الضبط في غاية التحقيق
والتنقيب والتصحيح»^٣

وقال ياقوت:

«رأيت بخطه كتباً أدبية ولغوية ونحوية، فوجدته حسن الخط متقن
الضبط. وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها»^٤.

^١ الصفي: الراعي ١٨ : ٤٥٦ ، ٢٢ : ٩٠ .

^٢ Humbert, G., «Le kitāb de Sibawayh d'après l'autographe d'un grammairien andalou du XI^e siècle», *Le Manuscrit arabe et la Codicologie*, Rabat 1994, pp. 9-20

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٢ : ٣٢٣ .

^٤ ياقوت: معجم الأدياء ١٥ : ٩٧ ، الصفي: الراعي ٢٢ : ٢٧ ، السيوطي: بغية ٣٥٧ .

وأضاف القفطي:

«ولقد رأيت نسخة بخطه من كتاب «الجمهرة» لابن دريد وقد أبيع في
 شركة الجمالي البغدادي المعروف بابن الفضل الكرخي مدرس المدرسة
 الخنقية بالقاهرة المعزية بما يبلغه أربعة وعشرون ديناراً مصرياً. ولولا الحياء عن
 تعرض له - وهو مبارك بن مُقَدِّد التبريزي أحد أمراء الدولة الصلاحية - لكان
 ثمنها قد زاد على ذلك»^١.

أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بـ ابن اليكواب المتوفى سنة ٤١٣هـ/
 ١٠٢٢م، وقيل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م. ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل،
 قال ياقوت:

«صاحب الخط المليح والإنعاب الفائق بَلَغَني أنه كان في أول أمره
 مُزَوَّجاً بِصَوْرٍ الدَّورِ ثم صَوَّرَ الكُتُبَ ثم تعالَى الكتابة ففأق فيها المتقدمين
 وأعجز المتأخرين»^٢.

وقال الصفدي:

«هو صاحب الخط الفائق الذي لم يُرَِّقْ أحدٌ في الكتابة سعادته بإجماع
 الناس، على أن الوكيَّ العنجمي كتب خيراً منه فيما أرى ولا يجسر أحدٌ على
 قول ذلك. وأوّل من عَرَّبَ الخط من الكوفي ابن مُقَلَّة، لكن بقي به تكويف ما
 إلى أن جاء ابن اليكواب هذا فزاده تعريباً ودَوَّرَ حروفه ووضَّح هذا الضبط على
 ما قيل»^٣.

وأضاف ياقوت:

«قرأت بخط سلامة بن غياض: رأيت بالريّ بخط علي بن هلال كتاب
 «من تُسَبِّحُ من الشعراء إلى أمه» لأبي عبدالله بن الأعرابي وهم خمسون
 شاعراً، وعلى ظهره

^١ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٣٢٧.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٥: ١٢٠ - ١٢١.

^٣ الصفدي: الوافي ٢٢: ٩.

كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة

وفي آخره بخطه

نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي -
أيده الله - يَلِّغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرجاً^١.

كما ذكر الصفدي أنه :

«قرأ من خطه كثيراً، ومَلَكَ منه قطعة بقلم الرُّفَاع، فأَراها الشيخ بهاء الدين محمود بن عَطِيب بعلبك، فقال : لم أرَ لابن التَّوَاب رِقاعاً قطُّ غير هذه. إلا أن هذه القطعة المذكورة كان عليها خط القاشي الكاتب المُلَغَّب، وكان فاضلاً مُلَغَّباً أيضاً له مجاميع أدبية وتوالييف، وقد شهد لهذه القطعة أنها من نفائس عقود ابن التَّوَاب»^٢.

وقال أيضاً :

«وَرَعَمَ بعض الفضلاء أن خَطَّهُ ثلاث طبقات : سُفْلَى وُوسْطَى وُعُلْيَا ؛ فالسُّفْلَى أول كتابته واسمه فيها : علي بن هلال - يَأْلَفُ بين اللامين - ، والوُوسْطَى أَوْسَطُ كتابته واسمه فيها علي بن هَلِيل - يَبْأُ آخر الحروف بين اللامين - ، والْعُلْيَا وهي آخر ما كتب واسمه فيها : علي بن هَلَال بحذف الألف من بين اللامين»^٣.

وقال ابن خلكان :

«وكان شيخه في الكتابة [أبو عبدالله محمد] بن أسد الكاتب المشهور»^٤.

ووضع ابن التَّوَاب رسالة في علم الخط ونسخ المصحف بيده أربعة وستين مرة إحداها بالخط الثلث مكتوبة على الرِّق محفوظة في مكتبة شيمستر بتي بدبلن

^١ ياقوت : معجم الأدياء ١٥ : ١٢٩ - ١٣٠ .

^٢ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٢٩١ .

^٣ نفسه ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

^٤ ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣٤٢ .

تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ / ١٠٠٠م بالإضافة إلى غاذج أخرى كتبها بخطه ١.

أبو أحمد عمر بن محمد بن جعفر الزعفراني المعروف بدومي الكوفي النحوي، قال القفطي:

«كان يكتب خطاً حسناً جميلاً صحيحاً في غاية الصحة»^٢.

سراج الدين عمر بن محمد بن حسن المعروف بالسراج الوركاك الشاعر المشهور

قال ابن شاعر الكتبي:

«ملك ديوان شعره وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه إلى الغاية.

وخطه في غاية الحسن والقوة والأصالة»^٣.

ونقل الصقدي من خطه قصيدة رثى فيها الحافظ زكي الدين عبدالمعظم بن عبدالقوي المنذري^٤.

أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن القف من نصارى الكرك المتوفى سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، قال ابن أبي أصيبعة:

«اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها وبلغ الغاية من بعيدها وديعها

وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الألبصار ولا يلحقه كاتب في سائر الأقطار

والأصارة»^٥.

أبو يحيى مالك بن دينار البصري المتوفى سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م بالبصرة، قال ابن النديم:

^١ انظر فيما سبق ص ٥٦ - ٥٧.

^٢ القفطي: إنباء الرواة ٢: ٧.

^٣ ابن شاعر: غرات الوفيات ٣: ١٤٠.

^٤ الصقدي: الوافي ١٩: ١٥ - ١٦.

^٥ ابن أبي أصيبعة: عيون ٢: ٢٧٣.

«كان زاهداً كثير الورع فتورعاً لا يأكل إلا من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة»^١
وقال السجستاني :

«دخل عليه جابر بن زَيْد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ / ٧١٢م، فوجده يكتب المصحف فقال له : مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة هذا والله كسب الحلال هذا والله كسب الحلال»^٢.

أبو الوليد مالك بن عبدالله بن محمد التميمي المعروف بـ السهيلي القرطبي المتوفى سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م، قال القفطي :

«كان ضابطاً لما كتبت حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علماً كثيراً وأتقنه وأخذ الناس عنه»^٣.

أبو الفرج المبارك بن سعيد الحمامي المؤدب المتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، قال ياقوت :

«كان يكتب خطاً حسناً معروفاً عند الناس مرغوباً فيه»^٤.

أبو الكرم المبارك بن الفاسخر بن محمد بن يعقوب بن النّباس النحوي البغدادي، المتوفى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م، قال القفطي :

«كانت له طريقة في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري مختلفة الحروف كثيرة الضبط . وخطه مرغوب فيه له قدر عند العلماء بهذا الشأن»^٥.

أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي المتوفى ٥٨٥هـ / ١١٨٩م

كان أوحد زمانه في حسن الخط على طريقة علي بن هلال بن اليّوب . قال ياقوت :

^١ ابن النديم : الفهرست : ٩٩ ابن خلكان : وفيات : ١٣٩ .

^٢ السجستاني : كتاب المصاحف : ١٣١ .

^٣ القفطي : إنباء الرواة : ٣ : ٢٥٤ .

^٤ ياقوت : معجم الأدباء : ١٧ : ٥٣ .

^٥ القفطي : إنباء الرواة : ٣ : ٢٥٧ والسيروطي : بغية الوعاة : ٣٨٤ .

« سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم
الثَّلاث حتى رأيت من يغالي فيقول إنه كتب خيراً من ابن اليكباب وكان ضيقاً
بخطه فلذلك قلّ وجوده »^١.

أبو الوفاء الميثر بن فائق الأمري المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م، من أعيان
أمراء مصر اشتغل بصناعة الطب ولازم أبا الحسن علي بن رضوان الطبيب،
قال ابن أبي أصيبعة:

« كان كثير الكتابة وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين »^٢.

أبو القاسم المحسن بن الحسين بن علي بن كوجك الميمني المتوفى سنة ٤١٦ هـ /
١٠٢٥ م، قال ياقوت:

« كان الغالب عليه الوراثة ويقول الشعر وعظه معروف مرغوب فيه يشبه

خط الطبري [أي إبراهيم بن أحمد بن توزون] »^٣.

وكتب ابن كوجك الأصل الذي نقلت عنه نسخة «أنساب الأشراف» للبلاذري
المحفوظة بمكتبة عاشر أفندي باستانبول برقم ، فقد جاء في آخرها:

« نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط البلاذري وأصله وهي

نسخة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن القرات يشهد لها بذلك خطه

عليها رحمه الله تعالى بعد أن قوبل بها ووثق بصحتها حرفاً حقاً ».

وهو شقيق علي بن الحسين بن علي بن كوجك المتوفى سنة ٣٩٤ هـ السابق ذكره.

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الرعيشي الوشقي، قال ابن الزبير:

« كان ... يارع الخط حسن الوراثة »^٤.

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٧: ٥٦. انظر فيما تقدم

^٢ ابن أبي أصيبعة: حيون الأديباء ٢: ٩٨ - ٩٩.

^٣ ياقوت: معجم الأديباء ١٧: ٨٩.

^٤ السيرافي: بغية الوعاة ٥.

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية المتدري القرشي القرطبي المعروف بـ
المصنوع المتوفى سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م، قال ابن الفَرَّسي:

«كان يوصف بالصَّبْط وحُسْن الثَّقَل»^١.

بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن التحاسن الحلبي
الثحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان المتوفى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م،
قال الصفدي:

«كتب خطاً أزرى بالوشي إذا حُك والذهب إذا سُبَّ . . . واقتنى كتباً نفيسة»^٢.

وقال السيوطي:

«كتب الخط المنسوب . . . واقتنى كتباً نفيسة»^٣.

أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام الطَّلِيطلي الانصاري المتوفى
سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م، قال السيوطي:

«ملح الخط حسن الثَّقَل»^٤.

محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَكي الكاتب المتوفى سنة ٦٣٧هـ / ١٣٣٩م، قال
الصفدي:

«كتب [الخط] المنسوب، وتصويره أحسن وأعلى طبقة من خطه، كان

مخفياً بأن يَنْسَخ الكتاب ويصوِّره مثل "ديوان أبي نواس" رواية حمزة

الأصبهاني ومثل "قلل المعاني" لابن الهَيَّارِية وغير ذلك. ملكت بخطه

وتصويره كتاب "قلل المعاني" وذكر في آخره أنه كتبه وصوِّره في الحرم سنة

ثمان وعشرين وست مائة»^٥.

^١ السيوطي: بغية الرعاة ٥.

^٢ الصفدي: الوافي ٢ : ١١ - ١٢.

^٣ السيوطي: بغية الرعاة ٦.

^٤ نفسه ٧.

^٥ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١١٣.

أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البغدادي الكاتب، كاتب الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنّزاية، المتوفى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، قال الداني: ببغداد سكن مصر وقال الخطيب البغدادي:

«كان من أهل العلم والمعرفة بالحديث . كَتَبَ وَجَمَعَ ، ولم يكن بمصر بعد عبدالغني (بن سعيد) أَفْهَمَ منه»^١.

وجاء بأخر نسخة «مجالس العلماء لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٧٧ أدب ش :

«نسخت هذه النسخة من نسخة نسخت من نسخة بعضها بخط الشيخ أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب كاتب ابن حنّزاية وهي نسخة وعليها خطه بالملك وكانت في خمسة أجزاء . وكاتب هذه النسخة التي نقلت منها عبدالله الفقير إليه أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي ، وذكر ما ذكر أعلاه بخطه في آخر نسخته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»^٢.

أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أشرس المعروف بـ أبي الفتح بن الأشرس النحوي النيسابوري ، كنيته أغلب من اسمه المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، قال القفطي:

«رأيت له خطاً قريباً في الجودة غاية في الصّحة ، واسمه بين العلماء إلى زماننا هذا رفيع ، وصنّعه في القَبِيْطِ والإتقان صنيح ، ولقد رأيت بخطه نسخة من كتاب سيبويه من ملكها من العلماء ضاهي يملكها ملك آل بُزْجَه ، وخطه مما تَقَعُ المنافسة فيه ، ومتى فات عالمٌ تحصيله لم يبق عنده شيء مقامه في تلافيه»^٣.

^١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ : ٣٢٣ .

^٢ القفطي : إنباء الرواة ٤ : ١٤٩ .

محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بريك الأنصاري السكري المعروف بابن البرقطي المتوفى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م، قال ياقوت:

«تَلَفَ خمسة وعشرين قطعة بخط ابن اليوباك لم تجتمع في زماننا عند كاتب وكان يغالي في شرائها.

[وهو] أوحدها عصرنا في حُسْن الخط والمشار إليه في التحرير.

وكان في أول أمره معلماً فلما جاد خطه صار مُحَرِّراً، وكان يغالي في أثمان خطوط ابن اليوباك فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرائها^١.

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن فرج [قُتُوح] بن شُقْراق اللخمي المعروف بالطرسوني المتوفى سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م. قال لسان الدين بن الخطيب:

«كان قُبَّماً على النحو والقراءات واللغة... وكانت له مشاركة في الأصول والمنطق... يجمع إلى ما ذكر خطاً بارعاً... وكان صَنَّاعَ اليدين يرسم بالذهب وَيُسَكِّر... أحفظه وزير الدولة أبو عبدالله بن المحروق واختصه ورثب له بالخمراء جارية، وقُلَّدَ نظره خزانة الكتب السلطانية^٢.

وقال السيوطي:

«كان... بارع الخط... وكان حَسَنَ التذهيب والتجليد حظى عند الوزير المحروق ورثب له معلوماً وجعله ناظرًا لخزانة الكتب السلطانية^٣.

القاضي أبو جعفر محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد الزوزني البُحَاثي المتوفى بخرزنة سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، قال عبدالغافر الفارسي:

«كان يَنْسَخُ كتب الأدب بخط مَقْرُوءٍ صحيح أحسن النسخ، ولقد رأيت

^١ ياقوت: معجم الأدياء ١٧: ٢٦٩ - ٢٧٠.

^٢ لسان الدين الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣: ٢٤ - ٢٥.

^٣ السيوطي: بغية الرعا ١٨.

نسخة من كتاب «تيسمة الذَّهَر» لأبي منصور الثَّعالبي في خمس مجلدات بخطه المصحح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك.

وقد كتب نسخة من «غريب الحديث» لأبي سليمان الخطَّابي وقرأها على جدي الشيخ عبدالغافر بن محمد الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم الإمام أبي سعد بن دُوسْت قراءة تصحيح وإثقان. أقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة آتية ولا أمْلَح منها، وهي الآن بوسم خزائن الكتب الموضوعة في الجامع القديم موقوفة على المسلمين^١.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي المعروف بابن تميم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م، أحد تلاميذ ابن تيمية وأحد شيوخ المذهب الحنبلي، قال ابن العماد:

«كتب بخطه ما لا يُوصف كثرة، وصنّف تصنيفات كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابه ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره»^٢.

أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد المعروف بابن الثلاث الموصلي، قال ابن أبي أصيبعة:

«فاضل في صناعة الطب خبير بالعلم والعمل وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الأشعث لازمه واشتغل عليه وتميز وكتب بخطه كتباً كثيرة»^٣.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن بن عبدالله الحسين الواسطي المتوفى سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، قال ابن العماد:

«دَرَسَ بالصَّارِمِيَّة وأعاد بالشَّامِيَّة البراتية وكتب الكثير نسخاً وتصنيفاً بخط حسن»^٤.

^١ باقوت: معجم الأعيان ١٨ : ٢٠ - ٢١، القفطي: إنباء الرواة ٣ : ٦٧.

^٢ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ١٦٩.

^٣ ابن أبي أصيبعة: حيون الأعيان ١ : ٢٤٧.

^٤ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٢٤٤.

أبو عبدالله محمد بن الحسن بن كامل المالقي المعروف بابن الفخاري المتوفى سنة ١١٤٤ هـ / ١٥٣٩ م، قال القفطي:

«له خطٌ حسنٌ من خطوط أهل الأندلس وكان في أول المائة السادسة للهجرة، ورأيت بخطه كتاب *عارضة الأحوزي في شرح كتاب الترمذي* لابن العربي وقد قرأه عليه، والخط في غاية الحسن والصحة»^١.

محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي، قال ياقوت:

«مشهورٌ في أهل الأدب وله خطٌ مرغوبٌ فيه»^٢.

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م، قال ابن النديم رواية عن محمد بن الحسن الورّاق:

«لم يكن يفارق المدارج والنسخ، ما دخلت عليه قط إلا رأيتَه ينسخ إما سُوداً أو بيضاً»^٣.

ثم أضاف:

«ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مُسَوَّدات ودساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام، وقيل إن يخراسان كتبه موجودة»^٤.

أبو عبدالله محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م قال القفطي:

«كثير الكتب كتب بخطه الكثير، ولم يجارِه أحدٌ في صحة ضبطه وحسن نقله»^٥.

تاج الدين محمد بن سليمان بن أحمد بن الفخر الشافعي المتوفى سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م، قال الصفدي:

^١ القفطي: المحدثون من الشعراء ٢٩٥.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٨ : ١٨٨ السيرطي: بقية الرعاة ٣٨.

^٣ ابن النديم: الفهرست ٣٥٧.

^٤ القفطي: إنباء الرواة ٣ : ١٣٨.

«كتب الخط الجديد وكتب كثيرًا من الحديث والفقه وغير ذلك»^١.

أبو عبدالله محمد بن سليمان بن كُطْرُمَش (كُتْلَمَش) الحاجب البغدادي المتوفى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، قال ياقوت:

«خَلَّفَ له والده أموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالترد حتى احتاج إلى الوراقة، فكان يُورَقُ بأجرة بخره المليح الصحيح المعتبر، فكتب كثيرًا من الكتب»^٢.

الإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الأنصاري المارديني المتوفى سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م بآمد، قال ابن أبي أصيبعة:

«وَقَفَّ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن أرتق. وكان هذا حسام الدين فاضلاً حكيماً فيلسوفاً وقد وقف أيضاً في مشهده كتباً حكيمية. والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من أجود الكتب وهي تُسَمُّه التي كان قد قرأ أكثرها على مشائخه وخرَّجها وقد بالغ في تصحيحها وإتقانها»^٣.

أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الأمدي، خرَّج من بغداد إلى مصر وكان منقطعاً إلى الوزير ابن حنَّابَة، قال ابن التميمي:

«وخطه مليح صحيح»^٤.

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عاصم التميمي المعروف بالحَزَلِيل، لقيه أشهر من اسمه. عالم راوية روى عن ابن السكيت كتاب «السَّرَقَات أو سرقات الشعر» وكان كثير الرواية عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال القفطي:

^١ الصفدي: الرافعي ٣: ١٣٩.

^٢ ياقوت: معجم الأديباء ١٨: ٢٠٥.

^٣ ابن أبي أصيبعة: عيون الأديباء ١: ٣٠٠.

^٤ ابن التميمي: الفهرست ٨٩.

«وله خط جيد معروف بين العلماء بالصحة والتحقيق»^١.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرماني النحوي الوراق المتوفى سنة ٣٢٩هـ / ٩٤١م، كان عالماً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة، من أصحاب ثعلب، قال ابن التديم:

«مليح الخط صحيح الثقل يرعّب الناس في خطه وكان يُورق بالأجرة»^٢.

وقال القفطي:

«رأيت بخطه كتاب «المعارف» لابن قتيبة وملكته وهو في غاية الحسن

والصحة»^٣.

أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بليّ النحوي المتوفى سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٠م، قال ابن النجار:

«قرأ النحو على ابن خالويه وروى عنه وكان يكتب خطاً صحيحاً مليحاً»^٤.

ولم يصل إلينا نماذج من خط أبي عبدالله محمد بن عثمان بن بليّ، ولكن نسخة كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ جاء بأخرها:

وعورضت هذه النسخة بنسخة بغدادية بخط ابن بليّ كان في آخرها مكتوب

«قرأ عليّ [إصلاح] المنطق هذه النسخة من أوله إلى آخره أبو عبدالله بن بليّ البغددي أيدّه الله، وضبطه وصححه بعد تصحيحنا على شيخنا أبي سعيد آدم الله عافيته. فهذه النسخة غاية وإمام يرجع إليها ومن قرأه على أبي عبدالله بن بليّ فهو كالفارص على أبي سعيد وعليّ لأنه ما عذر ولا قصر ولا إلا نفعه الله وإيادنا بالعلم والأدب. وكتب الحسن بن خالويه»

^١ القفطي: إنباء الرواة ١: ٣٣٩ وانظر كذلك ابن التديم: الفهرست ٧٩ والصفي: الوافي ٣: ٣٢٨.

^٢ ابن التديم: الفهرست ٨٧ باقوت: معجم الأدباء ١٨: ٢١٣، الصفي: الوافي ٣: ٣٢٩.

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٣: ١٥٥، الصفي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٢٩، السيوطي: بغية الرعاة ٦٠.

^٤ الصفي: الوافي ٤: ٨٤.

وفي أولها مكتوب

«رواية أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيراقي قرأه عليه عن أبي بكر محمد ابن أبي الأزهر قرأه عليه عن أبي عمرو بندار بن لزعة الكرجي صاحب معاني الشعر قرأه عليه قال : سمعت أبا يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت يقول : الكتاب كان على هذا . . . وأما رواية ابن الأثيري فقرأه عن أبي أحمد عبيد السلام بن الحسين بن محمد البصري قال : حدثنا ابن يزيد عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح الخزاز عن أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار عن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن أبي جعفر أحمد بن عبيد الملقب بأبي عبيدة عن يعقوب بن السكيت . . . وأما رواية أبي بكر ابن الأثيري فمن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن عبدالله بن رستم وأبي جعفر أحمد بن عبيد جميعاً عن ابن السكيت».

وكان على ظهرها مكتوب

«سمع أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بلبل هذا الكتاب إلى آخره بقراءته وقراءة من قرأه عليه وكتب الحسن بن عبدالله السيراقي».

وكذلك نسخة مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٥٤٨٣ من كتاب «المبتهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لأبي تمام» لابن جني والمؤرخة سنة ٤٢٠ هـ نقلت من خط محمد بن عثمان بن بلبل صاحب المؤلف .

أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زهير بن أبي البقاء العتّابي النحوي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م، قال ياقوت :

«كتب الخط المصحح مع الصحة والضبط»^١.

وقال الصفدي :

«كان إماماً في النحو متصديراً لإقراء الناس ويكتب خطاً مليحاً صحيحاً»^٢.

^١ ياقوت : معجم الأديباء ١٨ : ٢٥١.

^٢ الصفدي : الوافي ٤ : ١٥٢ .

جمال الدين محمد بن علي بن غزالي الكاتب المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م، قال القفطي:

«شيخ فاضل عالم بالسيرة والأخبار، كتب بخطه كثيرا وجمع عدة مجاميع واختصر كتاب "الأغاني" للأصفهاني»^١.

أبو الحسين محمد بن علي السمسامي النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م أحد النحاة المشهورين بمعرفة الأدب واللغة، قال الصفدي:

«كان يكتب خطا صحيحا مليحا، كتب بخطه كثيرا من كتب الأدب وخطه مرغوب فيه»^٢.

أبو نصر محمد بن علي السمسامي الكاتب المتوفى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م، قال الصفدي:

«صاحب الخط المليح كان طبقة في البغداديين في حسن الخط بعد ابن اليوب»^٣.

أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م نزيل مصر، وكان نحويًا وله رياضة المؤذنين بجامع عمرو بن العاص، قال القفطي:

«وله خط صحيح يتنافس فيه أهل العلم وكتب الكثير من كتب اللغة والنحو، وكان مفيدا وحذث»^٤.

أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان متميزا في الطب وعمله. ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد

^١ ابن القوطي: الخواص الجامعة ٦٠.

^٢ الصفدي: الوافي ٤: ١٣٨.

^٣ نفسه ٤: ١٣٨.

^٤ القفطي: إنباء الرواة ٣: ١٩٥.

قرأ عليه، وهو كثير اللحن يدل على أنه لم يشغل بشيء من العربية. وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسماية^١.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن مَرْج بن طُوس الانصاري
الأندلسي البُلْثُني التاسخ المتوفى سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م، قال ابن الأبار:

«انفرد في وقته بالبراعة في كتابة المصاحف وتقطها، يقال إنه كتب ألف مصحف ولم يزل الملوك والكبار ينافسون فيها إلى اليوم، وقد كان آلى على نفسه ألا يكتب حرفاً إلا من القرآن، وخلف آباء وأخاء في هذه الصناعة».

وقال الصفدي:

«أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن الصياد القاسي بصق سنة ست وعشرين وسبعمائة أنه كان له بيت فيه آلة السُخ والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحد من أهله، يدخله ويخلو بنفسه وربما قال لي إنه كان يضع السك في الدواة. وكان مصحفه لا يهديه إلا بمائتي دينار. وقد رأيت أنا بخطه مصحفاً أو أكثر وهو شيء غريب من حسن الوضع ورعاية المرسوم، ولكل ضبط لون من الألوان لا يُخل به: فباللأزورد للشذات والجزمات واللك للضمات والفتحات والكسرات والأخضر للهمزات المكسورة والأصفر للهمزات المفتوحة لا يُخل شيء من ذلك وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة، وكأنه متى قُصد معه شيء أبطل تلك القائمة. وعن سلك هذه الطريقة في المصاحف ابن خلدون البُلْثُني^٢. [روى إلينا بخطه مصحف محفوظ في مكتبة جامعة استانبول برقم A6754 وأخر في المكتبة الأحمدية بفرنس كتبه بمدينة بولسية سنة ٥٦٤]

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م، أحد فقهاء الشافعية وقرأ اللغة والأدب على الخطيب التيزي، قال ابن الجوزي:

^١ ابن أبي أصيبعة: حبر الألباء ١: ٢٥٥. ^٢ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٥١-٣٥٢.

«وخطه في غاية الإتقان والصحة»^١.

وقال ياقوت وعنه الصفدي :

«وكان مع علمه بالحديث ورجاله جَيِّد المعرفة بالأدب صحيح الخط غاية في إتقان الضبط»^٢.

جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي عم
الصاحب كمال الدين بن عمر المتوفى سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣١م ، قال ياقوت :

«كتب جمال الدين هذا بخطه الكثير وشغف بتصانيف أبي عبدالله محمد
ابن علي بن الحكيم الترمذي ، فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها
بخطه ، وكتب من كتب الزهد والرقائق والمصاحف كثيرا ، وكان خطه في
صياها على طريقة ابن الزكّاب القديرة وكتب لأهله مصاحف بخطه . وكان إذا
اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين»^٣.

ووصل إلينا بخطه كتاب "المسائل المكنونة" للحكيم الترمذي في دار
الكتب المصرية برقم ٣٢٨٢ ج ، و "الفروق" للحكيم الترمذي في مكتبة بلدية
الإسكندرية برقم ١٣٥٨٦ ج .

الأمير أبو سلامة مُرشد بن علي بن مُقلد بن نُصير بن مُقلد المتوفى بِشَهر سنة
٥٣٨هـ / ١١٤٣م ، قال السمعاني في تاريخه :

«رأيت مصحفاً بخطه كتبه بهاء الذهب على الطاق الصوري [أي الثياب
الصورية] ما رأيت ولا أظن أن الرّئين رأوا مثله ، فقد جمع إلى فضائله حسن
خطه»^٤.

أبو نصر منصور بن المُسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الحُرَجِّين السَّعْدِي
الحلبي التميمي المؤدب المعروف بابن أبي الفُتَيْح ، قال ياقوت :

^١ ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٣ ، الصفدي : الوافي ٥ : ١٠٥ .

^٢ الصفدي : الوافي ٥ : ١٠٥ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء ١٦ : ١٣٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ١٥٨ .

^٤ ياقوت : معجم الأدياء ٥ : ٢٢٦ .

«كان أديباً فاضلاً نحوياً شاعراً له تصانيف وردود على ابن جني منها:
تنمة ما قصّر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة وديوان شعر وكفّت عليه
بخطه الرائق فوجدته مشحوناً بالفوائد النحوية، وقد شرّح ألفاظه اللغوية
واعنى بإعرابه فذكر على تبحره في علم العربية»^١.
وقال القفطي:

«صنّف كتاباً في الرد على أبي الفتح بن جني في «إعراب الحماسة» وهو
كتاب حسن جيد يدل على تفضل في العربية وجودة عرض، ملكته بخطه»^٢.
أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الحفّس الجواليقي البغدادي صاحب
«المعرب» المتوفى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م.

كان من كبار أهل اللغة إماماً في فنون الأدب صادقاً صدوقاً. قال ياقوت:
«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغالة به»^٣.
وقد وقّف على نسخة من كتاب «القوافي» لمحمد بن يزيد المبرّد بخطه^٤.
وقال القفطي:

«مليح الخط كثير القسبط... وخطه مرغوب فيه يتنافس في تحصيله
والمغالة له»^٥.

ووصّلت إلينا مجموعة بخطه كتبها سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م، محفوظة الآن
في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Esc. 1705 وتشتمل على تسعة كتب (رسائل)

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٩: ١٩٤.

^٢ القفطي: إنباء الرواة ٣: ٣٢٦.

^٣ ياقوت: معجم الأديباء ١٩: ٢٠٥.

^٤ نفسه ٨: ٧٧، وانظر كذلك ١٢: ٩٦، ١٠٢، ١٧: ٢٠.

^٥ القفطي: إنباء الرواة ٣: ٣٣٥.

هي: «أسماء خيل العرب وفرسانها» لابن الأعرابي، وكتاب «تسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، وكتاب «الإبل» للأصمعي، وكتاب «الشاء» للأصمعي أيضاً، وكتاب «الأمثال» لأبي عكرمة الضبي وكتاب «ما يُذكر وما يُؤثّر من الإنسان ومن اللباس» لأبي موسى الحامض، وكتاب «تسب عدنان وقحطان» للمبرّد، وكتاب «الأمثال» لمؤرّج السدوسي.

وكذلك نسخة من «تفسير غريب القرآن» لأبي بكر السجستاني كتبها أيضاً سنة ٤٩٩ هـ محفوظة في مكتبة شستريتي برقم ٣٠٠٩.

أبو المظفر نصر بن محمود بن المَعْرُوف أحد تلاميذ موفق الدين بن العَيْن زُرِّي، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان بالمظفر حسن الخط جيد العبارة وكان مغرّياً بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها، وكتب بخطه من الكتب التي صنّعت فيها أشياء كثيرة جداً وكذلك أيضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكومية... ورأيت خطه في آخر تفسير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس وهو يقول إنه قرأه على موفق الدين بن العين زُرِّي. وأنقن قراءته وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة»^١.

موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم التلميد، قال ابن أبي أصيبعة:

«أُوْحِدَ زمانه في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها... وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسويّاً وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة»^٢.

ياقوت بن عبد الله الرومي الأصل نزيل الموصل الكاتب الأديب النحوي المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م عن سن عالية.

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ١٠٨.

^٢ نفسه ١: ٢٥٩.

كان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه على طريقة ابن البواب. قال ياقوت الحموي: اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشر وستمئة فرأيت على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار وقد أسنّ وبلغ من الكبر الغاية، ثم قال:

«رأيت كتباً كثيرة بخطه يتناولها الناس ويتناولون بأثمانها بينها عدة نسخ من «الصحاح» للجوهري و«المقامات الحريية»^١.

وذكر ابن خلكان أنه كان مغرمًا بنقل «الصحاح» للجوهري فكتب منه نسخًا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد، قال:

«رأيت منه عدة نسخ وكل نسخة ثياب مائة دينار»^٢.

وسماه حاجي خليفة «كاتب نسخ الصحاح»^٣.

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمصحف بخطه.

مُهدَّب الدين أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي المتوفى سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، قال ياقوت:

«أحد أدباء العصر وشعرائه الجيدين، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، وعنى بالتحصيل في المدرسة النظامية، [و] كان حسن الخط والقبطة»^٤.

أمين الدين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي النيسابوري

أتقن الصناعة الطبية وتميز في العلوم الرياضية، وصل من المغرب إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة ثم توجه إلى دمشق.

«كتب بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيرها».

^١ ياقوت: معجم الأديباء ١٩ : ٣١٢ - ٣١٣.

^٢ ابن خلكان: وفيات ٦ : ١١٩.

^٣ حاجي خليفة: كشف الظنون ٤ : ٩٧.

^٤ ياقوت: معجم الأديباء ١٩ : ٣١١.

ونقل ابن أبي أصيبعة من خطه بعض خبر أبي القشوح أحمد محمد بن الصلاح^١.

أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥ م قال ابن النديم:

«وإليه انتهت رئاسة أصحابه في زماننا . . . قال لي يوماً في الوراقين، وقد عانيت على كثرة نسخته، فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري، قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعمري بنفسه وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»^٢.

وأطلع ابن النديم على فهرست كتب أرسطوطاليس بخط يحيى بن عدي وتقل عنه بقوله:

«كلما قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه»^٣.

يحيى بن عيسى بن علي بن جزولة المتوفى سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠ م، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان من المشهورين في علم الطب وعمله . . . وله أيضاً نظر في علم الأدب . وكان يكتب خطاً جيداً، وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله وتعرب عن معرفته، وكان نصرانياً ثم أسلم»^٤.

أبو محمد يحيى بن محمد الأزدي النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤ م. قال القفطي:

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢: ١٦٣ - ١٦٤.

^٢ ابن النديم: الفهرست، ٣٢٢، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ١: ٢٣٥.

^٣ نفسه، ٣١٠ - ٣١٤.

^٤ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ١: ٢٥٥.

«كتب بخطه الكثير وصنّف، رأيت من تصنيفه بخطه مقدمة في النحو»^١.

وقال ياقوت:

«ملح الخط سريع الكتابة كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصح» لشُكْل ويبيعه بنصف دينار ويشترى ثوبًا وخمًا وفاكهة ولا يبيت حتى يُثَق ما معه منه»^٢.

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب «إصلاح المنطق» وغيره المتوفى سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م.

وصل إلينا بخطه أقدم المخطوطات المؤرخة وهي نسخة من «تاريخ ملوك العرب» لعبد الملك بن قريب الأصمعي الذي نسخ ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس برقم 6726^٣.

يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى نحو سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، قال ابن التندم:

«قرأت في جزء ترجمته ما هذه حكايته: كتاب في ملل الهند وأديانها. نسخت هذا الكتاب من كتاب كتب يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين، لا أدري الحكاية التي في هذا الكتاب لمن هي، إلا أنني رأيت بخط يعقوب بن إسحاق الكندي حرفًا حرفًا»^٤.

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن عُمر أذاد النجيري اللغوي المتوفى سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م، قال القفطي:

«له خط ليس بالجميل في الصورة وهو في غاية الصحة. وللمصريين تناقض في خطه إذا وقع، ولقد رأيت بخطه نسخة من «ديوان جرير» وقد أبيعت بعشرة دنانير، ورأيت «طبقات الشعراء» لابن سلام الجُمَحي وقد أبيعت بقرب من ذلك.

^١ القفطي: إنباء الرواة ٤ : ٣٥.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ٢٠ : ٣٤ - ٣٥.

^٣ راجع مناقشة صحة نسبة هذه النسخة في مقال دي روش Dérache, Fr., «A propos du ms. Arabe 6726 de la Bibliothèque Nationale (Paris)», *RET LVIII* (1990).

^٤ ابن التندم: القهرست ٤٠٩.

وكننت أحضر حلق الكتب عند بيعها فإذا قال المتنادي: كتاب كذا بخط التَّجِيرَمِي رفعت نسوة الأعناق. وأكثر ما تُروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية المعروفة وأيام العرب في مصر عن طريقه^١.

وكما أشار القدماء إلى الورّاقين والتّساخين الذين اشتهروا بجوّد الخط وضبطه، أشاروا كذلك إلى من اشتهر بسوء الخط وعدم جودته مثل:

أبو سهل أحمد بن عاصم الحلواني، قال ابن النديم:

«يقال إنه كان قريباً لأبي سعيد السُّكْرِي وروى كتبه وأخذ عنه، وخطّه في نهاية القُبْح إلا أنه من العلماء»^٢.

ورأى ابن النديم بخطه شعر أبي نُؤاس على معانيه وغريبه نحو ألف ورقة من عمل أبي سعيد السُّكْرِي^٣.

وأبو الرجاء محمد بن حرب بن عبدالله الحلبي النحوي، يقول القفطي:

«رأيت بخطه أجزاءً من كتاب "الكشاف" للزمخشري في تفسير القرآن وفيها سقطٌ ظاهر»^٤.

ويقول أيضاً:

«رأيت بخطه أوراقاً ذكر فيها رحلته إلى العراق وما يجري له في حالة الطلب من جَرَيَات الأمور، وشاهدت في عبارته بخطه ما يدل على قلّة علمه بهذا الشأن، وقد كانت هذه الأوراق عند الإمام كمال الدين عمر بن أبي جَرادة الحلبي وهو وقّف عليه»^٥.

^١ القفطي: إنباه الرواه ٤: ٦٦ - ٦٧.

^٢ ابن النديم: الفهرست ٨٨.

^٣ نفسه ٨٦.

^٤ القفطي: إنباه الرواه ٤: ١٢١.

^٥ نفسه ٤: ١٢٠.

وشرف الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى المحدث القرشي
الدمشقي الكتيبي الناسخ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ / ١٢٧٩م، قال الصفدي نقلاً عن
الذهبي:

«لم يكن عليه أنس المحدثين وخطه كثير السقم مع حسنه... [و] كان
مووراً كذاباً سماعاً لنفسه وزوراً»^١.

النَّسَّاحُونَ الْمُحَدِّثُونَ

كانت مهنة النَّسْخ منتشرة في العالم العربي وأماكن أخرى إلى منتصف هذا
القرن، وكان قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية يمثلها بالعديد منهم. وتحتفظ
دار الكتب المصرية بعدد كبير من المخطوطات التي كَتَبَهَا هؤلاء النَّسَّاحُونَ نقلاً
عن أصول موجودة بالدار أو بالكتيبات الملحقة بها أو بالكتيبة الأزهرية يرجع
تاريخ آخرها إلى منتصف الخمسينات من هذا القرن مذكورة كلها في الفهرست
الذي أعدّه والذي المرحوم فؤاد سيد^٢.

وأشهر هؤلاء النَّسَّاحِينَ هم: محمود حمدي النَّسَّاح، و[محمد] محمود
عبد اللطيف فخر الدين النَّسَّاح، ومحمود نصحي التابعي النَّسَّاح، وحسين
فهمي النَّسَّاح، وحسن أفندي رشيد النَّسَّاح، والشيخ حسن زيدان، ومحمود
صدقي النَّسَّاح، وجابر صبحي، ومحمد أمين بن عمر الأنصاري، ومحمد
قناوي النَّسَّاح، ومحمد فهمي خضر، وعبد الحميد راشد علي، وإبراهيم الطَّيَّاح
النَّسَّاح، وإبراهيم بسيوني الطحلاوي، والشيخ مصطفى سيد شجر النَّسَّاح.

^١ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ٢٣٦.

^٢ فؤاد سيد: فهرست المخطوطات - نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥، ١ - ٣، القاهرة - مطبعة دار الكتب ١٩٦١ - ١٩٦٣.

وقد أشار المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي في كتابه الممتع «مع المخطوطات العربية» إلى هؤلاء النساخين الذين كانوا يسترزون من النساخة أثناء ترده على قسم المخطوطات بالدار في مطلع هذا القرن، يقول:

«وكان زوَّار هذه المكتبة كثيرين نسبياً بصورة دائمة . . . ويتشكَّل نصف هؤلاء الزوَّار من الطلبة الشبان والنصف الآخر من النساخ المحترفين للمخطوطات الذين كانوا يحتلون متضدتين . . . وقد ظهر لي بعد عدة أيام من عملي بالمكتبة أن وجودي كان يستدعي نوعاً من القلق بين النساخين والخطاطين الجالسين على المنضدة إلا أنني لم أعر هذا اهتماماً. بيد أنني في المرة التالية رأيتهم عند دخولي يتهايمون فيما بينهم ثم انفصل منهم أكبرهم سناً - حسب ما يبدو لي - واقترب مني قليلاً ثم استرسل في كلام كثير طويل وأخذ يوضح كيف أنهم أناس فقراء وأنهم يحصلون على قوت حياتهم من هذا العمل وحده، أما أنا فأجنيبني وأستطيع أن أجِدَ لنفسي عملاً آخر وأنهم مستعدون أن يقدموا إليّ مكافأة إذا لم أتسبب في حرمانهم من لقمة العيش. وفي البداية لم أفهم حقيقة الأمر لكنني ضحكيت فيما بعد عندما علمت الحقيقة وأسرعت لتهدئتهم وأوضحت لهم أن عملي في المخطوطات عمل شخصي وليس الغرض منه كسب العيش أو منافستهم في أرزاقهم، ومنذ ذلك الوقت صارت بيننا علاقات حسنة. وقد كانت غالبيتهم أناس هادئين متواضعين وكبار في السن. وكانوا عادةً غير مثقفين ونادراً ما يفهمون ما ينسخون، لكن بعضهم كانوا من هواة هذا العمل ويبدو لي أنهم على دراية بالمخطوط والنسخ إلا أنه في ذلك الوقت لم يكن لفتهم ميدان كاف، ولعلهم يمثلون الجيل الأخير لهذه المهنة التي كانت في طريقها إلى الموت»^١.

^١ كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية - صفحات من المذكرات عن الكتب والبشر، القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٦٩، ٣٤ - ٣٥.

ولا شك أنه مع بداية انتشار التصوير الضوئي «الفوتوستات» والتصوير الميكروفلمي قُضي نهائيًا على هذه المهنة التي حفظت لنا تراثنا العربي المكتوب على امتداد أربعة عشر قرنًا ، حيث سمح التصوير الضوئي بتداول صور النسخ الأصلية للمخطوطات العربية بخطوطها الأصلية وبما عليها من تقييدات . كما أن تطوّر طرق حفظ وتسجيل المخطوطات على الأقراص المليزة CD ROM يقدم لنا تطورًا جديدًا لحفظ المخطوطات وتداول صورها ، كذلك فإن نظام طبع المخطوطات بطريقة الفاكسميلي يتيح لنا كذلك نشر المخطوطات القديمة وتداولها بحالتها الأصلية .

المكتبات الإسلامية وهواة الكتب

بدأت المؤلفات الضخمة في فنون العربية وعلومها المختلفة في الظهور منذ أواخر القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى ما نُقِلَ المترجمون والنقل عن اليونانية والسريانية والسكندرانية في الشرق واللاتينية في الأندلس . وقد حفظ لنا الوراق العربي الشهير ابن التميمي أسماء وموضوعات هذا الإنتاج الفكري الغزير في كتابه «الفهرست» الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م . كذلك فقد أورد ابن خيّر الإشبيلي في «فهرسته» قائمة مفصلة بالكتب الشرقية من مختلف فروع المعرفة التي أُدخلت إلى الأندلس وكذلك الكتب التي أُلقت فيه .

وعرقت حواضر الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة وكذلك مدن أخرى شهيرة مثل : حلب والبصرة والموصل والقيروان خزان الكتب التي كانت تحوي هذه المؤلفات التي تعد السجل الحافل لما أنتجه الفكر العربي الإسلامي على امتداد العصور^١ .

بيت الحكمة

ومن أشهر خزان الكتب التي كانت تُعد في ذلك الوقت مكتبات عامة تفتح أبوابها لجمهور العلماء والباحثين : « بيت الحكمة » في بغداد الذي بلغ أوج ازدهاره في زمن المأمون العباسي وجمع لخزانتها أهم الكتب الموجودة وأمر المترجمين والنقل أن ينقلوا إلى العربية أهم المخطوطات اليونانية والسريانية . وقد

^١ انظر كتاب يوسف المش - publiques - Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen - Age, Damas IFEAD 1967.

فَقَدَّتْ مكتبة بَيْتِ الحِكْمَةِ دورها الأكاديمي بعد انتقال مقر الخلافة من بغداد إلى سامراء زمن المعتصم وأصبح يُطلق عليها «خزانة المأمون». وظلَّ العلماء يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث انعدم ذكرها عند المؤلفين المتأخرين، وأضيفت في أغلب الظن إلى أحد مكتبات الخلفاء أو تقاسمها سلاطين السلاجقة بعد ذلك وعُرِّقَتْ كتبها طريقها إلى مكتبات جديدة^١، فنحن نعلم أن بعض مقتنيات بيت الحكمة التي تحمل علامة المأمون العباسي أهديت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة في الوقت الذي كان يؤلف فيه كتابه «عيون الأنباء»^٢.

دارُ العلم

وأعقب مرحلة بَيْتِ الحكمة ظهور «دار العلم» وهي مؤسسة ذات طبيعة شبه رسمية استعادت التقاليد الهلنستية في الاهتمام بالعلوم الطبيعية، كانت مهمتها نشر الدعاية السرية للشيعة والإسماعيليين بوجه خاص. وقد وُجِدَتْ دور للعلم في كل من الموصل والبصرة ورامهرمز، وإن كانت أشهر هذه الدور هي «دار العلم» الفاطمية التي أنشئت في القاهرة في زمن الحاكم بأمر الله في عام ٣٩٥/ ١٠٠٥م^٣. يقول الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيحي في تاريخه الكبير:

«وفي يوم السبت هذا، يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة قُضِيَتْ الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة. وجلس فيها الفقهاء وحُمِلَتْ الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة. ودُخِلَ الناس إليها ونُسَخَ كل من الشمس نُسَخَ شيء مما فيها ما الشمس، وكذلك من رأى قراءة

^١ Eche, Y., op. cit., pp. 27 - 60.

^٢ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ١٨٧ (طبعة مولر ١٨٨٤).

^٣ Eche, Y., op. cit., pp. 67 - 159. «ابن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي» في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة - تاريخ المصريين ١٩٩٢، ٥١، ١٠٤ - ١٠٩.

شيء مما فيها. وجلس فيها القراء والمُتَجَمِّعون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن قُرِئَتْ هذه الدار وَخُرِفَتْ وعُلِّقَتْ على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قُورَانٌ وَخُدَامٌ وَقَرَّاشُونَ وغيرهم رُسِمُوا بِخِدْمَتِهَا. وَحَصَلَ فِي هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم يَرِ مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم من يؤثر قراءة الكتب والتفكر فيها. فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يسمع بمثله من إجراء الرزق السنِّي لمن رُسِمَ له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره، وحَضَرَها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للتَشَنُّج، ومنهم من يحضر للتَعَلُّم. وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابير، وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي^١.

وهذا دار العلم التي أسَّسها بالموصل أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلبي الشافعي المتوفى سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٥م، قال ياقوت الحموي نقلاً عن أبي علي بن أبي الزمزم:

«وكانت له ببلده دار علم قد جُمِعَ فيها خزائن كتب من جميع العلوم وَفَقَّأ على كل طالب للعلم، لا يُمنَع أحدٌ من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب وإذا كان مُعْسِراً أعطاه ورقاً وورقاً، تُفْتَح في كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيُبَيِّنُ عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان، ثم يُبَيِّن من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوادر المؤلفة وطرقاً من الفقه وما يتعلق به»^٢.

^١ السبكي: تصويص ضائعة من أخبار مصر ٢٢، القريري: مسودة المواقف والاعتبار ٣٠٠ - ٣٠١، الخطوط ١: ٢٨٥ - ٢٨٦ والمناظر الحفا ٢: ٥٦.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ٧: ١٩٣، الصفي: الراعي ١١: ١٣٨.

كما عمل القاضي ابن حيّان المتوفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومسكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق، ولم يكن يسمح بإعارة الكتب خارج الخزانة^١.

وأنشأ أبو علي بن سَوَّار - أحد رجال حاشية عضد الدولة البويهية المتوفى سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م - دار كتب في مدينة رامهرمز على شاطئ بحر فارس، كما بنى داراً أخرى بالبصرة، يقول المقدسي:

«والداران جميعاً اتخذهما ابن سَوَّار وفيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والتَّشْيُخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتباً، وفي هذه أهدأ شيخ يُدرِّس عليه الكلام على مذهب المعتزلة»^٢.

وأنشأ الوزير أبو نصر سابور بن أردشِير بن فيروز به المتوفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م أيضاً دار علم بالكرك، يقول الصفدي:

«وكان قد ابتاع في سنة إحدى وثلاث مائة داراً بين السورين وسماها «دار العلم» وحمل إليها من الدفاتر ما اشتمل على سائر العلوم والآداب ووقف عليها دار الفَرْز ورُتِبَ فيها قَوَامًا وَخِزَانًا. وردَ مراعاتها إلى أبي الحسين ابن الشيبه وأبي عبدالله البطحاني العلويين، ولم يتعرض إلهما أحد بعد تغيير أمره إلى أن ولي الوزارة بنو عبدالرحيم، فأخذوا من أحاسنها شيئاً كثيراً. وذكر أنه كان فيها عشرة آلاف مجلدة من أصناف العلوم، وكان فيها مائة مصحف بخطوط بني مُقَلَّة، ولمّا وقع بالكرك بعد هروب أهله في الجفلة مع البساسيري وقدم طغرل بك إلى بغداد احترقت دار العلم سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، وجاء الكُتَنَري فأخذ خيار كتبها ونُهب البعض الآخر الباقي، وهذه هي التي أشار إليها أبو العلاء المعري في قصيدته الالامية، فقال:

وغيّث لنا في دار سابور قَبَّةٌ من الورق مطراب الأصائل ميهال^٣.

^١ آدم منز: الحفارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٩٤.

^٢ المقدسي: أحسن التقاسيم ٤١٣.

^٣ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥ : ٧٣.

كما كانت «دار العلم» بطرابلس من أغنى دور العلم بالكتب النفيسة التي تفرقت ونُهبت في وقت خروج الفرنج إلى الشرق الإسلامي، فروى ابن القرات في حوادث سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م نقلا عن الشيخ يحيى بن أبي طي حميد النجار الغساني الحلبي ما صيغته :

«كان في طرابلس دار للعلم ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسنا وجودة، وقال حدثني أبي قال : حدثني شيخ من أهل طرابلس قال : كنت مع فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس وهو في شيزر وقد وصله أخذ طرابلس فأعني عليه وأفاق ودموه مستقيضة وقال : والله ما أسقي على شيء كأسفي على دار العلم فإن فيها ثلاثة آلاف ألف كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال : إن بها خمسون ألف مصحفاً وأن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عز وجل . قال أبي وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا وكان بنو عمار قد عتوا بها العناية العظيمة، كان فيها مائة وثمانون ناسخاً تنسخ بالجرابة والجامكية ومنهم ثلاثون نفساً لا يقارقونها ليلاً ولا نهاراً، وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة، وكانت طرابلس في أيام بني عمار قد صارت جميعها دار علم وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار ونفقت على بني عمار سائر العلوم وقصدهم الناس بها لا سيما علم الإمامية فإنهم أحيوه وأحبوا أهله قال : ولما دخل الفرنج إلى طرابلس واقتسحوها أحرقوا دار العلم، وكان السبب في إحراقهم لها أن بعض القسسوس - لعنهم الله تعالى - لما رأى تلك الكتب هالته واتفق أنه وقع في خزانة المصاحف الكرام فمذّ يده إلى مجلد فإذا هو مصحف ثم إلى آخر فراء كذلك ثم إلى آخر فوجد مصحفاً حتى اعتبر عشرين مجلداً، فقال كل ما في هذه كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها وتخطف الفرنج - لعن الله من مضى منهم ونزل من بقي منهم - أشياء من الكتب وهي التي خرجت إلى بلاد المسلمين، وهدموا ما فيها من المساجد وتحوّلوا على قتل جميع من فيها من المسلمين»^١.

^١ ابن القرات : تاريخ الدول والملوك (مخ . قينا رقم ٨١٤) : ١ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ط.

المكتبات وخزائن الكتب

تعتبر «خزانة كتب القصر الفاطمي بالقاهرة» التي كانت تحتوي على أكثر من ستمائة ألف مجلد أشهر المكتبات في العصر الإسلامي، ويقول عنها المؤرخ الشيعة يحيى بن أبي طي أنها

«من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر»^١.

ويُحدِّثنا المؤرخ المسيحي في حوادث سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م عن بعض ما كانت تُزخَّر به هذه الخزانة يقول:

«وذكر عند العزيز بالله «كتاب العين» للخليل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفاً وثلاثين نسخة من «كتاب العين» منها نسخة بخط الخليل بن أحمد. وحمل إليه رجل نسخة من كتاب «تاريخ الطبري» اشترأها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما يتف عن عشرين نسخة من «تاريخ الطبري» منها نسخة بخطه. وذكر عنده كتاب «الجمهرة» لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها»^٢.

وكان صاحب خزانة كتب العزيز بمصر والمتولى لعرضها هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق الشَّابُثْنِي صاحب كتاب «الديارات» المتوفى سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م^٣.

ويذكر صاحب «الذخائر والتحف» أن

«عدة الخزانين التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها

^١ القريري: المخطوط ١: ٤٠٩.

^٢ المسيحي: تعرض خزانة من أخبار مصر ١٧: القريري: المخطوط ١: ٤٠٨ ومسودة الملاحظ والاعتبار ١٤٠ - ١٤١.

^٣ بالقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٦٦: الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ١٩٤، ٢٢: ١٧٤.

من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربّعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما، وأن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم لم يبق في خزائن القصر البيروانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها. ووجدت صناديق مملوءة أقلاماً مبرية من براية ابن مقلّة وابن البواب وغيرهما^١.

ويضيف صاحب كتاب «الذخائر والتحف» كذلك أنه كان بمصر في العشر الأول من المحرم سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م، قال:

«فرايت فيها خمسة وعشرين جملاً مؤلفة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانيهما من ديوان الحلبيين، وأن حصص الوزير أبي الفرج قومت عليه بخمسة آلاف دينار وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار نُهيئت بأجمعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة^٢.

ويقدم لنا ابن الطوير وصفاً مشيراً للإعجاب لتنظيم هذه الخزانة يقول:

«وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم أي بني أحد مجالس المارستان العتيق والرفوف مقلّعة بحواجز وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائة ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجلدات؛ فمنها في الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث النبوي والتواريخ وسير الملوك والنجاسة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخة والعشرة، ومنها النواقص التي

^١ الرشيد بن الوزير: الذخائر والتحف ٢٦٢، القريزي: المخطوط ١: ٤٠٨ ومسودة المراجع والاعتبار ١٤٠ والتماظ الخفا ٢: ٢٩٤.

^٢ القريزي: المخطوط ١: ٤٠٨ - ٤٠٩ والتماظ الخفا ٢: ٢٩٤ - ٢٩٥.

ما تَمَّتْ، كل ذلك لترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها .
والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها فوقها، ومنها من الدروج بخط ابن مقلّة
ومن يليه ومن يماثله كابين البواب وغيره، وهي التي تولّى بيعها ابن صوّرة في
أيام الملك الناصر صلاح الدين^١.

وقد ظَلَّتْ هذه الخزّانة موجودة حتى استيلاء صلاح الدين على مقاليد
السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١٠٧٢م، فأمر ببيعها وتخصّص لذلك يومين في
الأسبوع واستمر ذلك لمدة عشر سنوات وتولّى بيعها ابن صوّرة دلال الكتب.

وقد وصَلَتْ إلينا بعض كتب هذه الخزّانة وعليها ما يفيد وثّقها على خزّانة
كتب الفاطميين منها كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهَجَرِي في دار
الكتب المصرية برقم ٣٤٢ لغة و«حَدَف من نَسَب قُرَيْش» لمُؤرِّج السُّدُوسِي
بزاوية تامكروود بالمغرب والجزء الأول من كتاب «الحماسة» اختيار أبي تمام حبيب
ابن أوس الطائي وتفسير أحمد بن فارس في لاله لي باستانبول برقم ١٧١٦،
وكل هذه النسخ كتبت «برسم الخزّانة السلطانية المولوية الملكية الظاهرية» نسبة إلى
الخليفة الظاهر بالله الفاطمي المتوفى سنة ٥٤٩هـ.

ويذكر ابن أبي طيّ الذي أورد خبر بيع خزّانة كتب الفاطميين في زمن
صلاح الدين الأيوبي

«أنها كانت تحتوي على ألف ألف وستمئة ألف كتاب وكان فيها من
المخطوط المنسوبة شيء كثير»^٢.

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين في أخبار الدولتين ١٢٦ - ١٢٨ : المقرئ : مسودة المراجعة والاعتبار ١٣٨ -
١٣٩ والمخطوط ١ : ٤٠٩ : الفلقتندي : صبح الأعشى ١ : ٤٦٧ .

^٢ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ١ : ٥٠٧ : الصفدي : الوافي بالوفايات ١٧ : ٦٨٨ : المقرئ :
مسودة المراجعة والاعتبار ١٣٩ - ١٤٠ : ٤٠٩ : ١ : ٤٠٩ .

ورغم ما يبدو على هذا الرقم من مبالغة إلا أنه يدل على عظم حجم هذه المكتبة وما احتوت عليه من المجلدات، خاصة وأن معاصراً لصالح الدين هو العماد الكاتب الأصفهاني يذكر أن خزانة الفاطميين كانت مشتملة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة فيها من المخطوط المنسوبة ما اختلطت الأيدي وأنه نقل منها ثمانية أحمال إلى الشام^١. ولكن المقرئ يعلق على ما أورده ابن أبي طي بأنه ليس يبعد حيث ذكر غير واحد من المؤرخين أن القاضي الفاضل أوقف في مدرسته التي يدرب ملوخيها مائة ألف مجلدة أخذها من جملة خزانة الكتب التي كانت بالقصر^٢.

ويصف ابن أبي طي الطريقة التي حصل بها القاضي الفاضل على هذه الكتب بقوله :

«وحصل للقاضي الفاضل قدرٌ منها كبير حيث شغفَ بحبها وذلك أنه دخل إليها واعتبرها، فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه في بركة كانت هناك، فلما قرع الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخرومات ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حصل ما حصل من الكتب، كذا أخبرني جماعة من المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى ابن محمد^٣».

فقد كان للقاضي الفاضل هوى في تحصيل الكتب، كما يقول الصفدي، وكان عنده زهاء مائتي ألف كتاب من كل كتاب نسخ^٤. وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نسخ لا يفترون ومجلدون لا يسأمون حتى بلغ

^١ أبو شامة: الروضتين ١: ٥٠٨.

^٢ المقرئ: مسودة المراجع والاعتبار ١٤٠ والمخطوط ١: ٤٠٩.

^٣ أبو شامة: الروضتين ١: ٥٠٧؛ الصفدي: الوافي ١٧: ٦٨٨.

^٤ الصفدي: الوافي ١٨: ٣٣٦.

عدد كتبه قبل وفاته بعشرين سنة مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب^١. وكان
خزانة كتب المدرسة الفاضلية فهرس^٢ لكتبها وآه القفطي واطلع عليه^٣.

وقد ذهبت مكتبة القاضي الفاضل الموجودة في مدرسته وتفرقت في نهاية
القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يقول المقرئ في سبب ذهابها:

«وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة
أربع وتسعين وستمائة - والسلطان يومتد الملك العادل كتبًا المنصوري - منهم
الضرفقصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من
الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت. وبها الآن مصحف
قرآن كبير القدر جدًا مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس
مصحف عثمان بن عفان، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين
ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو
في خزانة مفردة بجانب المحراب من غريبه وعليه مهابة وجلالة»^٤.

كذلك فقد كان للمكتبة التي كوّنوها الخلفاء الأمويون في قرطبة بالأندلس
شهرة كبيرة. وقد شرع في تكوين هذه المكتبة الخليفة الحكم الثاني المستنصر
واستعان في ذلك بوكلاء ودلائن انتشروا في العالم الإسلامي يجمعون له
الكتب، حتى بلغ ما احتوت عليه هذه الخزانة أكثر من أربعمئة ألف مجلد.
وكان الفهرس المشتمل على عناوين كتبها وأسماء مؤلفيها مكوّنًا من أربع
وأربعين كراسة كل كراسة منها تشتمل على خمسين ورقة.

يقول ابن خلدون والمقرئ في وصف الحكم المستنصر ومكتبته:

«كان محبًا للعلوم، مكرمًا لأهلها، جتاعًا للكتب في أنواعها بما لم
يجمعه أحد من الملوك قبله، قال أبو محمد بن حزم: أخبرني تليد الخصي -
وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان - أن عدد الفهارس التي فيها

^١ ابن العماد: شذرات الذهب ٤ : ٣٢٥.

^٢ القفطي: إنباء الرواء ٣ : ١٨٧.

^٣ المقرئ: الخطوط ٢ : ٣٦٦.

تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جُلِّيت إليها بقضائعه من كل قطر. ووفد على أبيه أبو علي القالي صاحب كتاب «الأمالي» من بغداد فأكرم مشوا، وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشراؤها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يمهده، وبعث في كتاب «الأغاني» إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة من قبل أن يخرجها إلى العراق، وكذلك فعل مع أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبدالحكم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الخلفاء في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يُذكر عن الناصر العباسي ابن المستنصر. ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب وأضح من موالي المنصور بن أبي عامر، ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة^١.

كما يقول المراكشي عنه أيضاً:

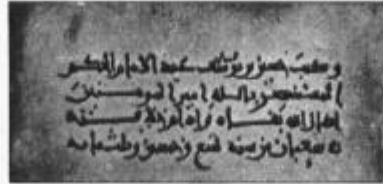
«جَمَعَ بقصره الخلفاء في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والمجيد في التجليد... واجتمعت له بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ومن بعده، وقلما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده»^٢.

^١ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٠٠: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤: ١١٦؛ القرني: فتح الطيب ١: ٣٨٥-٣٨٦ والتزميت بنص القرني. وراجع: -D. Wasserstein, «The Library of al-Hakam II al-Mustansir and the Culture of Islamic Spain», *MME* V (1990-1991), pp. 99-105.

^٢ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٦٣، ٦٢.

ومن بين كتب هذه الخزنة تحتفظ خزنة القرويين بقاس بنسخة من «المختصر في الفقه» لأبي مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارس الزُّهري كتبه حسين ابن يوسف للحكم المستنصر سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م، وهو محفوظ بها برقم ٨٧٤ وجاء في آخره:

«وكتب حسين بن يوسف عبدالإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام خلافته في شعبان من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة»^١.



خاتمة نسخة «المختصر في الفقه» المكتوبة بخزانة الحكم المستنصر

وقد ضاع كل أثر لهذه المكتبة الضخمة بعد سقوط غرناطة، خاصة بعد أن أمر الكاردينال سيزنيروس بإحراق كل الكتب المكتوبة باللغة العربية في الميدان العام بغرناطة^٢.

وكانت خزائن الكتب في مَشْرِقِ العالم الإسلامي كذلك غنية بالكتب والنادر. وقد زار ياقوت الحَمَوِي مدينة مَرُو في مطلع القرن السابع الهجري

^١ Lévi-Provençal, E., « Un manuscrit de la bibliothèque du calife al-Hakam II », *Hespéris* XVIII (1934), pp. 198-200.

^٢ خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية (ترجمة جمال محرز)، مجلة معهد الخطوط العربية ٤ (١٩٥٨)، ٨٨.

وأقام بها ثلاثة أعوام (٦١٣-٦١٦هـ) ووصف ما بها من خزائن الكتب، يقول:

«ولولا ما عرا من ورود النثر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما في أهلها من الرّفد ولين الجانب وحسّن العشرة وكثرة كُتُب الأصول المتقنة بها. فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقوف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خزانة في الجامع إحداهما يقال لها العزيرية وقفا رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر وكان قُضاعياً للسلطان سنجر وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مَرُو ثم صار شرايياً له وكان ذا مكانة منه، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلدًا أو ما يقاربها.

والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري إلى من تنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته، ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب. وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحاق في مدرسته، وخزانة للسبعانيين، وخزانة أخرى في المدرسة العبيدية، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الخاتونية في مدرستها، والضميرية في خاتكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكانت أرفع فيها وأقتبس من فوائدها وأنساني حبيها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد. وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعتهم فهو من تلك الخزائن»^١.

وأضاف ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» أنه شاهد بمدينة مَرُو نسخة من «تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السّمْعاني، وكتب منها نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان^٢، وذكر القفطي أن هذه النسخة ذهب خبرها في وقعة الترمذ سنة سبع عشرة وستمئة^٣. كما ذكر ياقوت أن أبا الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد الديباجي المَرُوزي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م

^١ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٥٠٩-٥١٠.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١: ٢٢٦.

^٣ القفطي: إنباء الرواء ١: ٢٢٦.

«كان ينظر في خزانة الكتب التي بالجامع الأكبر بمرو»^١، وأنه رأى في وقف هذا الجامع فهرس كتب أبي الريحان البيروني في نحو الستين ورقة بخط مكتنز^٢. كما أنه عندما ورد إلى مرو نظر في كتاب «المُذِيل» للسمعاني وقد ألحق فيه السمعاني بخطه في تضاعيف السطور بخط دقيق:

«قرأت بخط والدي - رحمه الله - سألت المبارك ابن الفاضل عن مولده فقال: ولدت سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة»^٣.

كذلك فقد وقع له بمرو كتاب «تمام الفصيح» لأحمد بن فارس بخطه وقد كتب في آخره:

«وكتب أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية»^٤.

وقد نقل ياقوت نسخة عنه في سنة ٦١٦ هـ وصنعت إلينا وهي محفوظة الآن في مكتبة شستر بيتي بدبلن برقم 3999 ونشرها آربري Arbery بالتصوير في لندن سنة ١٩٥١.

مكتبات المدارس

ومع ظهور السلاجقة وانتشار المدارس كمؤسسة سيّية تعمل على تدريس الفقه على المذاهب الأربعة ومحاربة الفكر الشيعي، وكذلك دور الحديث التي تَخَصَّصَتْ في تدريس الحديث النبوي، حَلَّتْ مكتبات المدارس في الشرق محل مكتبات قصور الخلفاء ودور العلم والحكمة. وأهم هذه المدارس سلسلة المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك وكذلك المدرسة

^١ السيوطي: بغية الرعاة ٤٥.

^٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٧ : ١٨٥ السيوطي: بغية الرعاة ٢١.

^٣ نفسه ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٦٩.

^٤ نفسه ٤ : ٨٢ و معجم البلدان ٤ : ٤٣٠ - ٤٣١ . وقد استدل ياقوت من هذه النسخة على تأخر وفاة ابن فارس على هذه السنة.

المستنصرية في بغداد، أما أول دار حديث فهي دار الحديث النورية التي أنشأها في دمشق السلطان نور الدين محمود سنة ٥٥٧هـ / ١٠٦٢م^١.

ويصف ابن القوطي خزانة الكتب التي كانت بالمدرسة المستنصرية التي شرع في بنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م وافتتحت عام ٦٣١هـ / ١٢٣٤م قائلا:

«ونقل في هذا اليوم (اللاثين ١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣١) إلى المدرسة من الرِّبَعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حملة مائة وستون حملاً^٢ وجعلت في خزانة الكتب، وتقدم إلى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحرم بالحضور بالمدرسة وإثبات الكتب واعتبارها، وإلى ولده المدّك ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضاً، فحضر واعتبرها ورثتها أحسن ترتيب مفصلاً لغونها ليسهل تناولها ولا يتعب تناولها»^٣.

أما عبد الرحمن الأرييلي فيصف الخليفة المستنصر بالله واهتمامه بالكتب بقوله:

«إنه لم يزل من أول أمره ومبدأ عمره متشاعلاً بالعلوم الدينية والأدبية عاكفاً على نقل الكتب حريصاً على ذلك مواظباً عليه، حسن الخط صحيح الضبط. ومن محبته للعلوم أنشأ خزانة كتب بشريف حضرة ومقدس سترته جمع فيها من أنواع العلوم على اختلافها وتباينها واتلافها بالأصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حدّ الكثرة»^٤.

^١ راجع Pedersem, L., and Makdisi, G., *Et art. Madrasa*, V, p. 1120, Makdisi G., *The Rise of Colleges - Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981.

^٢ في خلاصة الذهب المسبوك ٢٨٨: مائتين وتسعين حملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك.

^٣ ابن القوطي: الحوادث الجامعة ٥٤.

^٤ الأرييلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ٢٨٦.

وكان من بين كتب هذه الخزانة نسخة من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي في أربعة عشر مجلداً بخطه، ونسخة موقوفة من «مسند» الإمام أحمد بن حنبل تقع في تسعة عشر مجلداً، ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»^١.
ووضَّع هجوم المغول على بغداد وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م نهاية للعديد من خزائن الكتب ببغداد وضاع معها علم كثير، يقول ابن خلدون في وصف واقعة التتر:

«... واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعَدُّ، وألقيت كتب المعلم التي كانت بخزائنهم جميعاً في دجلة»^٢.

وباستيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر عرفت المدارس طريقها إليها وحلَّت محل خزائن كتب الفاطميين ودار العلم الفاطمية وكذلك الجامع الأزهر الذي لم تعد إليه صفته التعليمية إلا في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م في زمن الظاهر بيبرس، يقول القلقشندي وهو يكتب في مطلع القرن التاسع الهجري:

«أما الآن فقد قُلَّت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاءً بخزائن كتب المدارس التي ابتنوها من حيث أنها بذلك أمْس»^٣.

وهكذا ظَلَّت المدارس في مصر وأروقة الأزهر بعد إعادة افتتاحه تحتفظ بهذه الكتب وتضيف إليها ما أنتجه العلماء المسلمون من مؤلفات^٤. كما كانت هناك خزائن للكتب بقلعة الجبل - مقر حكام مصر منذ الدولة الأيوبية - ولكن حريقاً وقع بها في سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م أُنْثِفَ شيئاً كثيراً منها، يقول المقرئ:

«وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة قُتِلَ بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئاً كثيراً جداً كان

^١ حاجي خليفة : كشف الظنون ٢ : ٥٠١١٩ : ٥٣٤.

^٢ ابن خلدون : المعبر ٣ : ٥٣٧ : القلقشندي : صبح ١ : ١٦٦ والنظر السيوطي : الزهر ١ : ٩٧.

^٣ القلقشندي : صبح الأمل ١ : ٤٦٧.

^٤ أمين فؤاد : المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ١٢٠ - ١٢٥.

من ذخائر الملوك، فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقاً محترقة ظفّر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأنفس الأثمان»^١.

وكان في أغلب مدارس القاهرة في العصر المملوكي خزائن للكتب مثل: المدرسة الصاحبية والمدرسة الظاهرية ببيبرس والمدرسة الناصرية بمحمد بن قلاوون والمدرسة الحجازية والمدرسة الطيرسية والمدرسة المنكوثرية ومدرسة آل ملك الجوكندار والمدرسة المسابقية والمدرسة البشيرية والمدرسة المحمودية ومدرسة ألباي اليوسفي ومدرسة خوتد بركة^٢.

أما أهم خزائن كتب المدارس فكانت خزانة كتب القبة المنصورية، وهي أحد ثلاث عمائر متجاورة أنشأها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م (مدرسة وقبة ومارستان) وقد وصّف النويري هذه الخزانة بقوله:

«ويخزّنة كتبها من الحفتمات الشريفة والرّبعات المنسوبة الخط وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء شئ كثير»

وأضاف أنه رتّب لخازن كتبها في كل شهر أربعون درهماً^٣.

أما المقرئ الذي كتّب بعد النويري بأكثر من قرن فيذكر أن:

«بهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم مما وقّعه الملك المنصور وغيره. وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرّق في أيدي الناس»^٤.

^١ المقرئ: الخط ٢: ٢١٢ س ٣١-٣٣، وانظر ابن القرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٦٥ المعني: عقد الجمان ٣: ١١٠.

^٢ المقرئ: الخط ٢: ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٩ وانظر كذلك عبدالمطيف إبراهيم: «المكتبة المملوكية» بحث في كتاب دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ١-٨٦.

^٣ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٣١: ١١١.

^٤ المقرئ: الخط ٢: ٣٨٠.

ومن بين كتب هذه الخزانة وصل إلينا الجزء الأول من كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها» للوزير الحسين بن علي بن الحسين المغربي الكاتب المتوفى سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م، وهو محفوظ اليوم في المكتبة العامة بمدينة بورصة التركية. وجاء على ظهر صفحة العنوان:

«هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المخزونة في خزانة القبة المنصورية بمصر المحروسة للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه، ورحم الله تعالى امرأً يوصّل هذا الكتاب لمقره بعد اندراجي إلى رحمة الله تعالى وأنا المحتاج إليه ويسى عفا الله تعالى عنه».

وقطعة من كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار محفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول برقم ١١٤١ كتب في أعلى صفحتها الأولى فوق عنوان الكتاب ما نصه:

«وَقَفَّ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ

ومقره بالقبة المنصورية»

وخزانة كتب مدرسة الأمير جمال الدين الأستاذ دار برّحبة باب العيد التي بدئ في بنائها يوم السبت خامس جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م، يقول المقرئ:

«كان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التي كانت بالصوّة تجاه الطبلخانة من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكّنت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكّنت ومن المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة، فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجي بن الأشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك وتقلّها إلى داره وكان مما فيها:

«عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها

بخطوط متسوية ولها جلود في غاية الحسن معمولة في أكياس الحرير الأطلس، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره في مدرسته^١.

ولما قبض السلطان الناصر فرج بن برقوق علي جمال الدين الأستاذار وقتله ختنقاً في سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، محى من هذه المدرسة اسمه وزكته وكتب اسمه هو بدائر صحتها وعلى قناديلها وبسطها وسقفها، ثم نظر في كتبها العلمية الموقوفة بها فأقر منها جملة بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له، وحمل كثيراً من كتبها إلى قلعة الجبل، وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجمالية^٢.

ولم يقتصر إنشاء خزائن الكتب على المدارس المملوكية وحدها بل عرفت بها الجوامع والخوانق والربط والزوايا، فعندما أنشأ الأمير عز الدين أيمن الخطيري جامع ببولاق سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م «جعل فيه خزانة كتب جلييلة نفيسة... ووقف عليه عدة أوقاف جلييلة»^٣، كما كانت هناك خزانة كتب في كل من الخانقاه البكتيرية ورباط الآثار الواقع خارج مصر على النيل^٤.

وإذا كان المقريري لا يذكر لنا شيئاً عن بعض المدارس التي نعلم أنها كانت تحتوي على خزائن كتب نفيسة، فإن حجب الأوقاف التي وصلت إلينا والخاصة ببعض المدارس المملوكية تشير إلى وجود خزائن هامة بهذه المدارس مثل: المدرسة الصرخشمشية بجوار الجامع الطولوني ومدرسة السلطان الناصر حسن

^١ المقريري: الخطوط ٢: ٤٠٦.

^٢ نفسه: ٢: ٢٠٤.

^٣ نفسه: ٢: ٣١٢.

^٤ نفسه: ٢: ٤٢٩، ٤٢٤.

بخط سوق الخيل بالقلعة^١، والمدرسة المؤيدية بجوار باب زويلة التي تُحدّد لنا حُجّة وقَف المؤيد شيخ موقع مكتبتها وتصفه بأنه:

«دهليز به شبابيك نحاس يدخل منه إلى قاعة يرسم الكتب تشتغل على إيوان ودور قاعة مفروشة بالبلاط الكدان بها شبابيك نحاس»^٢.

ويضيف المقرئ في وصف المكتبة نفسها قائلاً:

«ثم نزل السلطان في عشرين للمحرم [سنة ٨٢٠هـ] إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التي عملت هناك وقد حَمَلَ إليها كتباً كثيرة في أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقُدِّمَ له ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار، فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزي بأن يكون خطيباً وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته»^٣.

وأيضاً المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان برُسباي بالخريين بالقاهرة (٨٢٧هـ / ١٤٢٤م)، ومدرسة الأشرف قايتباي بالصحراء الشرقية (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م)، وأخيراً مدرسة الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري بخط الجرايشين بالقاهرة (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م)^٤.

كذلك فقد أوقف كبار الأمراء في عصر قايتباي وقانصوه الغوري على مدارسهم مكتبات هامة مثل قجّماس الإسحاق أمير آخور كبير، والأتابكي أزيك من ططّخ، ويَشْبِك من مَهدي الدوادار الكبير، والسيفي قاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير، والأمير خاير بك بن مال باي، والسيفي بيبرس بن عيدالله الخياط^٥.

١ عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية ٢٢ - ٢٣.

٢ نفسه ٢٩.

٣ المقرئ: الخطوط ٢: ٣٢٩.

٤ عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية ٣٠ - ٣٥.

٥ نفسه ٣٢ - ٣٣، ٣٦.

ومن حسن الحظ فقد وصلت إلينا العديد من المصاحف المملوكية التي أوقفها سلاطين المالكيك على مدارسهم والتي نقل أغلبها إلى دار الكتب المصرية، وكذلك الكتب التي كتبت برسم خزانهم أو التي أوقفوها عليها^١. وقد شرطوا جميعاً أن لا يُخرج خازن الكتب شيئاً من الكتب والمصاحف من هذه المدارس برهن ولا بعارية ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه.

وكانت خزانة الكتب في المدرسة المملوكية تحتل مركزاً رئيسياً كجزء لا يتجزأ من المدرسة فهي ليست قائمة بذاتها في مبنى مستقل أو ملحق بالمدرسة، بل توجد ضمن عمارة المدرسة نفسها في مكان متوسط ومناسب من البناء كله بين الإيوانات الأربعة التي كانت بها مساكن الطلبة ليسهل الوصول إليها وليكون موقعها وظيفياً، وغالباً ما تكون خزانة الكتب في إيوان القبلة بالذات وذلك حتى تكون كتبها في متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين في مختلف الإيوانات في المدرسة المملوكية ذات التصميم المتعامد *Cruciform*، فكانت دائماً قريبة من مساكن الطلبة بها وفي مكان مرتفع عن أرضية الشارع وبعيدة في الوقت نفسه عن دورات المياه والروطبة، لذلك كان إيوان القبلة الذي به المحراب هو أنسب مكان لها^٢.

وقد حرص واقفو خزائن الكتب في المدارس والمساجد الجامعة على أن يضعوا لها من الشروط والأحكام ما يضمن ذخائرها من الضياع، وضمنوا وقفياتهم أو تحبيساتهم شروطاً دقيقة كان من أهمها حظر إخراج الكتب منها.

^١ راجع: Moritz, B., *Arabic Palaeography*, Cairo - Wien 1905; James, D., *The Qur'ān of the Mamluks*, London 1977.

^٢ عبداللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية ٤٠ - ٤٢.

ولم تقف عنايتهم عند هذه الشروط بل وضعوا للمتفتحين بها والمترددین عليها حدوداً وأدباً يلتزمون بها في استعارة الكتب والإطلاع عليها والاستنساخ منها وإعادتها، وغير ذلك من الأمور التي تعتبر غوذجاً رفيعاً لما يُعرف الآن به الخدمة المكتبية^١.

ومن حسن الحظ فقد وصل إلينا نصٌ بالغ الأهمية عن مكتبة في القاهرة مخصصة للإطلاع ولاتتبع إعارة الكتب خارجها، كتبه الحافظ جلال الدين السيوطي سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م خاص بـ «المدرسة المحمودية» التي كانت تقع في حُطّ الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة خارج باب زويلة، ومكانها اليوم الجامع المعروف بجامع الكردي الواقع في آخر شارع قصبة رضوان من أول الحبيبة من جهة باب زويلة^٢.

يقول المقرئ في وصف هذه المكتبة:

«ولا يُعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر»^٣.

وقد أنشأ هذه المدرسة عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستاذار. وكانت كتبها كثيرة جداً، كما يقول ابن حجر، وتعد من أنفس الكتب الموجودة في وقته بالقاهرة وهي من جمع القاضي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكتاني الحموي المقدسي المتوفى سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م في طول عمره، واشتراها محمود الأستاذار من تركته بعد موته ووقفها وشرط أن لا يخرج منها شيء من مدرسته^٤.

^١ فؤاد سيد: «نصان قديمان في إعارة الكتب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨)، ١٢٥.

^٢ نشره فؤاد سيد في المقال السابق.

^٣ المقرئ: الخطط ٢: ٣٩٥.

^٤ ابن حجر: إنباء القعر ٣: ٢٩٩ و ٣٥٦، فؤاد سيد: المرجع السابق ١٢٨.

يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة القاضي ابن جماعة:

«تألف من الكتب النفيسة ما يمتاز اجتماع مثله لأنه كان مغرمًا بها، فكان يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسَن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخط المصنفين ما لا يُعبر عنه كثرةً، ثم صار أكثرها إلى جمال الدين محمود الأستاذار فوقها بمدرسته بالموازين وانتفع بها الطلبة إلى هذا الوقت»^١.

وقد جاء نص وقفية جمال الدين الأستاذار على جميع كتب المكتبة على المثال التالي:

«الحمد لله حقَّ حمده

وقَفَ وَحَسَّ سَبِيلَ الْمَقَرِّ الْأَشْرَفِ الْعَالِي الْجَمَالِي مُحَمَّدُ أَسْتَاذَارُ الْعَالِيَةِ الْمَلِكِي الظَاهِرِي أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ جَمِيعَ هَذَا الْمَجْلَدِ وَمَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَجْلَدَاتِ مِنْ كِتَابِ سِيرِ النَّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ وَغَدَاةَ ذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ مَجْلَدًا مُتَوَالِيَةً أَوَّلُهَا الثَّالِثُ وَآخِرُهَا الرَّابِعُ عَشَرَ وَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مَفْقُودَانِ وَقَفًّا شَرْعِيًّا عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ وَجَعَلَ مَقَرَّ ذَلِكَ بِالْخِزَانَةِ السَّعِيدَةِ الْمُرَصَّدَةِ لِذَلِكَ بِمَدْرَسَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِخَطِّ الْمَوَازِينِ بِالْأَشَارِعِ الْأَعْظَمِ بِالْقَاهِرَةِ الْمُحَرَّوسَةِ، وَشَرَطَ الْوَاقِفَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ ذَلِكَ وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِزَعْنٍ وَلَا بِغَيْرِهِ. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَرَأَا أَلَمَهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. بِتَارِيخِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَسِيعِمَائَةٍ».

ويذكر شمس الدين السخاوي في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» عند الكلام على وظائف شيخه ابن حجر أنه كان بيده خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية بعد أن عُرِلَ عنها خازنها القنْزُ عثمان المعروف بالطاغي في سنة ست وعشرين وثمانمائة لكونها نقصت

^١ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣٥٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ٣١٢.

بتفريظه المُشتر، وهو أربعمئة مجلدة، لأن كتبها كانت أربعة آلاف مجلدة. ولنفاضة كتبها رغب شيخنا [يعني ابن حجر] في مباشرتها بنفسه، وعمل لها فهرساً على الحروف في أسماء التصانيف ونحوها وأخر على الفنون، وقد انتفع بذلك وتقع الله به فإنه كان يقيم بها في الأسبوع غالباً يوماً، وفي مدة الأسبوع يكتب في قائمة ما يحتاج لمراجعته منها بسببه في تصانيفه وغيرها ليتذكره في يوم حلوله بها كما شاهدته، وتيسر على يده عود أشياء مما كان ضاع قبله، واستمرت بيده حتى مات^١ [توفي ابن حجر سنة ٨٥٢هـ].

ورغم أن ابن حجر يذكر أن مجموع كتب هذه الخزانة كان نحو أربعة آلاف مجلدة فلم يبق منها في نهاية القرن الماضي، عندما جمعت الكتب الموجودة في المدارس والمساجد لتضم إلى الكتبخانة الخديوية، سوى ثمانية وخمسين كتاباً فقط^٢.

ومن بين المخطوطات التي كانت بهذه المكتبة نسخة كاملة في مئة مجلدات من كتاب «تجارب الأمم وعواقب الهيم» لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ. كتبت سنة ٥٥٢هـ عليها توقيف من المقر الأشرف العالي الجمالي محمود أستاذار العالية على طلبة العلم بمدرسته بخط الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة مؤرخ سنة ٧٩٧هـ. وقد استقرت هذه المخطوطة اليوم بمكتبة آيا صوفيا باستامبول تحت رقم ٣١١٦ - ٣١٢١، ونشرها كايثاني Caetani مصورة مع مقدمة وملخص بالإنجليزية في سلسلة جب التذكارية بين سنتي ١٩٠٩ - ١٩١٧.

ومن بين كتب هذه المكتبة كذلك التي انتقلت إلى تركيا نسخة من «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري محفوظة في مكتبة كوبرلي برقم ١٣٣٣ - ١٣٣٤، ونسخة من «معجم البلدان» لياقوت الحموي أيضاً في مكتبة كوبرلي برقم ١١٦١ - ١١٦٥، ونسخة من «تاريخ الإسلام» للذهبي بخطه كتبها سنة ٧٢٦هـ وعليها قراءة بخط الصفيدي مؤرخة سنة ٧٣٥هـ محفوظة في مكتبة آيا

^١ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٩٩ و ٣٥٦، فواد سيد: المرجع السابق ١٢٨.

^٢ فواد سيد: المرجع السابق ١٢٣.

صوفيا باستانبول برقم ٢٠٠٥ - ٣٠١٤، ونسخة ناقصة من «سير أعلام النبلاء» للذهبي أيضاً كتبت سنة ٧٣٩هـ عن نسخة المؤلف في حياته محفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٢٩١٠، ونسخة من كتاب «المعرفة والتاريخ» لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي محفوظة في مكتبة روان كشك في تركيا تحت رقم ١٤٤٥، ونسخة من «ديوان البُحْثري» كتبت في تبريز سنة ٤٢٤هـ / ١٠٣٣م بخط علي بن عبيد الله الشيرازي محفوظة في مكتبة كويريلي تحت رقم ١٢٥٢.

وقد ظلت مكتبات المدارس في مصر تشتهر بنفاسة كتبها وقيمتها حتى الفتح العثماني لمصر، يقول ابن إياس الحنفي عند وصفه حوادث الفتح في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م:

«ثم إن الوزراء استخرجوا لأخذ الكتب النفيسة التي في المدرسة المحمودية والمؤيدية والصغرغتمشية، وغير ذلك من المدارس التي فيها الكتب النفيسة فقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها، ولم يعرفوا الحرام من الحلال في ذلك»^١.

وقد أدى سقوط الدولة المملوكية واستيلاء العثمانيين على السلطة إلى حدوث تغيير جيوبولتيكي بالغ الأهمية أدى إلى نقل محور الارتكاز وزعامة الدولة الإسلامية من القاهرة إلى استانبول، وإلى تحويل المذهب الفقهي الرسمي للدولة نهائياً إلى المذهب الحنفي.

وهكذا أخرج العثمانيون من مصر ومن سائر البلاد العربية التي فتحوها ثروة ضخمة من المصاحف والمخطوطات النادرة حملوها معهم إلى تركيا، كانت نواة المجموعة الضخمة من المخطوطات العربية التي تحتفظ بها الآن مكتبات تركيا والتي تزيد على ثلاثمائة ألف مخطوط^٢. وأخرجوا كذلك باعتبارهم ورقة

^١ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥ : ١٧٩.

^٢ راجع، نعمت بيرقدار ومهين لوزغال: بيبوغرافيا مكتبات المخطوطات في تركيا والتشورات الصادرة حول المخطوطات المحفوظة فيها، استانبول - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ١٩٩٦.

الدول الإسلامية السابقة العديد من المخطّفات النّبوية والممتلكات الثقافية التي يَترُخَر بها الآن متحف طوب قبو سراي باستانبول .

وطوال العصر العثماني ونتيجة لتقهقر موقع مصر من دولة مستقلة إلى مجرد ولاية في الإمبراطورية العثمانية وكذلك سائر الدول العربية ، ونتيجة لتردد العديد من الرحالة والمغامرين وعن طريق قناصل الدول ، خرجت منها بطرق غير شرعية أقرب إلى السرقة والنّهب الكثير من المخطوطات والممتلكات الثقافية التي استقرت في مكتبات ومتاحف أوروبا . ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر لتستولي كذلك على العديد من المخطوطات النادرة التي عرفت طريقها إلى المكتبة الأهلية في باريس .

ومع ذلك فلم تُعَدَم مصر في العصر العثماني من وجود العديد من المخطوطات والكتب الهامة التي ظلّت محفوظة في المدارس والجوامع والزوايا وأروقة الأزهر وعند الأفراد والعلماء على امتداد القطر المصري . ومن بين هذه المكتبات نشير إلى واحدة من أشهر مكتبات المساجد العثمانية في مصر إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي هي مكتبة الأمير محمد بك أبي الذهب التي وقّعتها على طلبة العلم بجامعه المعروف في ميدان الأزهر بالقاهرة . وقد وصّلت إلينا حُجّة وقّفت هذه المكتبة وهي محفوظة في الأرشيف التاريخي بوزارة الأوقاف بالقاهرة تحت رقم ٩٠٠ ومؤرخة في ٨ شوال سنة ١١٨٨ هـ وهو أيضاً تاريخ الانتهاء من عمارة جامعهم بميدان الأزهر . وتوقّر على دراستها ونشرها عالم الوثائق المعروف الدكتور عبد اللطيف إبراهيم^١ .

وقد اعتنى محمد بك أبو الذهب بتكوين مكتبته فضمّ إليها الكتب التي أخذها من الشيخ أحمد بن محمد بن شاهين الراشدي الشافعي الأزهري الذي اشتهر بأنه كانت لديه مجموعة طبية وكبيرة من الكتب الصحيحة المخدمومة وعلى الأخص كتب الحديث ، يقول على مبارك :

^١ عبد اللطيف إبراهيم : «مكتبة عثمانية - دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» البحث الخامس في كتابه دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ، ١ - ٣٥ .

«وقد جُمِلَ في غزاة كُتِبَ نحو مئة وخمسين كتاباً منها جملة وأقرة من كتب التفسير ككتاب الفخر الرازي والكشاف والذُرر المنثور والبحر والبيضاوي والجلالين وحواشيه وأبي السعود وغير ذلك.

وجملة من كتب الحديث كالسُنن الستة وشروحها والشفاء والجمع بين الصحيحين والمواهب اللدنية وغير ذلك.

وجملة من كتب القراءات، وجملة من كتب التصوف وفقه المذاهب الأربعة، وكتب النحو والمعاني والبيان والصرف واللغة والنطق والتوحيد والفرائض والتواريخ، وغير ذلك»^١.

ويُكَلِّغ من اهتمام الأمير محمد بك أبي الذهب بتزويد مكتبته بالمؤلفات القيمة أنه اشترى من السيد محمد بن محمد المعروف بمُرْتَضَى الزَّيْدِي شرحه للقاموس المسمى «تاج العروس» بمبلغ مائة ألف درهم فضة ووَضَعَهُ في مكتبته لتنفرد بذلك دون غيرها^٢.

وكانت المكتبة تقع بجوار قبر الأمير محمد بك أبي الذهب وقبر ابنته عديلة هانم زوجة إبراهيم بيك الألفي^٣، يقول الأثري الراحل حسن عبدالوهاب في وصف الجامع :

«وفي الطرف الشرقي البحري للرواق الخارجي سياج كبير من النحاس المُقَرَّبُ بأشكال جميلة توجد خلفه تربة المنش... . تجاورها حجرة المكتبة وعليها سياج نحاسي، وما زالت محتفظة بأرففها المحلاة بنقوش مذهبة يفصلها عن المدفن سياج نحاسي به باب، وهذا القسم كان كله مُخَصَّصاً للمكتبة»^٤.

^١ على مبارك : الخطط الترفيقية الجديدة ٥ : ١٠٨ (٢٤٦).

^٢ الجبرتي : عجائب الآثار ١ : ٤٠٩ و ٢ : ١٩٦ - ١٩٩ عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٠.

^٣ على مبارك : الخطط الترفيقية الجديدة ٥ : ١٠٤ (٢٣٨).

^٤ حسن عبدالوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٣٥٥.

ويُكَلِّعَ رصيد المكتبة في القرن الثالث عشر الهجري ١٢٩٦ مجلدًا عدا
المصاحف المذهبة القيمة^١.

وقد جاء في حُجَّة وَكْفَ الأمير محمد بك أبي الذهب فيما يخص المكتبة :

«إن مولانا الأمير محمد بيك الواقف المشار إليه أعلاه وَكَّفَ أيضًا وَحَبَسَ
وسَيَّلَ وَتَصَدَّقَ لله سبحانه وتعالى بجميع الكتب الشريفة الجليلة المعتبرة التي
حَوَتْ القرآن وأنواع الفنون من تفسير وحديث وفقه وشروح ومتون وغير
ذلك مما يأتي ببيان فيه المشتملة بدلالة الدفتر المكتتب في شأن ذلك
على...»^٢.

واشترطت الحُجَّة كذلك

«أنه إذا ضاع شيء من الكتب الموقوفة المذكورة فيكون على كل من يكون
خازنًا بالكتب المذكورة القيام بنظيره من ماله وليس على جهة الوقف المذكور
القيام بشيء من ذلك»^٣.

وقد وَصَلَ إلينا من الكتب التي أوقفها محمد بيك أبي الذهب نسخة من
كتاب «الأمالي النحوية» لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م، وهي
محافظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦ نحو، ومصحف مغربي محفوظ
أيضًا بدار الكتب تحت رقم ٢٥ مصاحف، وفي كل صفحة منها ختم الأمير
ونص يوقفه صيغته :

«وقف المرحوم محمد بيك بجامعة».

^١ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٣٥٢.

^٢ عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ٨ - ٩ ، ١٩.

^٣ نفسه ١٢ ، ٣٥.

هَوَاةُ الْكُتُبِ وَالْمَكْتَبَاتِ الْخَاصَّةُ

من المؤسف أن المؤرخين العرب والمسلمين لم يُفردوا مؤلفات خاصة بتاريخ المكتبات العربية وكل ما ذكروه جاء عَرَضًا في كتب التاريخ والتراجم التي أشارت إلى العديد من المكتبات الخاصة التي جَمَعَهَا العلماء وهَوَاةُ الْكُتُبِ سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي أو التي وقفوها على طَلَبَةِ الْعِلْمِ، فقد كان لكل عالم أو مؤلف مكتبة لاستخدامه الشخصي تتفاوت قيمة كتبها تبعًا لأهمية العالم وقيمه العلمية. فمن ذلك ما ذكره ابن التديم عن محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، قال:

«قرأت بخط عتيق قال: خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قَمَطَرٍ كُتِبَ كُلُّ قَمَطَرٍ مِنْهَا حَمْلٌ رَجُلَيْنِ. وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار، وقبل ذلك بيع له كتب بالقي دينار»^١.

و عن مكتبة أبي الحسين عبد العزيز بن إبراهيم بن حاجب النعمان التي «لم تشاهد خزائنه للكتب أحسن من خزائنه لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان قرء بخطوط العلماء المنسوبة»^٢.

وما ذكره كذلك عن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي بَعْرَةَ والذي كان بمدينة الحديثة بالعراق يقول عنه:

«كان جَمَاعَةٌ لِلْكِتَابِ له خزائنه لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب الغربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقبت هذا الرجل دفعات فأنس بي، وكان نفورًا ضيقًا بما عنده وخائفًا من بني حمدان، فأخرج إلي قَمَطَرًا كبيرًا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس

^١ ابن التديم: الفهرست ١١١.

^٢ نفسه ١٤٩.

مصري وورق صيني وورق تهاشي وجلود آدم وورق خراساني، فيها تعليقات
لغة عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات
والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم. وذكر أن
رجلا من أهل الكوفة، ذهب عنه اسمه، كان مشتهرا بجمع المخطوط القديمة
وأنة لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضل من محمد بن
الحسين عليه ومجانسة بالمذهب فإنه كان شيعيا، فرأيتها وقليتها فرأيت عجباً
إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها وأحرقها، وكان على كل
جزء أو ورقة أو مدرج توضيح بخطوط العلماء واحد إثر واحد يذكر فيه خط
من هو وتحت كل توقيع توقيع آخر، خمسة وستة من شهادات العلماء على
خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهيثاج
صاحب على رضى الله عنه، ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن
حسن رحمه الله، ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين. ورأيت
عدة أمانات وعهود بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتّاب
النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل: أبي
عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه
والفراء والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث مثل: مشيهان بن عبيدة
ومسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم، ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي
الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها:

هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمه الله عليه، وتحت
هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا
خط علان النحوي، وتحت هذا خط النضر بن شميل.

ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خيراً ولا
رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه^١.

وأيضاً ما ذكره عن أبي العباس جعفر بن محمد المروزي من أنه:

^١ ابن النديم: الفهرست ٤٦، القطعي: إتياء الرواة ١: ٧ - ٩.

«أحد جمّاهي ومؤلفي الكتب في أنواع من العلم وكتبه كثيرة جداً . وهو أول من ألف كتاباً في المسالك والممالك ولم يتم . ومات بالأهواز وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحراتي سنة أربع وسبعين ومئتين»^١ .

وعن أبي محمد الفتح بن خاقان المتوفى سنة ٢٤٧هـ / ٢٦١م من أنه :

«كانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى النجم لم ير أعظم منها كثرة وحسناً»^٢

وكان لعلي بن النجم هذا بكَرُكْر من نواحي القفص كما يقول ياقوت :

«قصرٌ جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبدولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى . فقدم أبو سَعْدُ النجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم ، فوصّلت له الخزانة فمضى ورآها فهاهنا أمرها ، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى أُلْهِدَ»^٣ .

ويُحدِّثنا الجاحظ كذلك أن يحيى بن خالد البرمكي كانت له خزانة كتب فيها من كل كتاب ثلاث نسخ^٤ ، وأن إسحاق بن سليمان الهاشمي - والي الرشيد على البصرة - كان له بيت كتب فيه «الأسقاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساظر والمحابر»^٥ .

وذكر القفطي عن أبي القاسم سهيل بن محمد السجستاني الجشمي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م أنه :

«كان جماعة للكتب وكان يتجر فيها»^٦ .

^١ ابن النديم : الفهرست ١٦٧ ياقوت : معجم الأدياء ٧ : ١٥ .

^٢ نقب ١٣٠ : نفسه ١٦ : ١٧٤ .

^٣ ياقوت : معجم الأدياء ١٥ : ١٥٧ .

^٤ الجاحظ : الخيران ١ : ٦٠ .

^٥ نفسه ١ : ٦١ .

^٦ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٥٩ .

وأضاف :

«والتقى أن ابن الليث الصنفار صاحب سجستان ملك بعد موت أبي حاتم شيراز والأهواز، وخاف منه أهل البصرة أن يستولى على بلدهم. وسمع ابن الصنفار بموت أبي حاتم واشتاق نفسه إلى كتبه فسير من ابتاعها من ورثته ووقف أهل البصرة عن المزاينة فيها خشية من ابن الصنفار ومصانعة له، فابتيعت بقيمة أربعة عشر ألف دينار وتقلت إلى يعقوب لم يترك منها شيئا»^١.

وذكر كذلك عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هانئ النيسابوري أنه :

«كان جماعة للكتب كثير الحفظ لها أن صارت جملة عظيمة وأبيعت بأربعمائة ألف درهم. وكان قد أعد في حياته دارا لكل من يقدم من المستفيدين فيأمر بإزالة فيها ويزيح علله في الشئخ والورق ويوسع الثقة عليه»^٢.

ويذكر الخطيب البغدادي والصفدي أن الحافظ أبا الحسن محمد بن العباس ابن أحمد بن محمد بن الفرات البغدادي المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م :

«كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد في زمانه وكان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ وخلق ثمانية عشر صندوقا مملوء كتبًا غير ما سرق له وأكثر ذلك بخطه، وكانت له جارية تعارض معه ما يكتبه وكان مأمورا ثقة... وكتابه هو الحجة في صحة النقل وجودة القبط»^٣.

كما أن أبا الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م.

^١ القفطي : إنباء الرواة ٢ : ٦٤

^٢ نفسه ٢ : ١٢٧، الصفدي : الرافعي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ - ٥٢٦.

^٣ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣ : ١٢٣، الصفدي : الرافعي ٣ : ١٩٦.

«كان يشتري من الوراقين الكتب التي لم يكن سمعها ويسمع فيها نفسه... واحترقت كتبه دَقَمَات وروى شيئاً كثيراً»^١.

كذلك فإن أبا بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس الصولي الشَّطْرَجِي المتوفى سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م

«كان له بيتٌ عظيمٌ مملوء كتباً، وكان يقول: كل هذه الكتب سماعي»^٢.

وكان من جملة ما اعتذر به الوزير صاحب إسماعيل بن عبيد المتوفى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م إلى الملك نوح بن منصور الساماني صاحب خراسان عندما أرسل إليه سرّاً يستدعيه إلى حضرته ويرغبه في خدمته، أن عنده «من كتب العلم خاصة ما يُحتمل على أربعمئة جمل أو أكثر»^٣.

وقد أنشأ نوح بن منصور الساماني نفسه مكتبةً كبيرةً في بخارى استفاد منها الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الذي قال في وصفها:

«فسألت يوماً دخولي دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب، فأذن لي، فدخلت داراً ذات بيوت في كل بيت صناديق كتب مُنْفِذَةٌ بعضها على البعض؛ في بيت العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكل بيت كتبٌ علم مفرد. فطلعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه، ورأيت هناك من الكتب ما لم يقع إليّ اسمه، قرأت تلك الكتب وطلعت بفوائدها»^٤.

كذلك أنشأ عضد الدولة بن بويه بمدينة شيراز داراً زارها الجغرافي الشهير المقدسي البشاري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وقال: «لم أرفى شرق ولا غرب مثلاً» جعل بها خزانة كتب ضخمة وصفاً بقوله:

^١ ابن الجوزي: المتكلم ٦ : ٣٧٠.

^٢ نفسه ٦ : ٣٥٩.

^٣ ياقوت: معجم الأديباء ٦ : ٢٥٩، السير ملي: الزهر ١ : ٩٧.

^٤ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٤. وذكر حاجي خليفة أن هذه المكتبة كانت بأصبهان وتُعرف بـ «صوان الحكمة»، وأن الشيخ الرئيس أخذ الحكمة من كتب هذه المكتبة التي وجد فيها كتاب «التعليم الثاني» للقرابي ولخص منه كتاب «الشفاء»، ثم أن هذه الخزانة أصابها آفة فاحترقت كتبها وأنهم ابن سينا بأنه أخذ منها مصنفاته ثم أحرقها حتى لا يطلع عليها أحد (كشف الظنون ٣ : ٩٩).

«وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صُنِفَ إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحَصِّلَ فيها. وهي أزج طويل في صُفَّة كبيرة فيه خزان من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق. عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر مَنصُفَّة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجيه»^١.

ونحن نعرف أن أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء أبا حَيَّان الشوحدي المتوفى سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م قد أحرق كتبه لقلّة جدواها له وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته^٢، وأضاف السيوطي قائلاً:
«لعل السُّخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخُرِجَت عنه قبل حرقها»^٣.

وربما كان اشتغاله بالسُّخ وتأليفه كتبه وتقديمها إلى بعض رؤساء عصره أملاً في مجازاته عليها سبباً في بقاء العديد منها ونجاته من الحرق.

وعندما أقدم أبو حَيَّان على ذلك كتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يَعْدِلُهُ على صنيعه ويُعَرِّفُهُ قُبْح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه أبو حَيَّان معتذراً عن ذلك بكتاب مؤرخ في شهر رمضان سنة أربعمائة / مايو ١٠١٠ م يذكر فيه كيف سبقه إلى هذا الفعل علماء كبار، وبذلك ضاع عَنَّا علم كثير وفقدنا بإحراقها العديد من المخطوطات النادرة، يقول في الرسالة:

«وَيَعْدُ قُلِي فِي إِحْراق هذه الكتب أسوءُ بآثمة يُقَدِّدُ بهم، وَيُؤَخِّدُ بهديهم، ويعشى إلى نارههم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زُهد ظاهر ووَزع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر».

^١ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٤٤٩.

^٢ باقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٦٦ السيوطي: بغية الرعاة ٣٤٩.

^٣ السيوطي: بغية الرعاة ٣٤٩.

وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زُهْدًا وقَفها وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال بُنَاجِيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناءٌ وذَهولٌ وِلاءٌ وعَمَلٌ.

وهذا يوسف بن أسباط، حَمَلَ كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسدَّ بابيه، فلما عَوْتُبَ على ذلك قال: دَلَّنا العلم في الأول ثم كُناهُ يُضَلُّنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.

وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في ثَنُورٍ وسَجَرها بالنار ثم قال: والله ما أحرَقْتُ حتى كُدتَ أحرَقَ بك.

وهذا سفيان الثوري: مَرَّقَ ألف جزءٍ وطَوَّرها في الريح وقال: ليت يدي قُطعت من هاهنا بل من هاهنا ولم أكتب حرفًا.

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء، قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طَمَمَةً للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زمانًا أخرج مثلي إلى ما بَلَغك، لزمان تدمع له العين حزناً وأسى، وَيَقْطَعُ عليه القلب غيظًا وجوى وضناً وشجى، وما يصنعُ بما كان وَحَدَّثَ وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شاف كاف، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ الفرطاس بعد الفرطاس، إلى أن تفي الأنفاس بعد الأنفاس^١.

وكانت بطراييل الشام في القرن الرابع الهجري خزان كتب وقَفها ذوو اليسار من أهلها تَرَدَّدَ عليها أبو العلاء المَعَرِّي وأخذ منها ما أخذ من العلم^٢، حتى أنه عندما زار ببغداد خزانة الكتب التي بيد عبد السلام البصري وعَرَضَ عليه أسماءها لم يستغرب منها شيئاً لم يره بخزان الكتب بطراييل سوى «ديوان تيم اللات» فاستعاره منه وخرَّجَ من بغداد وقد سها عن إعادته، ولم يذكره حتى صار بالمعرة، فأعاده إليه وفي صحبته قصيدة ثانية يعتذر بها عن ذلك^٣.

^١ ياقوت: معجم الأدياء ١٥ : ١٥ - ١٧.

^٢ القفطي: إنباء الرواة ١ : ٥٠.

^٣ القفطي: إنباء الرواة ٢ : ١٢٧؛ الصفي: الرائي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ - ٥٢٦.

وهذه الخزانة غير دار العلم المعروفة بطرابلس والتي أنشأت سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م بعد وفاة أبي العلاء المَعْرِي بأربع وعشرين سنة .
 أما محمد بن يحيى الغافقي المعروف بـ «ابن المَوْصُول» المتوفى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م فيذكر ابن الأبار أنه :
 «كان أديباً كاتباً جَماعاً لدفاتر العلم من لدن صباه منتقياً لكرامتها بصيراً
 بخيارها عارفاً بخطوطها يُحْكَم إليه في ذلك ، مؤثراً لها على كل لذة ، حتى
 اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة» .
 وكان عنده «إصلاح المنطق» بخط أبي علي القالي ، و«الغريب المُصَنَّف»
 أصل أبي علي ، و«نواذر» ابن الأعرابي بخط أبي موسى الخامض و«تاريخ» أبي
 جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي^١ .
 كما جمع الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم
 الففطلي المتوفى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م مكتبة ضخمة قُصِدَ بها من الآفاق وعاونه
 ياقوت الحموي في جَمْع جزء كبير منها ويقول عنها :
 «لم أر مع اشتغالي علي الكتب وبعمي لها ونجارتي فيها أشد اهتماماً منه
 بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان
 مقيماً بحلب»^٢ .
 وأضاف الصفدي أنه :
 «أوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى خمسين ألف دينار ،
 وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب»^٣ .
 ومن بين خزائنه مجموعة من كتب التراث اليمنى كانت ضمن تركة والده
 الذي توفى في ذي جَبَلَة باليمن سنة ٦٢٤هـ وأُرسلت إلى القاهرة .
 ويقول ياقوت الحموي عن عضد الدين أبي الفوارس مُرْهَف بن أسامة بن
 مُرْشد بن علي بن مُقَلَّد بن نُصْر بن مُثَقَّل المتوفى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م :

^١ ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، القاهرة ١٩٥٥ ، ١٢٢ .

^٢ ياقوت : معجم الأديباء ١٥ : ١٨٨ .

^٣ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٣٣٨ .

«فارقته في جمادى الأولى سنة اثني عشرة وستمائة بالقاهرة يحيا ولقيته بها وهو شيخ ظريف واسع الخلق شائع الكرم جَمَاعَة للكتب وحضرت داره واشترى مني كتباً . وحدثني أن عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره إلا أنه ذكر أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكية لحفته فلم يؤثر فيها . وسألته عن مولده فقال ولدت سنة عشرين وخمسمائة»^١.

وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من كتاب «لباب الآداب» له يخطه تحت رقم ٨٣٩ أدب .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن أبا المظفر نصر بن محمود بن المَعْرِف «كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه وكان في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشغولاً في الكتب وفي القراءة والنسخ . ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره مَلْحاً ونوادير مما يتعلق بالعلم الذي صنّف ذلك الكتاب فيه . ورأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب»^٢.

وكان الأمير أبو الوفاء المَيْسَر بن فاتك المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م أحد أدياء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها ، من أكبر هواة جمع الكتب في مصر الفاطمية عاصر خلافتي الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله الفاطميين بمصر ، قال ياقوت :

«ملك من الكتب ما لا يُحصى عدده كثرة»^٣.

وقال ابن أبي أصيبعة :

^١ ياقوت : معجم الأدياء ٥ : ٢٤٣ ، وانظر كذلك القُدري : التكملة لوفيات النخلة ٢ : ٣٦١ .

^٢ ابن أبي أصيبعة : حيون الأدياء ٢ : ١٠٨ .

^٣ ياقوت الحموي : معجم الأدياء ١٧ : ٧٧ .

«كان الميستر بن فائق قد اقتنى كتباً كثيرة جداً، كثيرٌ منها يوجد. وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بخرق أصابه. وحدثني الشيخ سعيد الدين المظلي بمصر قال: كان الأمير ابن فائق محباً لتحصيل المعلوم وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده؛ وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجوار معها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها من الكتب وأنه كان يشغل بها عنها، فجعلت تنديه وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كسيرة في وسط الدار هي وجوارها. ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها، فهذا سبب أن كتب الميستر بن فائق يوجد كثيرٌ منها وهو بهذه الحال»^١.

وكان الإمام الأديب شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل العسقلاني المصري المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م جماعةً للكتب، قال الصّفي:

«تخلّف على ما أخبرني به شهاب الدين البوتيجي الكتيب بالقاهرة ثمانية عشر خزنة كتباً نفائس أدبية. وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب، وبقيت تباع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وأخبرني البوتيجي أنه كان إذا لمس الكتاب وجّسه قال: هذا الكتاب الفلاني وهو لي ملكته في الوقت الفلاني. وكان إذا أراد أي مجلد كان، قام إلى خزنة وتناول منها كأنه الآن وضعه هناك بيده»^٢.

كذلك قرأ تاج الدين أبا سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون المتوفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م كان من الأدباء والعلماء الذين شاهدتهم ياقوت الحموي وصحبهم وحمدت صحبته لهم، قال عنه:

«كان من المحبين للكتب واقتناها والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتفنة وأمهااتها المميّنة ما لم يحصل أحدٌ للكثير، ثم تقاعد به الدُّعْر وبطل عن العمل، فرأيتُه يخرجها ويبيعها وعيناه تدرقان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبابه الأوتاد. فقلت له: هوّن عليك.

^١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٩٩.

^٢ الصّفي: الوافي بالوفيات ١٦: ٧٨.

أدام الله أيامك - فإن الدُّعْر ذو دُوك ، وقد يُنمف الزمان ويساعد وترجع دولة العزّ وتعاود ، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود . فقال : حسبك يا بني : هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها ، وخب أن المال يتيسر والأجل يتأخر - وهيئات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق الذي ليس بعده تلاق ، وأنشد بلسان الحال :
 هب الدُّعْر أرضسائي وأعصب صرّقه
 وأعصب بأحسنى وقلّك من الأشر
 قمنّ لي بآيام الشباب التي مسفت
 ومن لي بما قد مرّ في اليأس من عمري
 ثم أدركت منته ولم يزل أمنيته . . .
 وأضاف ياقوت :

« وكان مع اغتباطه بالكتب ومناقشته فيها جواداً بإعارتها ، ولقد قال لي يوماً - وقد عجبت من مسارعته إلى إعارتها للطلبة : ما يخلت بإعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهناً ، ولا أعلم أنه مع ذلك قدّ كتاباً في عارية قط . فقلت : الأعمال بالنيات وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك . وكتب يخطه الوراق طوائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار المروية ، وقابلها وصحّحتها وسمعها على المشايخ^١ .

وإذا عبّرنا الفترة الأيوبية والمملوكية في مصر^٢ التي أشرت إليها فيما سبق والتي اشتهرت بكثرة مكتبات المدارس التي أنشأها السلاطين والأمراء ووقفوها على طلبية العلم بها منجد من أهم المكتبات وأغناها في مصر في القرن الحادي

^١ ياقوت : معجم الأديب : ٩ : ١٨٥ - ١٨٨ .

^٢ وعن مكتبات الشام راجع مقال محمد كرد علي : « مصائب الكتب والمكتبات في الشام » ، مجلة المقتطف ٧٤ (١٩٢٩) ٣٨٥ - ٣٨٨ و« الكتب والمكتبات في الشام - أقدم الخزائن وأحسن الكتب » ، مجلة المقتطف ٧٤ (١٩٢٩) ٥٠٥ - ٥١١ .

عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مكتبة العالم اللغوي عبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م صاحب كتاب «خزانة الأدب ولُبّ لباب لسان العرب» الذي يُعدّ أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة، كما يقول المحبّي^١.

وكان البغدادي قد رحّل إلى مصر سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وهو في العشرين من عمره حيث اتّصل بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م صاحب كتاب «ريحانة الألباء» وكانت له مكتبة كبيرة كان لها فضلٌ عظيم على البغدادي في أثناء حياة الشهاب بمقتضى ملازمته له، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م لأن البغدادي تملّك أكثر كتبه، يقول المحبّي:

«ولما مات الشهاب تملّك أكثر كتبه، وجَمَعَ كتبًا كثيرة غيرها. وأخبرني عنه بعض من لقّيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة»^٢.

وقد ذكر البغدادي في مقدمة كتابه في نحو عشر صفحات «المواد التي اعتمد عليها وانتقى منها مادة كتابه»^٣. وكان منها ما يرجع إلى علم النحو وإلى شروح الشواهد وإلى دفاتر أشعار العرب والمجاميع وفن الأدب وكتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وطبقات الشعراء وكتب اللغة وأغلاط اللغويين وكتب الأمثال وكتب الأماكن والبلدان، ودائمًا ما يذكر أن هذا الكتاب أو ذلك في خزانة كتبه أو أنه اطلع عليه.

لذلك فإنّ كتبت مكتبة البغدادي.. كما يقول الأستاذ عبدالسلام هارون.. مما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والدهشة لما حواه من نوادر التصنيف وعجائب التأليف، وقد حصر هذه الكتب فوجدها نحوًا من ٩٤٥ عنوانًا، ثم قال:

«إذا ضُمّت إلى تلك العناوين شروحها والكتب المؤلفة في تلخيصها أو نقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب كثير منها قد فقد أو ضاع»^٤.

^١ المحبّي: خلاصة الأثر ٢: ٤٥٠.

^٢ نفسه ٢: ٤٥٢.

^٣ البغدادي: خزانة الأدب ١: ١٨ - ٢٧.

^٤ عبدالسلام هارون: مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ١: ٧.

وكما كان للشهاب الخفاجي فضلٌ على البغدادي في أول حياته فإن الوزير أحمد باشا محمد كوبرلي صاحب المكتبة التي تحمل اسمه اليوم في استانبول كان له فضلٌ آخر عليه عندما اتصل به في تركيا فأدناه وأكرمه وأفاد من مكتبته الشيء الكثير مطالعة وإفادة ونسخاً^١.

ويدلُّ حديث البغدادي في سرد مصادره أنه كان محتفياً بكتب أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح عثمان بن جني وأنه جمع مؤلفاتهما جميعاً. ومن أهم النسخ التي أشار إليها البغدادي في كتابه نسخة من «أبيات المعاني» للأشتانداني بخط ابن جني وعليها إجازة أبي علي له^٢، ونسخة من «المنسويين» إلى أمهاتهم للحلواني بخطه^٣، و«إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي بخط أبي الفتح عثمان بن جني^٤، وشرح لديوان زهير بخط مهمل بن أحمد^٥.

ورغم أن ما يفصل بيننا وبين عصر البغدادي لا يزيد على ثلاثة قرون، فإن ما وصل إلينا من كتب مكتبته يعدُّ نذراً قليلاً مفرقاً بين دار الكتب المصرية ومكتبات استانبول ومكتبات أوروبا^٦.

فمن ذلك نسخة من كتاب «فرحة الأديب» لأبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ مجاميع م بين كتب مصطفى فاضل باشا كتبها البغدادي لنفسه وجاء في آخرها:

«تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه القنور عبد القادر

بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي، كتبه لنفسه ولمن شاء الله من

بعده، وكان بدء الكتابة في يوم الأحد وأخبرها في ضحوة يوم الاثنين التاسع

^١ عبدالعزيز أحمد الرفاعي: «تراثر المخطوطات الأدبية في خزنة البغدادي»، في كتاب أعمية المخطوطات الإسلامية، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٢، ١٩٨.

^٢ البغدادي: خزنة الأدب ١: ٢٠.

^٣ نفسه ١: ٢٤.

^٤ نفسه ٣: ٣٣ و ١٤٣.

^٥ نفسه ٢: ٣٣٤.

الكتاب العربي المخطوط

عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة، وكان تاريخ الأصل الذي كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة. هكذا رأيت مؤرخاً وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وعلى هامش الصفحة «فيكون مدة كتابته تسعة أيام مع أشغال عاتقة والحمد لله عليه».

ونسخة من كتاب «المعمرين والوصايا» لأبي حاتم السجستاني محفوظة في مكتبة جامعة كمبودج تحت رقم Q9n°285 وهي نسخة ترجع إلى القرن الرابع الهجري وتحمل صفحة عنوانها سماعاً مؤرخاً في سنة ٤٢٨هـ، و تأكيداً بنسبة الكتاب لصاحبه كتبه شهاب الدين الخفاجي وآخر بخط عبدالقادر البغدادي نصه:

«أبو روق ينقل في هذا الكتاب عن أبي حاتم ويغلطه في أماكن كثيرة، فالظاهر أنه تأليف أبي روق والله أعلم بالصواب، وقد ظهر فيما بعد أن أبا روق راوي الكتاب عن أبي حاتم».

ونسخة من «معجم البلدان» لياقوت الحموي بخطه محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول برقم ١٨٢١ عليها بخط عبدالقادر البغدادي:

«من فضل الله على عبدالقادر البغدادي في سنة ١٠٧٣هـ».

ونسخة من «مجمع الأمثال» للميداني محفوظة في مكتبة بانكيبور بالهند عليها بخط البغدادي:

«من نعم الله على عبده الفقير إليه عبدالقادر بن عمر البغدادي».

ونسخة من كتاب «الرجال» لثقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي في المكتبة التيمورية برقم ٤٧٥ تاريخ عليها تملك للبغدادي مؤرخ سنة ١٠٩١هـ. ونسخة من «مختصر جمهرة النسب» عن ابن الكلبي لم يُعلم مختصره في مكتبة راغب باشا باستانبول برقم ٩٩٩.

كما أن النسخة التي اعتمد عليها مارجوليوت في نشر «معجم الأدباء» لياقوت الحموي كانت في ملك عبد القادر البغدادي فسجل بخطه على هامش ترجمة أبي الحسن الحصري القيرواني صاحب «زهر الآداب»:

«وله عندي كتاب الجواهر والملح والنوادر، كتبه عبد القادر البغدادي».

كذلك فقد وصلت إلينا نسخة البغدادي لكتاب «شرح شواهد التحفة الوردية في النحو» وهي النسخة التي أهداها إلى الوزير مصطفى بن أحمد بن محمد كوبريلي وهي محفوظة في مكتبته برقم ١١١٣ وجاء في آخرها:

«تم في ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء في شرحها في اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل في جميع الأمور».

وذكر البغدادي في «الخزانة» أن لديه نسختين من كتاب «إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي إحداهما بخط ابن جني والثانية قرئت على أبي علي وعليها خطه . يؤكد ذلك أن نسخة كتاب «إيضاح الشعر» المحفوظة في مكتبة برلين تحت رقم ٦٤٦٥ وهي نسخة بقلم نسخي صحيح مضبوط بالشكل الكامل، قرع من كتابتها أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن موسى يوم الثلاثاء ثالث رجب من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، نقلت عن نسخة بخط ابن جني، فقد جاء على هامش الكتاب في آخر باب الصلات والأسماء الموصولة:

«في الأصل هذا آخر الجزء العاشر من أجزاء أبي علي رحمه الله، نقلته من خط أبي الفتح بن جني».

ويرى الدكتور محمود الطناحي الذي نشر كتاب الشعر لأبي علي الفارسي أن هذه النسخة تتفق اتفاقاً كاملاً مع ما حكاه البغدادي عن النسخة التي كانت في ملكه بخط ابن جني والتي يرجح أن تكون الأصل الذي نقلت عنه نسخة برلين^١. وإذا قرأنا مقدمة العالم اللغوي السيد محمد بن محمد المعروف بمركزي

^١ محمود الطناحي: مقدمة كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ٨٨، ١٠٢.

الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م لكتابه «تاج العروس شرح القاموس»
فستجد أنه اعتمد في كتابه على نُسخ نادرة فقد أغلبها اليوم كانت محفوظة في
خزائن المدارس الكبرى بالقاهرة، منها:

- نسخة من «لسان العرب» لابن منظور في ثمانية وعشرين مجلدًا، يقول:

«وهي النسخة المنقولة من مُنَوِّدة المؤلف في حياته».

[وهذه النسخة محفوظة الآن في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦ لمدة وتقتص الأجزاء الأول والثاني
والثامن والعشرين، وكانت أصلاً في خزانة الأشرف برسباي.]

- نسخة من «تهذيب التهذيب» لأبي الثناء محمود بن أبي بكر بن حامد
التنوخى الأرموي الدمشقي الشافعي في خمس مجلدات

«وهي مُنَوِّدة المصنف من وقف السيساطية بدمشق ظفرت بها في

خزانة الأشرف [برسباي] بالعبرانيين».

- نسخة من «الجمهرة» لابن دريد، قال الزبيدي:

«ظفرت به في خزانة المؤيد».

- نسخة من كتاب «المُعَرَّب» للجواليقي، قال الزبيدي:

«مجلد لطيف ظفرت به في خزانة الملك الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى».

- نسخة من «شَرْح ديوان الهذليين» لأبي سعيد السكري وعليه خط ابن
فارس صاحب المُجْمَل.

- الأول والثاني والعاشر من معجم ياقوت قال الزبيدي:

«ظفرت به في الخزانة الحمودية»^١.

- نسخة من «تبصير المنتبه» بـ [تحرير المشتبه] للحافظ بن حجر العسقلاني

يخط سبطه يوسف بن شاهين.

- «معجم الصحابة» للحافظ تقي الدين بن قُهد يخطه.

^١ وبقيّة هذه النسخة موجودة اليوم في مكتبة كوبريلي في استانبول برقم ١١٦١ - ١١٦٥.

- «الكامل» [في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث] لابن عَدِي في ثمان مجلدات من خزانة المؤيد . [وقد وصل إلينا من هذه النسخة خمسة مجلدات مثبت على غلاف اثنين منها وقَفِيَة برسم الملك المؤيد شيخ على جامع ببياب زويلة وبأعلى غلاف أحد أجزاءها من اليسار خط العلامة أحمد بن علي المقرئ، وعلى بعض أوراق المجلد الأول مطالعات بخط السيد مرتضى الزبيدي، وهي محفوظة الآن في دار الكتب المصرية بأرقام ٩٣، ٩٤، ٩٥ مصطلح حديث].

- وذكر كذلك أنه وقَف على نسخة من كتاب «العُباب» وأخرى من «التكملة على الصحاح» وهما للصاغاني، قال الزبيدي:

«ظفرت بهما في خزانة الأمير صَرْغَتَمُش»^١.

[وقد وصلت إلينا هذه النسخة من كتاب «التكملة والذيل والصلّة» لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، وألت إلى دار الكتب المصرية من خزانة الأمير صَرْغَتَمُش وهي محفوظة بها تحت رقم ٣ لغة (ومنها مصورة على الفوتوستات برقم ٨٠٥ لغة). وهذه النسخة تقع في ستة مجلدات كتبها سنة ٦٤٢ هـ (أي في حياة المصنف) محمد بن عبدالمعز بن عثمان بن عبدالمك بن عبدالله الدماغييري المعروف بابن أفضل الكرجي، وكتب على هامشها: «بلغ مقابلة على مؤلفه».

وفي آخر كل جزء من النسخة عبارة مُوقَّع عليها باسم السيد محمد مُرتَضَى الزبيدي نصها:

«أقرغه مطالعة واستنباطاً لغرائبه الفقير إلى الله تعالى محمد مرتضى

الحسيني عفا الله عنه».

وجاء في آخر النسخة:

«الحمد لله وحده بلغ مقابلة هذا الكتاب ومعارضته على شرحي على القاموس من أوله إلى آخره في مجالس آخرها ثاني ربيع الأول سنة ١١٩١ هـ فصيح إنشاء الله بصحته. وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني نزيل مصر غفر له بجنه وكرمه حامداً لله مصلياً على رسوله وآله مستغفراً».

^١ الزبيدي: تاج العروس ١: ٤.

ويذكر السيد مرتضى الزبيدي كذلك في مادة (عبد) نقلاً عن شيخه أبي الطيب القاسي أنه راجع أكثر من خمسين نسخة من «الصحاح» ليتأكد إذا كان الجوهري قد ذكر في العبدالة ابن مسعود، وأضاف أنه رأى في بعض النسخ النادرة زيادة ابن مسعود في الهامش كأنها ملحقة تصليحاً^١، كما ذكر الزبيدي في مقدمة «التاج» كتاب «الصحاح» للجوهري باعتباره المصدر الأساسي الذي بنى عليه في كتابه وقال:

«وهو عندي في ثمان مجلدات بخط ياقوت الرومي وعلى هامشه التقييدات النافعة لأبي محمد بن برّي وأبي زكريا الثبريزي ظفرت به في خزنة الأمير أرتك»^٢.

ولأسف فقد فقدت كل هذه النسخ النفيسة الآن والتي لا يفصلنا عنها سوى نحو مائتي سنة، ولا شك أنها استقرت في بعض المكتبات الخاصة أو لت إلى مكتبات غير مفهرسة وعندما نصل إلى الفهرس الشامل للكتاب العربي المخطوط فلا شك في أننا سنقف على نوادر لمخطوطات تجهل عنها اليوم كل شيء.

وفي العصر الحديث اهتم العديد من رجالات العصر الأثرياء المشتغلين بالعلم بتكوين مكتبات ضخمة ضمت العديد من نوادر المخطوطات العربية والنسخ النفيسة وقفوها بعد وفاتهم أو أهدوها إلى المكتبات العربية الكبرى احتفظت فيها بوحدها وخاصة دار الكتب المصرية.

ومن أهم هذه المجموعات «مكتبة الأمير مصطفى فاضل باشا» شقيق الخديوي إسماعيل وهي تشتمل على ٣٤٥٨ مجلداً كلها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب بينها ٢٤٤٣ مجلداً عربياً و ٦٥٠ مجلداً تركياً و ٣٣٥ مجلداً

^١ الزبيدي : تاج العروس ٢ : ٤١٧ - ٤١٨
^٢ نفسه ١ : ٣ - ٤ . .

فارسياً. وقد اشترى هذه المكتبة من ماله الخصى بمبلغ ١٣ ألف ليرة عثمانية الخديوي إسماعيل بعد وفاة شقيقه في استانبول سنة ١٨٧٦ وضمها إلى الكتبخانة الخديوية «دار الكتب المصرية» ويرمز لرصيد هذه المكتبة في فهرس دار الكتب اليوم بالرمز (م).

وتشتمل هذه المكتبة على أقدم مخطوط عربي كتب على الكاغد وصل إلينا وهو نسخة من كتاب «الرسالة» في أصول الفقه للإمام محمد بن إدريس الشافعي التي كتبها الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي من إملاء الشافعي في حياته، أي قبل عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م، ثم لما تقدّم به العمر وتجاوز التسعين في سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٩ م كتب عليها بخطه بعد أن اضطربت يده إجازة ينسخ الكتاب نفهم منها أنه كان ضيقاً بهذا الأصل لم يأذن لأحد في نسخه من قبل، يقول: «أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه».

وتداول هذه النسخة بالقراءة والاطلاع والتملّك علماء أجلاء، وكل الذين تملّكوا هذه النسخة كانوا في دمشق وآخرهم القاضي محيي الدين عمر بن موسى بن جعفر سنة ٦٥٦ هـ، لذلك فإننا لا نعرف ما كان من أمر هذه النسخة منذ هذا التاريخ إلى أن دخلت في مكتبة مصطفى فاضل باشا وانتقالها بعد ذلك مع مكتبته إلى دار الكتب المصرية حيث حفظت بها تحت رقم ٤١ أصول فقه م.

و«مكتبة علي باشا مبارك» التي أضيفت إلى دار الكتب المصرية في عام ١٨٩٥ بعد سنتين من وفاته، وبين كتبها جزء من «الوافي بالوفيات» للصفدي بخطه محفوظ في الدار تحت رقم ١٢٥ تاريخ.

و«مكتبة أحمد تيمور باشا» وهو العلامة أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور المولود بالقاهرة سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م، وهو من بيت فضل ووجاهة كردي الأصل. كان من أحرص الناس على اقتناء المخطوطات يبذل في سبيلها

مالاً كثيراً وكان يُزوَّده بها الكتبي المعروف أمين أفندي الخانجي . ويصف الأديب والمحقق الكبير محمود محمد شاكر حب تيمور باشا للكتب بقوله :

«الذي لاحظته عليه ليس جمع الكتب بل شيء آخر وهو أنه إذا أخذ الكتاب بين يديه تغيَّرت أسارير وجهه واستضاءت وكان نوراً قد سطع بمجرد إمساكه المخطوط إذا جاءه أمين أفندي بمخطوط جديد»^١.

كان تيمور باشا من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية ، قال عنه العلامة خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام :

«كان رضي النفس ، كريمها ، متواضعاً فيه انقباض عن الناس . توفيت زوجته وهو في التاسعة والعشرين فلم يتزوَّج بعدها مخافة أن نسيء الثانية إلى أولاده . وانقطع إلى خزائنه كتبه يتنقَّب فيها ويُعلِّق ويُفهرس ويُؤلف إلى أن أصيب بقَعد ابن له اسمه محمد سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م ، فجزع ولازمته نوبات قلبية انتهت بوفاته عام ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م . وتألفت بعد وفاته لجنة لنشر مؤلفاته تُعرف بـ " لجنة نشر المؤلفات التيمورية " أخرجت العديد من مؤلفاته»^٢.

وكان عدد كتب مكتبة تيمور باشا حتى عام ١٩٢٣ ، ١١٨١٦ كتاباً نحو نصفها مخطوط ، بينها من المخطوطات القديمة التي كتبت قبل الألف الهجري ٩١٩ كتاباً أقدمها الجزء الأول من شرح أبي الحسن علي بن محمد الفارسي على «الغاية في القراءات العشر وعللها» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م كتب سنة ٤١٣هـ وكتاب «إعراب القرآن» لمكي بن حمّوش المتوفى سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م كتب سنة ٤٩٠هـ ، وسبعة عشر كتاباً كتبت بعد

^١ محمود محمد شاكر : «ذكريات مع محبي المخطوطات» في كتاب أعمدة المخطوطات الإسلامية ، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٩٩٢ ، ٢٥ - ٢٦ .

^٢ الزركلي : الأعلام ١ : ١٠٠ .

الخمسائة، وتسعة وثلاثون بعد الستائة والباقي بعد ذلك إلى سنة ٩٩٩هـ، وبينها أيضاً ٢٧٤ كتاباً بخطوط علماء وأمرأ مشهورين أو عليها خطوطهم، و١٦٧ بخطوط المؤلفين.

ويبلغ عدد المخطوطات التي جمعتها تيمور باشا حتى وفاته سنة ١٩٣٠م، ٨٦٨٣ مخطوطاً كان قد نقلها في أواخر عمره إلى قصره بمدينة قويسنا بالمنوفية، ثم أهدت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته. وقد دَوَّنَ تيمور باشا بخطه على أغلب مخطوطات مكتبته ما يفيد اطلاعه عليها وسجّل على أول المخطوط بخطه «قرأناه». وكان يُعدّ لكل مخطوط قرأه فهرساً بموضوعاته ومصادره وأحياناً لأعلامه ومواضعه، مع ترجمة لمؤلف الكتاب بخطه.

وبلّغ من عشق تيمور باشا للمخطوطات العربية وحبه لها أن كتب في عام ١٩١٩ مقالا هاماً خصّ به مجلة «الهلال» المصرية عن المخطوطات النادرة وقيمتها وأماكن وجودها^١، كما كتّب أثناء وجوده في استانبول سنة ١٩١٣ برسالة إلى صديقه جرجي زيدان مؤرخة في ٢ مايو ١٩١٣ يذكر له فيها بعض ما وقّع عليه اختياره من كتب مكتبات استانبول^٢.

ووضّع تيمور باشا فهرساً ورقياً بخطه لمكتبته وجعل لكل فن فهرساً مستقلاً خاصاً^٣. وكانت هذه الفهارس موجودة في قاعة المخطوطات بمبنى دار الكتب

^١ أحمد تيمور باشا: «تراث المخطوطات وأماكن وجودها»، «الهلال» ١٨ (١٩١٩)، ٤٩ - ٦٥، ٢٠٩ - ٢١٩، ٣١٨ - ٣٣١، وأعاد نشره صلاح الدين المنجد وصدر في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٨٠ نشرها صلاح الدين المنجد تحت عنوان «رسالة من أحمد تيمور إلى جرجي زيدان - المختار من المخطوطات العربية في الأستانة»، بيروت - دار الكتاب الجديد ١٩٦٨.

^٢ راجع، محمد كرد علي: «الخزانة التيمورية وفهرست مخطوطاتها»، مجلة المقتبس ٧ (١٩١٢) ٤٣٧ - ٤٥٨، عيسى إسكندر المفلوح: «خزائن الكتب العربية: من نقاش الخزانة التيمورية»، مجلة الجمع العلمي العربي ٣ (١٩٢٣) ٢٢٥ - ٢٣٠ و ٣٣٧ - ٣٤٤ و ٣٦٠ - ٣٦٦، أحمد تيمور: «بيان ما عندنا من المخطوطات في القاهرة والدخان والشاي والحشيش ونحوها» في كتاب رسائل متبادلة بين الكرملين وتيمور، بغداد ١٩٧٤، ٢٠٥ - ٢٠٨.

القديم بباب الخلق متاحة للباحثين، وللأسف الشديد فقد دُشِنَتْ هذه الفهارس وفقد أغلب أوراقها نتيجة لسوء النقل من المبنى القديم إلى المبنى الحالي الكائن على كورنيش النيل عام ١٩٧٣^١.

فمن خطوط العلماء والأمراء التي تحتفظ بها المكتبة خط الإمام الحافظ عبد العظيم المُنْذَرِي، والإمام محمد بن أبي جعفر القرطبي، والحافظ شمس الدين السخاوي، والسيد محمد مرتضى الزبيدي، والشيخ حسن والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، والإمام عز الدين بن جَمَاعَة، والحافظ ابن حَجَر العسقلاني، والسيد عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، والحافظ جلال الدين السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والأمير جوامرد الناصري، والملك داود بن يوسف الرسولي ملك اليمن، والشيخ إبراهيم البقاعي، والعلامة يوسف بن عبد الهادي، والمُطَرِّزِي شارح المقامات الخيرية، وجمال الدين السَّحَلِّي، وعلم الدين السخاوي صاحب سفر السعادة، والشيخ نصر الهوريني، والشيخ حسن العطار شيخ الأزهر.

ومن خطوط المؤلفين الجزء الثاني عشر والعشرون من كتاب «عيون السواروخ» لابن شاكسر الكتبي بخطه تحت رقم ١٣٧١ تاريخ، و«ذيل الدر الكامنة» لابن حَجَر العسقلاني بخطه تحت رقم ٦٤٩ تاريخ و«تقريب التهذيب» لابن حجر أيضاً كتبه سنة ٨١٧ هـ وفي آخره كتابة بخط السيد مرتضى الزبيدي نصها:

«جميع الكتاب بخط مصنفه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونفع به أمين. وكتب محمد مرتضى الحسيني حامداً ومصلحاً ومسلماً ومستقراً».

و«النهاية في اتصال الرواية» في الحديث بخط مؤلفها الشيخ يوسف بن عبد الهادي وبآخرها ثلاث إجازات بخطه أيضاً برقم ٢٢٢ حديث، و«سرّ الروح» للشيخ إبراهيم البقاعي بخطه برقم ٥٨ غيبيات، ومنتخب «نزهة الألباء

^١ أمين فؤاد سيد: دار الكتب المصرية - تاريخها وتطورها ٧٤ - ٧٦.

فيما يروى عن الأدباء لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة كتبها بخطه سنة ٧٦٥هـ برقم ٤٠١ شعر، ومجموعتان نفستان للشيخ شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الصالحي بخطه ومن تأليفه: إحداهما فيها ١٤ رسالة منها «الشعر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام» و«البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي»، والثانية فيها تسع رسائل منها «تيسير الأعلام لمذاهب الأئمة الأعلام».

ومن خطوط العلماء في المكتبة كتاب «خلق الإنسان» لثابت بن أبي ثابت وراق أبي عبيدة نسخة نفيسة كتبت سنة ٥٣٩هـ رقمها ١٦٦ لغة، و«شرح نوادر أبي زيد» كتبها سنة ٦٧٥هـ ابن منظور صاحب لسان العرب. كما تحتفظ المكتبة بنسخ أخرى نفيسة منها «شرح اللمع» لابن جني كتبت سنة ٥٨٤هـ، ونسخة نفيسة جداً من كتاب «الجمل» للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩هـ وشرح ابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٣هـ عليه كتبت سنة ٧٤٧هـ.

وتشتمل المكتبة على مجاميع كثيرة ذات شأن من أهمها «مجموع في أمراض العين ومداواتها» يشتمل على ثماني كتب ورسائل لجالينوس وحنين بن إسحاق ويحيى بن ماسويه المتطبب وثابت بن قرة يشتمل على بعض الرسوم التوضيحية لأجزاء العين، والنسخة بخط عبدالرحمن بن يونس الأنصاري قرع من كتابتها في ست وعشرين ربيع الآخر سنة ٥٩٢هـ، وهي برقم ١٠٠ طب.

ثم «مكتبة أحمد زكي باشا» المعروف بشيخ العروبة والذي سافر إلى أوروبا واستأنبى في سبيل البحث عن المخطوطات العربية القديمة، وتكون مكتبة ضخمة وقفاها في حياته على قبة السلطان الغوري، ثم نقلت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته سنة ١٩٣٥، ويبلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة ١٤٨٢ مجلداً^١.

^١ محمد كرد علي: «مكتبة أحمد زكي باشا وأهم مخطوطاتها العربية»، المقتبس ٥ (١٩١٠) ٧٨٩ - ٧٩٣؛ نفسه: «المقارنة الزكية ومجموعة كتب أحمد زكي باشا المصرية»، المقتبس ٧ (١٩١٢) ٥٩٣ - ٦٠٤ و ٨ (١٩١٤) ٣٩٣ - ٤٠٤.

كان أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا يتسابقان في حَلْيَةِ المخطوطات، كلاهما يتتبع عمل الآخر وما اقتناه ويريد أن يفوقه ولكن يختلف الحلقان، يقول العلامة محمود محمد شاكر:

«تيمور باشا كان سخيًّا لا يرضن على أحد بشيء، أما أحمد زكي فكان ضئيلاً بالطبع - لا أريد المذمة - كان ضئيلاً وكان لا يتورع عن سرقة الكتاب. ومن الطرائف أن في آخر حياته وقف مكتبته ونقلت إلى قبة الغوري القريبة من الأزهر، وعُيِّنَ لها صديق لنا كان أيضاً محباً للمكتب هو الشيخ محمود زناتي، فأخبرته عن خُلُقِ زكي باشا أنه يسرق الكتب فحاذر. فقال: كيف يعني؟ كيف يسرق الكتب؟ قلت: طيب يا شيخ محمود جَرَّبَ بنفسك. فتحدّثني أن أحمد زكي باشا غافله في يوم من الأيام وأخذ كتاباً ووضعته تحت إبطه - أخفاه - فقال له الشيخ محمود عند انصرافه: تعال يا باشا طلع الكتاب. يسرق نفسه! كانت أخلاقاً ظريفة»^١.

والكثير من مخطوطات المكتبة الزكية مصورات لمخطوطات نادرة أصلها في مكتبات استانبول وأوربا، ومن بين المخطوطات الأصلية النادرة في مكتبته أربعة أجزاء من «تاريخ دمشق» لابن عساكر بخط الحافظ البرزالي.

أما «مكتبة أحمد طلعت بك» المتوفى سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م فتعدّ من أغنى المكتبات الخاصة في الشرق بذكر طلعت بك في جمعها من أنحاء العالم جهداً كبيراً ومالاً كثيراً، وكانت عنايته بالمخطوطات وجمعها عناية فائقة حتى إنه ضمّ إلى مكتبته الكثير من المخطوطات النفيسة والمصاحف الرائعة من تركة السلطان عبد الحميد الثاني ومما حصل عليه من تركات أمراء العثمانيين بعد سقوط الخلافة العثمانية. فأصبح في مكتبته من اللوحات الخطية الجميلة والأشعث الرائعة والمصاحف الكريمة المكتوبة بخطوط مشاهير الخطاطين المجودين والمنقوشة

^١ محمود محمد شاكر: المرجع السابق ٢٦.

بالذهب والألوان عددًا ضخمًا يبلغ الخمسمائة . ومن بينها ما هو بخط ياقوت المستعصمي ، وحمد الله بن الشيخ ، والحافظ عثمان ، ومبارك شاه ، ودرويش الشكري ، وسليمان الوهي ، ومصطفى ذهني ، ودرويش علي ، وشكر زاده ، ونزهت ، ونظيفي ، ومصطفى راقم وغيرهم . ومنها مصحف على رقّ بأخيه أنه بخط الحسن البصري سنة ٧٧هـ^١ .

وقد أنفق أحمد طلعت بك على أمين أفندي الخانجي ما يشاء ليَتَسَوَّقَ له المخطوطات ، فجال في البلاد العربية وتركيا وأحضر له الكثير من الكتب^٢ .

وقدّر عدد المخطوطات الموجودة في مكتبة طلعت بك بعشرين ألفًا من المجلدات وزّعت على دار الكتب المصرية وغيرها من المكتبات الأخرى في الدولة ، كان نصيب دار الكتب منها ٩٥٤٩ مجلدًا من بينها نحو ١١٠٠ مخطوط (مجاميع) تحوى أكثر من عشرة آلاف رسالة وكتاب^٣ .

ومن نواذر هذه المكتبة نسخة من كتاب «الحجّة في قراءات الأئمة السبعة» لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ بقلم نسخ مضبوط بالحركات قرغ من كتابتها في ذي الحجة سنة ٣٩٦هـ ، رقمها في المكتبة ١٣٤ قراءات .

ونسخة من «ديوان شعر الحاضرة» بخط ياقوت المستعصمي ، مجدولة ومجلاه بالذهب ، رقمها في المكتبة ٤٥٦٥ أدب .

ونسخة نادرة من «مقامات الحريري» المتوفى سنة ٥١٦هـ قرئت على المؤلف سنة ٥٠٤هـ وعليها خطه بالإجازة لبعض علماء عصره ممن سمعها عليه ، وعليها أيضًا سماعات وقراءات مختلفة في عصور مختلفة ، رقمها في المكتبة ٤٤٧٩ أدب .

^١ فؤاد سيد : «نواذر المخطوطات في مكتبة طلعت» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣ (١٩٥٧) ١٩٧ .

^٢ محمود محمد شاكر : المرجع السابق ٢٥ .

^٣ فؤاد سيد : المرجع السابق ١٩٧ - ١٩٨ .

ونسخة من «المُفَصَّل في شرح المُفَصَّل للزمخشري» لعلم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ، الجزء الأول والثاني بقلم معتاد سنة ٦٢٧ هـ وعلى الورقة الأولى خط المصنف، رقمها في المكتبة ٣٨٦ نحو.

ونسخة من «قَسْر القَسْر من ديوان المتنبي» للزَّوْزَنِي كتبها أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالله بن الفضل بن العباس بن خالد سنة ٤٧٥ هـ رقمها في المكتبة ٤٤٨٠ أدب.

ونسخة من «كتاب الجمعة» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ رواية الحافظ أحمد بن سعيد السيواسي عن آخرين عن المصنف، بقلم قديم من خطوط القرن الخامس الهجري وعليها سماعات مؤرخة سنة ٤٧٠ هـ و ٥١٤ هـ، رقمها في المكتبة ٤٨٥ حديث.

وبالطبع فإن سائر البلاد العربية لم تَعُدْ مخزائن الكتب الخاصة التي أمدتنا بالكثير من النسخ النفيسة والنادرة، وخاصة في اليمن والعراق والشام وتونس والمغرب.

ففي اليمن تم اكتشاف تراث المعتزلة الذي كان لوالدي المرحوم فؤاد سيد قُضِل التعريف به مثل: كتاب «المُعْتَزِلِي فِي أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ» للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي و«فُضِّلُ الْإِعْتِزَالِ وَطَبِيقَاتُ الْمُعْتَزِلَةِ» له أيضاً، و«مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ» لأبي القاسم البَلْخِي، وذلك بالإضافة إلى تراث الزيدية والإسماعيلية والعديد من المصادر المبكرة حيث تحتفظ اليمن بأقدم نسخة معروفة من «الكتاب» لسبويه^١.

^١ خليل يحيى نامي: البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن، القاهرة - وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢ فؤاد سيد: «مخطوطات اليمن»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٩٤ - ٢١٤: المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى الجمهورية العربية اليمنية» مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ٨٢-٣.

وتعد العراق أكبر المراكز العربية التي كانت تشتمل على مخطوطات نفيسة ولكنها تعرضت على امتداد التاريخ لغارات بربرية أدت إلى تدمير وفناء هذه المخطوطات وعلى الأخص في أعقاب غارات المغول في منتصف القرن السابع الهجري^١. ومع ذلك فما تزال تحتفظ بالعديد من المخطوطات الهامة التي استقر أغلبها الآن في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ومكتبات الأوقاف العامة، بالإضافة إلى مجموعات خاصة كثيرة انتقل عدد منها إلى مكتبة المتحف العراقي مثل مكتبات محمود شكرى الألوسي وبهجت الأثري وعباس العزراوي وأنستاس ماري الكرملي ويعقوب سرقيس وكوركيس عواد وقاسم الرجب^٢.

أما بلاد الشام فقد ظلت حتى مطلع هذا القرن تحتفظ بالعديد من المخطوطات النفيسة التي استقرت في المكتبة الظاهرية "مكتبة الأسد" بدمشق وفي بيوتات العلم في دمشق وحلب وغيرها^٣.

^١ كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق، بغداد - مطبعة المعارف ١٩٤٨ وانظر كذلك علي الحافظي: «الآثار المخطوطة في العراق»، الكتاب المصري ١ (١٩٤٥) ٤٤٤ - ٤٤٥ - حسين علي محفوظ: «المخطوطات العربية في العراق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ١٩٥ - ٢٨٥ ميخائيل عواد: «من نوادر المخطوطات في العراق»، المورد ٢/١٣ (١٩٨٤) ١٥٣ - ١٥٨.

^٢ أسامة ناصر التقيدي: «مخطوطات الخزانة الأتوسية في مكتبة المتحف العراقي»، المورد ١/٤ (١٩٧٥) ١٧٥ - ٢٠٦، نفسه: «مخطوطات كوركيس عواد في المتحف العراقي»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣ (١٩٨٩) ٣٩ - ١٨٦ كوركيس عواد: «مدينة البصرة - مكتباتها ومخطوطاتها»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٦٣ - ١٦٩ محمد حسين الهلالي: «المتحف من مخطوطات النجف»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٠ (١٩٧٤) ٣ - ٥٠.

^٣ راجع، حبيب الزيات: خزائن الكتب في دمشق وخبراتها، القاهرة ١٩٠٢ وأعيد نشره في دمشق سنة ١٩٨٣ عيسى إسكندر الملقوف: «مكتاب حلب ودمشق»، الهلال ١٩ (١٩١٠)، ٤٩١ - ٤٩٣ محمد راغب الطبايع: «دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً»، مجلة المجمع العلمي العربي ١٥ (١٩٣٧)، ٢٩٩ - ٣١٠ Shalh, P., «Choix de livres qui se trouvaient dans les bibliothèques d'Alep au XIII^e siècle», MJE 49 (1946) ١٤ محمد أسعد طلس: «المخطوطات وخزائنها في حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١١ (١٩٥٥)، ١ - ٨ و٢ (١٩٥٦)، ٢٤٦ - ٢٦٣ «نوادر مخطوطات الخزائن الخاصة بدمشق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩)، ٢٢٤ - ٢٢١ سامي الكيالي: «مخطوطات حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧)، ٢١١ - ٢٢٣.

كذلك فتحتفظ تونس بالعديد من المجموعات الخاصة التي ضُمَّت إلى مكتبتها الوطنية مثل مكتبة حسن حسني باشا عيـد الوهاب الصمـادحي ومكتبة الشيخ محمد الفضل بن عاشور^١.

كما كشفت بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب عن العديد من المخطوطات القديمة النادرة التي يحتفظ المعهد بصور ميكروفلمية لها^٢.

وفي مطلع هذا القرن كان هناك رجلٌ ولد بحلب وانتقل إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ هو محمد أمين عبدالعزيز الخانجي كان عالماً بالمخطوطات وأماكن وجودها زار العراق واستانبول بحثاً عن المخطوطات لشرائها والمتاجرة بها، وكان نعم العون لكل من أحمد تيمور باشا وأحمد طلعت بك وأحمد زكي باشا في تكوين مجموعاتهم الضخمة^٣، وساعد كذلك على وصول الكثير من المخطوطات النادرة إلى مكتبات أوروبا وخاصة مكتبة شستر بيتي بدبلن بأيرلندا وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م.

أما السيد أحمد عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق والذي توفي سنة ١٩٨٠ م عن عمر يناهز المائة فكان كما يقول العلامة الزركلي: «من أعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعاتها» وأتاح له مطالعة مجموعة مما ظفّر به من قديم المخطوطات ونادرها واستخرج له المخطوط المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها^٤.

^١ صلاح الدين المنجد: «بعثة معهد المخطوطات إلى تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦)، ٣٩١ - ٣٩٤. Schacht, J., «On Some Manuscripts in the Libraries of Kairouan and Tunis», *Arabica* 14 (1967), pp. 225 - 258. «نقائس للمخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٨ (١٩٧٢) ٣ - ٨٠.

^٢ Muhammad al-Past, «Les bibliothèques au Maroc et quelques-uns de leurs manuscrits», *Hesperis Tamarit* II (1961), pp. 135-144. «الكتب النادرة: نوادر المخطوطات في المغرب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩) ١٦١ - ١٩٤. «المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى المملكة المغربية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ١٧٥ - ٢١٠.

^٣ الزركلي: الأعلام ٦: ٤٤.

^٤ انظر مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي.

^٥ الزركلي: الأعلام ١: ١٧.

LE MANUSCRIT ARABE

ET

LA CODICOLOGIE

Tous droits réservés

1^{ère} édition 1997

© AL-DĀR AL-MIṢRIYYA AL-LUBNĀNIYYA - LE CAIRE
Dépôt légal 9019 / 97
I S B N 977 270 376 9

LE MANUSCRIT ARABE
ET
LA CODICOLOGIE

par
AYMAN FU'AD SAYYID
Docteur-es-lettres

I

AL-DĀR AL-MIṢRIYYA AL-LUBNĀNIYYA
Le Caire
1997